

سلسلة الدراسات الثقيفية

الجهة الشعبية لتحرير فلسطين

٣

موضوعات
في
الاشتراكية العلمية



سلسلة الدراسات التحقيقية

٣

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تاريخ الحركة

العمالية العالمية

تأليف مجموعة من العلماء السوفيت



تقديم

ان تاريخ المجتمع الانساني موضوع دراسة مختلف العلوم الاجتماعية التي تتناول بالبحث جوانب متعددة من حياة المجتمع البشري ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية . وتاريخ الحركة العمالية العالمية يحتل مركز الصدارة من حيث أهميته بالنسبة لهذه القضايا ذلك لأن تاريخ هذه الحركة إنما يعبر عن الترابط العضوي بين مختلف هذه العمليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية التي تتفاعل بصورة جدلية في حركة العمال الطبقية في نضالها ضد الاستغلال الرأسمالي وكل أنواع الاستغلال الطبقي الأخرى . ولأن هذه الحركة اختلفت جوهرياً ، في طبيعتها وأهدافها عن سائر الحركات السياسية - الاجتماعية التي سبقتها أو التي عاصرتها ، وناضت من المعارك عبر مسيرتها النضالية المجيدة ، ما يفوق في أهميته ونتائجه جميع المعارك السياسية - الاجتماعية الأخرى على مر التاريخ البشري . فالتطبيقات الاجتماعية الأخرى لم تخرج في صراعاتها ضد الاستغلال والظلم الاجتماعيين ، عن إطار تغيير شكل الملكية الخاصة وبالتالي شكل استغلال الانسان للانسان ، فطبقة العبيد في نضالها ضد الهيمنة الاقتصادية والسياسية الكاملة للأسياد إذ نجحت في إنهاء الاستغلال العبودي ، فلما فتحت المجال لنشوء الشكل الاقطاعي للاستغلال ، وان النضال الطبقي للفلاحين الأقنان ، وصراع البرجوازية الناشئة ضد علاقات الانتاج الاقطاعية ، كانت نتيجة لإحلال شكل الاستغلال الرأسمالي وشكل الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج . وهكذا فإن أشكال النضال الطبقي التي سبقت الرأسمالية إذ غيّرت شكل الاستغلال الطبقي وأحلت شكلاً محل شكل آخر ، فلما لم تكن قادرة على إلغاء استغلال

دائرة الاعلام المركزي

طبعة اولى ١٩٨٦

الانسان للانسان. غير أن الطبقة العاملة، الطبقة الأكثر ثورية في المجتمع المعاصر وجدت لتكون آخر طبقة اجتماعية مستغلة، لتخوض نضالاً طبقياً متعدد الأشكال، اقتصادياً وسياسياً وفكرياً، لا بد أن ينتهي بالضرورة إلى حيث تصفية كل أشكال الاستغلال الطبقي والظلم الاجتماعي والقومي، وليس إلى تغيير شكل الاستغلال فحسب.

إن الحركة العمالية العالمية التي امتدت حقبة تاريخية طويلة نسبياً، شأنها شأن سائر الظواهر الاجتماعية، مرّت بالأدوار الجنينية والطفولية، ولم تبلغ مرحلة « سن الرشد » مرحلة النضوج المتمثلة بظهور حركة مستقلة طبقياً متفاعلة مع الشيوعية العلمية، بوصفها حركة سياسية منظمة ذات ايدولوجية متميزة، إلا من خلال المعارك الطبقة العنيفة وتجارب النجاح والفشل التي تعرضت لها في مختلف أرجاء العالم.

إن نضال الطبقة العاملة العالمية وحركتها الشيوعية العالمية لا يمكن تجزئتها بعضها عن بعض طوال السنوات المئة والثلاثين المنصرمة، ولا خلال السنين اللاحقة، فالأفكار العظيمة التي بشرت بها الوثيقة البرنامجية الأولى للحركة الشيوعية العالمية منذ شباط ١٨٤٨ حول الرسالة التاريخية للطبقة العاملة، قد تحولت إلى واقع ملموس في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ عند انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وسلسلة الثورات الديمقراطية الشعبية في عدد من الأقطار الأوروبية والآسيوية وفي كوبا. وأكدت وقائع التطور الاجتماعي في هذا القرن أن مستقبل البشرية بأسرها إنما يتقرر أولاً وقبل كل شيء، وفق إرادة الطبقة العاملة العالمية ووليدها الرئيسي، النظام الاشتراكي العالمي.

إن المسيرة الطويلة، التي قطعتها الحركة العمالية والشيوعية العالمية ليست مجرد أحداث جديرة بأن تروى على مسامع المناضلين الثوريين سيما الشبان منهم، بل هي سلسلة متشابكة، معقدة من النضالات والمعارك المفعمة بالتضحيات والحافلة بالنجاحات، وأحياناً بالاخفاقات، الغنية بما تحويه من دروس وتجارب لا غنى عنها لجيل المناضلين المعاصر وللأجيال القادمة التي

ستواصل ما بدأه الأسبقون.

فالغرض الأساسي وراء تقديم هذا الكتاب في طبعته العربية عن كتاب صدر باللغة الروسية لفريق من الباحثين السوفييت، إنما هو عرض لما فيه من دروس وتجارب مفيدة وضرورية لكل الثوريين الذين يناضلون من أجل انتصار الاشتراكية في وطننا العربي، والذين يدركون بأن حاضر الحركة الثورية امتداد لماضيها وإن الكثير من المشاكل والمسائل، الفكرية والسياسية والتنظيمية التي تواجه حركتنا العمالية والشيوعية ومجموع الحركة الثورية المعاصرة، سبق أن واجهت رفاقنا المناضلين في أوقات مضت وبصيف وأشكال اختلفت قليلاً أو كثيراً.

إن هذا الكتاب جدير بالدراسة من جانب كل مناضل في وطننا العربي. يتناول بشكل مكثف الخبرة التاريخية للحركة العمالية والشيوعية في الحقبة الزمنية التي تمتد إلى نهاية العقد الرابع من القرن الحالي، أنه واحد من الكتب التي تفتقر إليها المكتبة العربية حتى يومنا هذا.

سمير أبو العلاء

المحتويات

مدخل.....

الفصل الأول - نشوء البروليتاريا، عبر نضالاتها المستقلة الأولى.

الفصل الثاني - الشيوعية العلمية والحركة الشيوعية.

الفصل الثالث - الأهمية التاريخية لنشاط الأهمية الأولى ولخبرة كومونة باريس.

الفصل الرابع - الحركة العمالية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

الفصل الخامس - ثورة أكتوبر فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية.

الفصل السادس - تأسيس الأهمية الشيوعية. وضع استراتيجية وتكتيك الحركة العمالية في ١٩١٩ - ١٩٢٨.

الفصل السابع - نضال الكومنترن ضد هجوم الفاشية وخطر الحرب (١٩٢٩ - ١٩٣٩). الأهمية التاريخية لخبرة الجبهة الشعبية.

مدخل

ان المضمون الاساسي لعصرنا هو انتقال البشرية بمقياس عالمي من الرأسمالية إلى الاشتراكية. ويتحقق هذا الانتقال في سياق الصراع الطبقي الضاري الذي تلعب الدور الحاسم فيه الطبقة العاملة العالمية وطلبتها الكفاحية - الاحزاب الشيوعية.

ولقد أحرزت القوى الثورية انتصارات هائلة في النضال ضد الامبريالية والرأسمالية: فقد تحرر ثلث البشرية من نير الرأسمالية، وانهار النظام الكولونيالي وتغير تناسب القوى دولياً لصالح الاشتراكية. بيد ان الشيوعيين وجميع الشغيلة الواعين يدركون انه لا يزال يتعين عليهم ان يحلوا العديد من المهام المعقدة: تحرير القسم الأكبر من البشرية من نير واستغلال الامبريالية والرأسمالية وتصفية جميع أشكال الاضطهاد والظلم وضمان السلام والازدهار لجميع الشعوب واحراز انتصار الاشتراكية في المعمورة جمعاء.

ان حل هذه المهام قضية في منتهى الصعوبة والتعقيد. فالقوى الثورية عموماً تواجه عدواً محكماً وقوياً - رأسمالية الدولة الاحتكارية والبرجوازية عموماً. وذلك يتطلب من الشيوعيين استكمال استراتيجيتهم وتكتيكهم دوماً وتحسين سلاحهم الايديولوجي واستخدام مختلف أشكال وأساليب النضال بتفنن وتنظيم وتوجيه نضال الطبقة العاملة وجميع الشغيلة بمهارة.

وعلى ضوء هذه المهام تكتسب أهمية خاصة بالنسبة للشيوعيين الدراسة الشاملة والاستخدام الماهر للخبرة التاريخية للحركة العمالية والشيوعية العالمية. ان دراسة هذه الخبرة أمر في منتهى الاهمية بالدرجة الأولى لغرض

ادراك السنن الاساسية لتطور هذه الحركة. فان معرفة سنن تطور الحركة العمالية هي مفتاح وضع الاستراتيجية والتكتيك الصائبين للحزب الشيوعي. ولقد استطاعت الحركة العمالية، طوال عقود عديدة، ان تثبت في التطبيق العملي من مختلف أساليب حل هذه المهمات أو تلك، ومن مختلف النظريات والمذاهب ومختلف أشكال واساليب النضال. ان خبرة الحركة العمالية العالمية تنطوي ليس فقط على ما ولدته الظروف التاريخية الملموسة لهذا العصر أو ذاك والخصائص القومية لهذا البلد أو ذاك، بل وكذلك الكثير مما يعتبر من القضايا العامة وغير العابرة تاريخياً - وهذا أهم وأثمن شيء بالنسبة للحركة العمالية المعاصرة - وواحد من المصادر الهامة لوضع استراتيجية وتكتيك الحركة الثورية في وقتنا الحاضر ايضاً.

ان أهمية دراسة خبرة الحركة العمالية والشيوعية العالمية ضرورية كذلك لأن صفوف الحركة الشيوعية تسكتمل دوماً باناس جدد. وينتمي هؤلاء إلى الأحزاب عادة بدون حيازة خبرة كافية وبدون الاعداد النظري والسياسي اللازم ولأنهم لا يعرفون تاريخ الحركة العمالية وخبرتها واسباب انتصاراتها واخفاقاتها في الماضي، ولأنهم لا يعرفون تاريخ نضال الماركسيين ضد مختلف أنواع الانتهازين اليمينيين و « اليساريين »، فانهم يقعون بسهولة تحت تأثير هؤلاء أو أولئك من « نظريي » الحركة العمالية الادعاء، الذين يروجون للآراء الانتهازية زعمًا بأنها أحدث منجزات « النظرية الثورية »، علمًا بأن الماركسية قد حطمتها منذ زمان بعيد ودحضها سير الصراع الطبقي نفسه. ويمكن أن تلعب دراسة خبرة وعبر معارك الطبقة العاملة في الماضي دوراً كبيراً في تربية اعضاء الحزب الجدد وفي رفع مستواهم الفكري وقدرتهم التطبيقية على العمل بين الجماهير.

في العقود الأخيرة انخرطت في الحركة الثورية عموماً جماهير واسعة من الشغيلة، الذين يمثلون مختلف الفئات الاجتماعية. ولم تتمرس هذه الجماهير بعد في مدرسة النضال الصارم، وهي في الغالب لم تدرك بعد مهماتها التاريخية

وطرق تحقيقها. ويواجه الشيوعيون والعمال الواعون أعقد مهمة هي حل الوعي الطبقي إلى هذه الفئات من الشغيلة. ويمكن أن يلعب دوراً كبيراً في حل هذه المهمة توضيح خبرة الحركة العمالية العالمية ودراسة العبر التاريخية لأهم معاركها ضد الرأسمال.

ان ضرورة دراسة الخبرة التاريخية للحركة العمالية تنأتى كذلك من واقع ان صفوف الطبقة العاملة تضم العديد من يفسرون على نحو غير صائب أهم احداث نضال العمال في الماضي، وغالباً ما يشوهون علناً خبرة الحركة العمالية عبر أهم معاركها. والمقصود بالدرجة الأولى الاشتراكيون اليمينيون وزعماء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات الاصلاحية.

فالاشتراكيون اليمينيون يسعون، من وراء تشويه مذهب ماركس وانجلس، إلى اسدال ستار النسيان على أفكارهما بشأن ضرورة تحويل الطبقة العاملة إلى طبقة سائدة وضرورة دكتاتورية البروليتاريا في مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية وضرورة تحطيم جهاز الدولة البرجوازية وغيرها. انهم يتجاهلون الوصايا العظمى، التي أورثتها الاممية الأولى بشأن وحدة الحركة العمالية العالمية، ويشوهون خبرة ودروس كومونة باريس ويسعون إلى تبرئة الاشتراكيين اليمينيين من مسؤولية انهيار الاممية الثانية. وهم يسعون خصوصاً لتشويه تاريخ الحركة العمالية بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وتأسيس الكومنترن. ويشوه الاشتراكيون اليمينيون اسباب وأغراض تأسيس الكومنترن وايدولوجيتها وسياساتها واستراتيجيتها وتكتيك الشيوعيين قبيل الحرب العالمية الثانية وابانها وبعدها وطابع وجوهر الثورات الديمقراطية الشعبية والاشتراكية في عدد من بلدان أوروبا وآسيا وهلمجرا. ان هذه التشويهات تعيق جدياً تخليص العمال من تأثير الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين وايدولوجيتهم، ايدولوجية المصالحة الطبقة.

وتشكل خطراً جدياً على الحركة العمالية كذلك التشويهات الآتية من منطلقات « اليساريين »، على يد التروتسكيين والماويين ومن يسمون

اليساريين الجدد وغيرهم. واذ تضمني العناصر اليسارية المتطرفة طابعاً مطلقاً على خبرة بعض الثورات انما تنكر امكانية استخدام الاشكال السلمية للثورة الاجتماعية لدى توفر ظروف معينة، وتقتصر على التبشير دوماً وبشكل واحد للنضال: الكفاح المسلح، وتدفع الحركة العمالية والشيوعية إلى طريق الممارسات بدون استعداد جيد، مما يؤدي إلى الهزيمة. ويكمن خطر القسومات اليسارية لخبرة الحركة العمالية خصوصاً لأن اليساريين المتطرفين يستترون على استنتاجاتهم وآرائهم الخاطئة بالعبارات الثورية الطنانة التي تستهوي احياناً عدداً غير قليل من العمال والطلبة والمثقفين الشباب قليلي الخبرة.

وأخيراً تتعرض الخبرة التاريخية للحركة العمالية والشيوعية إلى تشويه شامل في مؤلفات عديدة لكتاب برجوازيين معادين للشيوعية. فالكثيرون منهم يحاولون تبين بطلان الاكتشاف العظيم الذي حققه ماركس بشأن الرسالة التاريخية العالمية للبروليتاريا. وهم يبذلون جهوداً هائلة للاستدلال على أن التاريخ لا يؤكد سنن التطور الاجتماعي التي اكتشفتها الماركسية - اللينينية بشأن انتقال البشرية من الرأسمالية إلى الاشتراكية. ويتهم اعداء الشيوعية خاصة على مذهب لينين ونشاط الاحزاب الشيوعية. وتتضمن أعمال المؤلفين البرجوازيين دوماً الفكرة التي تزعم بأن الحركة الشيوعية هي قوة معادية للشعب والامة.

ان معرفة الخبرة الفعلية للحركة العمالية العالمية تساعد الشيوعيين في ان يثبتوا، استناداً إلى الوقائع التاريخية التي لا تدحض، بطلان مواقف اعداء الشيوعية البرجوازيين والانتهازيين اليمينيين و « اليساريين ». ويفضحوا تزويراتهم وتشويهاتهم.

وهكذا فان دراسة الخبرة التاريخية للحركة العمالية ضرورية للشيوعيين ليس فقط من أجل معرفة المراحل التي قطعتها هذه الحركة في الماضي والصعوبات التي واجهتها في طريقها والاعداء الذين اضطرت إلى النضال

ضدهم. بل قبل كل شيء من أجل القدرة الأفضل على حل معضلات الحركة العمالية والشيوعية الراهنة على أساس هذه الخبرة التاريخية.

ان الخبرة التاريخية للحركة العمالية العالمية في منتهى الغنى والتنوع. ولا يمكن القاء الاضواء عليها بشكل كامل شامل في اطار هذا الكتاب الموجز. ولذلك اضطر المؤلفون إلى الاكتفاء بادراج القضايا، الأكثر أهمية من وجهة نظرهم، ويعود إلى حجم الكتاب غير الكبير أيضاً ما يلاحظ من الايجاز في عرض الكثير من المسائل.

وهذا الكتاب مقسم إلى قسمين (متعادلين تقريباً). يتناول القسم الأول الفترة الممتدة من ميلاد الحركة العمالية حتى الحرب العالمية الثانية. وتشمل القسم الثاني الفترة اللاحقة وحتى الأونة الراهنة.

ويأمل المؤلفون بأن تساعد المادة المعروضة في هذا الكتاب الدراسي على هضم الخبرة التاريخية للحركة العمالية والشيوعية العالمية وعلى استخلاص العبر منها لأجل النشاط العملي.

* * *

نشوء البروليتاريا وعبر نضالاتها الأولى

ظهر أسلوب الانتاج الرأسمالي منذ القرن السادس عشر. واستمرت المرحلة الأولى من تاريخه - مرحلة المانيفاكتورة زهاء قرنين. وتميزت بواتر النمو الواطئة للغاية. ولم تؤد هذه المرحلة الطويلة - مرحلة « التفريخ » على حد تعبير ماركس - إلى الانتاج الآلي والانقلاب الصناعي إلا في اواخر القرن الثامن عشر. ناهيك عن ان ذلك حدث أول الامر في انجلترا وحدها. كانت الثورة الصناعية تعني بالدرجة الأولى ثورة في تكنيك الانتاج. ثورة تتلخص في استبدال العمل اليدوي بالعمل الممكن. والانتقال. وعلى هذا الأساس. من المانيفاكتورة الرأسمالية إلى النظام المعلمي (الفابريكة) للانتاج الرأسمالي. وهى الانقلاب في التكنيك اساساً لتطوير القوى المنتجة السريع في المجتمع الرأسمالي للعمل وميلاد مدن ومراكز صناعية جديدة. وكان من أهم النتائج الاجتماعية للثورة الصناعية ترسيخ الرأسمالية كتشكيكة اجتماعية اقتصادية ذات طبقتين متناحرتين اساسيتين: البرجوازية والبروليتاريا.

وكان العائق الرئيسي في طريق تطور العلاقات الرأسمالية آنذاك هو، كالسابق، أنظمة الحكم الاقطاعية المطلقة، حيث كانت السلطة السياسية في أيدي النبلاء الذين سعوا بمنتهى الاصرار للحفاظ على سيطرتهم. ولذلك اقترن الانتقال من الاقطاعية إلى الرأسمالية بصراع طبقي حاد جداً وبثورات برجوازية عديدة. ساهمت فيها جماهير شعبية واسعة من فلاحين وفقراء المدن

وعمال. وكانت ذروة هذا النضال الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩، التي دشت عصراً جديداً في التاريخ العالمي. عصراً وضع طبقة البرجوازية في مركز الصدارة من التطور الاجتماعي وفتح الابواب على مصاريعها امام انتصار اسلوب الانتاج الرأسمالي.

نشوء البروليتاريا الصناعية والاشكال المبكرة لنضالها الطبقي

ظهرت الجماعات الأولى للعمال في احشاء المجتمع الاقطاعي. وكان ظهورها أهم دليل على ميلاد اسلوب الانتاج الرأسمالي. بيد ان العمال في عصر الاقطاعية لم يكونوا يمثلون طبقة مكتملة. ولم تنشأ البروليتاريا كطبقة مكتملة إلا بنتيجة الثورة الصناعية التي شملت اكثر بلدان أوروبا تطوراً في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. وجرى نشوء وتطور البروليتاريا الصناعية في بلدان مختلفة طبقاً لخصائصها وظروفها التاريخية.

ففي إنجلترا، مثلاً، أصبح افلاس الفلاحين على نطاق واسع في القرن الـ (١٦ - ١٨) أول وأهم مصدر لنشوء البروليتاريا. وفي الفترة التالية تكونت قاعدة نشوء البروليتاريا هنا من حرفيي المدن والارياف ومن صغار المنتجين الذين حل بهم الخراب بنتيجة مزاحمة العمل الآلي.

وفي فرنسا جرت عملية فرز البروليتاريا عن فئات البرجوازية الصغيرة في المدن والارياف على نحو أبطأ، وفي ظروف بقاء المخلفات الاقطاعية الجدية لأمد طويل جداً، الأمر الذي جعل نشوء البروليتاريا فيها يستغرق وقتاً أطول مما في إنجلترا.

وبسبب التخلف الاقتصادي والتجزئة السياسية في المانيا، حيث وجدت في أراضيها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ٣٨ دويلة

اقطاعية، وشبه اقطاعية بدأ تشكل الطبقة العاملة بعد إنجلترا وفرنسا، وسار ببطء شديد.

ورغم الخصائص المذكورة اعلاه تميزت عملية نشوء الطبقة العاملة في كل مكان بسنن عامة مشتركة. كان تحول المنتجين المباشرين في عصر الاقطاعية (الفلاحين بالدرجة الأولى) إلى بروليتاريين يعني انعتاقهم من الفرائض الاقطاعية والاكراه الطائفي، أي من التبعية الشخصية للاقطاعي، ويعني في الوقت ذاته انتزاع وسائل الانتاج منهم وحرمانهم من وسيلة العيش التي كانت في حوزتهم في العهد الاقطاعي. وقد قال ماركس في « رأس المال »: « ... ان العملية التي تخلق العلاقة الرأسمالية لا يمكن ان تكون عملية عزل العامل عن ملكية شروط عمله، تلك العملية التي تحول وسائل الانتاج الاجتماعية ووسائل الحياة إلى رأسمالية من جهة، وتحول وسائل المنتجين المباشرين إلى عمال اجراء من الجهة الأخرى ».

وفي اواسط القرن التاسع عشر بلغ عدد البروليتاريين الصناعيين على العموم زهاء ٩ ملايين شخص، منهم في إنجلترا - ١,٤ مليون، في فرنسا - ٢,٥ مليون، في الولايات المتحدة الأمريكية - ١,٤ مليون، في المانيا - ٩,٠ مليون، في روسيا - ٧,٠ مليون. وفي تلك الفترة من تطور الرأسمالية لوحظت بوضوح سنة نمو تعداد البروليتاريا، وذلك لأن « ... نمو الرأسمال هو نمو البروليتاريا، أي الطبقة العاملة »*، كما أكد ماركس.

كان ظهور الطبقة العاملة حدثاً تاريخياً عالمياً في مجرى تاريخ البشرية. والبروليتاريا (الطبقة العاملة) بالمعنى العلمي للكلمة هي طبقة اناس محرومين من ملكية وسائل الانتاج ويعيشون على بيع قوة عملهم. فالبروليتاريا اذ تنتج القيمة الزائدة تغني الرأسمالي ومعه مالك السكة الحديدية والتاجر ثم صاحب البنك. وتبعاً لحالة السوق ولتناسب القوى الطبقي ومستوى القدرة الكفاحية للطبقة العاملة يمكن لهذه الطبقة ان تحصل على أجره أكبر أو أقل، وان تمتلك مسكناً أفضل أو أسوأ، وان تسير مشياً على الاقدام أو تستقل سيارتها

الخاصة، ولكنها تظل نفس البروليتاريا، نفس العبد المستعبد لدى المستغل الرأسمالي، مادامت مضطرة إلى بيع قوة عملها إلى مالك وسائل الانتاج ومادامت محرومة من امكانيات التصرف بثمار عملها والاشراف على الانتاج الاجتماعي وتطور المجتمع عموماً.

وبقدر تطور البروليتاريا وتنظيمها يتناهى ادارتها للتناقض الذي لا هوادة فيه بين مصالحها ومصالح البرجوازية، وتهب للنضال ضد سيطرة البرجوازية وضد المجتمع البرجوازي بأسره وفي سبيل تحرير نفسها والشغيلة الآخرين من الاستغلال والاستعباد. ان الحركة البروليتارية هي « حركة مستقلة للاغلبية الهائلة ولصالح الاغلبية الهائلة » (ماركس وانجلز)، وذلك لأن البروليتاريا لا يمكن أن تحرر نفسها دون أن تحطم كامل نظام الظلم والاستغلال، وبالتالي دون أن تحرر جماهير الشغيلة الواسعة من التعسف والاضطهاد.

ان البروليتاريا هي طبقة ثورية ثابتة، فجميع الطبقات السابقة وجميع الطبقات الأخرى سعت إلى ترسيخ اسلوبها في الاستئثار المستند إلى الملكية الخاصة. « وليس لدى البروليتاريين أي شيء يعود اليهم ويتأني عليهم ان يحرسوه، فهم يجب أن يحطموا كل ما كرس لصيانة الملكية الخاصة »* فالبروليتاريا تناضل في سبيل اقامة نظام تسوده الملكية العامة لوسائل الانتاج. بيد ان الوصول إلى حدود هذا النضال والتحول إلى خصم نشيط وخطر للبرجوازية يحتمل على الطبقة العاملة نفسها أن تقطع طريق التطور الطويل المعقد.

لقد رسخ انتصار العلاقات الاجتماعية الرأسمالية سلطة البرجوازي التعسفية على البروليتاري. فتخلى السيد عن تأجير العامل يعني بالنسبة للآخر الفاقة والعوز. في حين أن تشغيله يعني استغلاله إلى أقصى حد مقابل اجرة بائسة نزره. وليس عجباً ان اشتد على الدوام نضال العامل الاجير ضد الرأسمالي. ذلك النضال الذي يحتاج، على حد تعبير ماركس المجازي. طوال فترة المانيفاتورة

ومفهوم ان أشكال هذا النضال كانت تتسم في بادئ الأمر بطابع متميز جداً حيث جسدت عدم نضوج وعي الجماهير. ففي الستينات والسبعينات من القرن الثامن عشر صب العمال الانجليز جام غضبهم على مكائن الاسياد ومباني المعامل. فنشأت حركة محطمي المكائن (التي نعتت في انجلترا « بحركة اللوديين »). اشارة إلى العامل نيد لود الذي كان أول من حطم الماكينة رداً على ظلم السيد) ثم شملت فرنسا والمانيا وبلدانياً أخرى واكتسبت في بعض الاحيان طابعاً جماهيرياً واسعاً. والحال فالطبقة العاملة آنذاك لم تكن تفرق بين الماكينة وبين استخدامها رأسمالياً. وكانت ترى عدوها ليس في البرجوازي الذي استخدم الماكينة لغرض استغلال العامل. بل في الماكينة نفسها. ولما كانت حركة محطمي المكائن شكلاً من أشكال الاحتجاج العفوي على الاستغلال الرأسمالي فقد غدت شكلاً مبكراً للنضال الطبقي لدى البروليتاريا غير الناضجة بعد. وقد أكد ماركس ان تعلم العامل النضال ضد الاستغلال الرأسمالي مباشرة يتطلب وقتاً وخبرة.

وعلى مر الزمن صارت حركة اللوديين تختلط بالاضرابات. وكانت الاضرابات التي اتجه نصلها ضد السيد وضد الاستغلال قد غدت شائعة اكثر فاكثرت وصارت اداة فعالة لنضال البروليتاريا الطبقي.

وقد تميزت الاشكال المبكرة للحركة العمالية أولاً - بانها اتسمت بطابع عفوي. وخصوصاً في بادئ الأمر. فالعمال لم يكونوا يفهمون بوضوح اهداف النضال. ولم تكن لديهم تنظيمات تساعد على قيادة هذا النضال. ثانياً - اتسم نضال العمال بطابع اقتصادي فقط (تقليص يوم العمل، زيادة الاجور، تحسين ظروف العمل وظروف السكن وهلمجرا). ولم يدرك العمال ضرورة خوض النضال السياسي ضد النظام القائم واحراز التغيير الجذري لوضعهم في المجتمع وتحررهم من نير واستغلال الرأسماليين. ثالثاً - اتسمت نضالات العمال بطابع محلي موضعي، حيث كانت محصورة في مؤسسات أو مناطق محدودة. ولم تكن الطبقة العاملة قادرة على تنظيم النضالات الجماهيرية التي

تشمل فروعاً إنتاجية كاملة. بل النضالات التي تشمل الامة بأسرها.
الا ان هذه النضالات المشتتة الاقتصادية العفوية، التي خاضها العمال
ضد مستغليهم، اتسمت بأهمية هائلة لا يطاق الوعي الطبقي لدى البروليتاريين
ولتوسيع نطاق نضالهم بالتدرج و لرفع مستوى تنظيم الحركة العمالية
وفاعليتها.

كانت النضالات الأولى ونجاحات الاضرابات الأولى واخفاقاتها قد
أغنت الطبقة العاملة بخبرة النضال ومهدت التربة لمواصلة تطوير هذا
النضال. وكان انشاء التنظيمات النقابية للطبقة العاملة مرحلة أولى وواحدة من
مراحل الانعطاف في تاريخ نضال البروليتاريا. فقد كانت النقابات ولا تزال
حتى الآن أوسع التنظيمات الجماهيرية للعمال. وقد ساعدت على تطوير تنظيم
الطبقة العاملة إلى درجة أعلى وعلى تزايد قوة نضالها وفعاليتها.

وأدركت الطبقات الاستغلالية بسرعة مدى الخطر الكبير الذي تشكله
النقابات عليها. ففي عام ١٧٩٩ اتخذ في انجلترا قانون ضد الائتلافات
العمالية باعتبارها « منظمات متآمرة ». ونصت هذه اللائحة القانونية على اعتبار
جميع اتحادات العمال خارجة على القانون حتى اذا لم يكن بالامكان اثبات
مساومتها في « المؤامرات » أو إلحاقها « بالخسارة » بالصناعة الخ. . بيد أن
التنكيل لم يوقف ميل العمال إلى الاتحاد. فطوال الربع الأول من القرن التاسع
عشر ظهرت في انجلترا أولى الاتحادات الوطنية العامة لعمال مختلف المهن.

وفي فرنسا اسرعت البرجوازية، حالما تسلمت السلطة، إلى تسديد
ضربة جديده إلى البروليتاريا. ففي عام ١٧٩١ اقر في البلاد قانون لاشابيليه
المناهض للعمال والذي منع الاضرابات. بيد ان شغيلة فرنسا لم يوقفوا
النضال. وفي عام ١٧٩٥ نظم شغيلة باريس انتفاضتين كبيرتين دفاعاً عن
حقوقهم. واخذت كلتاها. ولكنها تركتا انطباعاً شديداً لدى جميع التقدميين
في فرنسا.

الاشتراكية الطوباوية الانتقادية

لقد أدركت الطبقة العاملة من خبرتها الخاصة ونشاطها العملي جور
الانظمة الرأسمالية. ودفعتها السليقة إلى شن النضال ضد الرأسمال. وفي نفس
الوقت تقريباً وجهت أوساط المتعلمين والمثقفين لذلك العهد الانتقاد العقلاني
الجدي من المواقع الاجتماعية والفلسفية والانسانية إلى ضيق أفق النظام
البرجوازي وظلمه. وكانت الافكار الاشتراكية التي ظهرت آنذاك غير ناضجة
من الناحية العلمية. فقد كانت تعكس التناحرات الاجتماعية الجديدة الناشئة
ولكنها لم تكن مرتبطة بنضال البروليتاريا العملي. ومع ذلك اتسمت بأهمية غير
ضئيلة واثرت على نضال العمال تأثيراً معيناً.

كانت نظريات الاشتراكيين الطوباويين اوين وسان سيمون وفوريه قد
اتسمت، من بين النظريات الاشتراكية غير العلمية العديدة. باكثر الاهمية
بالنسبة لتثوير العمال طبقياً. فقد وجه اكبر ممثلي النزعة الاشتراكية الطوباوية في
انجلترا روبرت اوين (١٧٧١ - ١٨٥٨) الانتقاد اللاذع إلى الرأسمالية
وشجب استغلال العمال والمزاومة الرأسمالية وفاقه الجماهير. ورأى اوين السبب
الرئيسي لجميع هذه الشرور في الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وفي النقود التي
تولد الجشع والرغبة في الاثراء. وكان اوين يحلم بتكوين مجتمع في المستقبل
خال من الملكية الخاصة والطبقات والفاقة والتناقضات بين العمل البدني
والعمل الذهني. ويجب ان يكون المجتمع اللاتبقي المقبل، برأيه، اتحاداً ذا
تسيير ذاتي، ويجب ان يتم توزيع الخيرات المادية بين أفراد المشاعات حسب
حاجاتهم. ولكن اوين لم يستطع ان يتفهم قوانين التطور التاريخي ولم يتبصر
بالدور التاريخي للبروليتاريا ومواقعها الاقتصادية طوعاً وان عملية تصفية
الملكية الخاصة ستكون من كل بد أكثر ايلاماً حتى من انتقال حق الملكية من
أيدي طبقة (كالأقطاعيين) إلى طبقة أخرى (كالرأسماليين)، ولذلك رفض
الصراع الطبقي ورأى ان تصفية الرأسمالية يجب ان تتم بدون ثورة، وبنتيجة

تقدم التنوير والاخلاق وانتصار العقل السليم. ورأى اوين ان احد الطرق المؤدية إلى ذلك يتلخص في الغاء النقود واستبدالها بوسائل خاصة بالعمل. واعتقد اوين انه سيكون بالامكان تحويل التريديونيونات إلى تعاونيات انتاجية ووضع فروع الانتاج تحت اشرافها. بهذه الوسائل الطبواوية الصرف اراد اوين ان يصفي الرأسمالية ويبني المجتمع الشيوعي.

لقد ساهم اوين مساهمة نشيطة في الحركة النقابية وكسب نفوذاً كبيراً فيها. وبمبادرة منه تأسس في عام ١٨٣٤ « الاتحاد الوطني الكبير للمنتجين ». بيد ان مشاريع اوين الطبواوية منيت بالفشل. فالجمعيات التعاونية التي أسسها هو وانصاره اما انحلت واما تحولت إلى مؤسسة انتاجية رأسمالية.

وفي نفس تلك الفترة تقدم الاشتراكيان الطبواويان الفرنسيان سان سيمون وفوريه بمشاريعهما لاعادة بناء المجتمع. كان سان سيمون وفوريه قد تحذرا من الطبقات الثرية واعلنا القطيعة معها، وسلطا نقداً لاذعاً على المجتمع الرأسمالي واعربا عن جملة أفكار عبقرية بشأن المجتمع الاشتراكي المرتقب.

كان سان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥)، كما أشار انجلس، « مهتماً دوماً وفي المقام الأول بمصير اكثر الطبقات عدداً وبؤساً ». وقد انتقد سان سيمون النظام الرأسمالي ودعا إلى اعادة بناء المجتمع بحيث يؤمن لجميع الطبقات تلبية حاجاتها المادية والثقافية. وكان سان سيمون على اعتقاد ان الصناعة الكبيرة المنظمة طبقاً للتخطيط العلمي ينبغي ان تكون الاساس الاقتصادي للمجتمع الجديد. ويجب على جميع المواطنين في ظل النظام الاشتراكي، حسب رأي سان سيمون، ان يعملوا على قدر المستطاع لخير المجتمع ويحصلوا على مكافأة طبقاً للعمل الذي ينفقونه. ان فكرة امكان وجود مجتمع يعمل فيه كل شخص حسب قدراته ويكسب حسب عمله قد اتسمت باهمية ثورية كبيرة.

وكانت هناك جوانب ضعيفة في مذهب سان سيمون: فهو لم يتناول على الملكية الخاصة ولم يفهم دور البروليتاريا في تحويل المجتمع، واعتبرها فقط من « الطبقات المتضررة » ولم يعتبرها قادرة على بناء المجتمع الاشتراكي.

ولذلك توجه سان سيمون بدعوته الاشتراكية إلى ممثلي الطبقة السائدة. ولقد انكر سان سيمون، شأنه شأن اوين، النضال الثوري مهما كان، والعنف ايّ كان. وكتب يقول « ان اسلوب الاقناع هو الوحيد الذي يمكننا استخدامه لبلوغ هدفنا ».

ولقد انتقد شارل فوريه (١٧٧٢ - ١٨٣٧) النظام البرجوازي وأكد ان فائض الثروة في احد قطبي المجتمع الرأسمالي تخلقه الفاقة في القطب الثاني، وان الرأسمالية تشوه الانسان. وكان فوريه يرى ان هذا النظام غير العادل يجب ان يستبدل بنظام اشتراكي اكثر عدالة، نظام على مستوى أعلى من التطور الاجتماعي، الا وهو النظام الاشتراكي.

وكان من الضروري، برأي فوريه، بناء مجتمع يؤمن تلبية الحاجات البشرية تلبية تامة. وذلك هو مجتمع المستقبل حيث سيتمتع كل فرد فيه بحق العمل، وحيث يتحول العمل نفسه إلى حاجة ومتعة للانسان، وسوف تتفق مصالح الفرد مع مصالح المجموع، وسوف توزع الخيرات المادية بالاساس حسب العمل والموهبة.

ومن الجوانب الضعيفة في آراء فوريه، شأنها شأن آراء اوين وسان سيمون، عدم فهم دور البروليتاريا التاريخي وانكار الثورة. كان فوريه يتصور ان الدعاية السلمية لافكاره تكفي لبناء المجتمع الاشتراكي.

واحتلت مكاناً خاصاً في تاريخ الحركة العمالية المبكرة والنظريات الاشتراكية الطبواوية الحركة البابية التي ظهرت في فرنسا في اواخر القرن الثامن عشر (وسميت باسم زعيمها بابيف) والتي هي عبارة عن محاولة من البروليتاريا الناشئة للعمل حسب برنامجها الخاص الذي يختلف عن ايديولوجية البرجوازية وسياستها.

لقد أسس بابيف وانصاره تنظيمًا ثورياً سرياً استهدف الاطاحة بحكومة اعداء الثورة عن طريق انتفاضة يجري اعدادها بالسري. وتميزت آراء بابيف النظرية بتبني فكرة حتمية الصراع الطبقي. وكان بابيف يرى انه مادامت

النضالات المستقلة الأولى للبروليتاريا

بقدر تنامي الجمهور البروليتاري وتركزه وتفاقم الاستغلال الرأسمالي، وبالتالي تزايد مقاومة الطبقة العاملة له، وبقدر نشوء الكيان الاقتصادي على نطاق الأمة بأسرها وتطور الصلات بين بروليتاريي مختلف مناطق البلاد، اتسع نطاق النضال البروليتاري وتهيأت مميزات تحولته إلى نضال طبقي حقاً. وتحولت البروليتاريا، على حد تعبير ماركس وانجلز المعروف، من « طبقة بذاتها » إلى « طبقة لذاتها ».

وفي ثلاثينات واربعينات القرن التاسع عشر ظهرت البروليتاريا لأول مرة على مسرح النضال السياسي كقوة مستقلة. ودلت على ذلك انتفاضة عمال النسيج الفرنسيين في ليون في ١٨٣١ و ١٨٣٤ وحركة الشارتين في إنجلترا في الثلاثينات والاربعينات وانتفاضة عمال سيليزيا في المانية عام ١٨٤٤. وبدأت نضالات العمال العفوية تتحول بالتدريج إلى نضال سياسي مستقل.

كانت انتفاضة عمال نسيج ليون في ١٨٣١ أول انتفاضة هبت خلالها آلاف العمال بصنف متراصة في سبيل مصالحهم الطبقية ضد الاستغلاليين. وساهم في التحركات العمالية في ليون ليس عمال النسيج وحدهم، بل وكذلك عمال ورشات الاتحادات الأخرى، الذين ناضلوا في سبيل تحسين ظروف حياتهم. وفي سياق الكفاح المسلح، الذي بدأ في ٢١ تشرين الثاني ١٨٣١، رفع العمال راية خطت عليها الكلمات التالية: « الحياة في العمل أو الموت في المعركة ». واستولى الثائرون على السلطة في المدينة.

إلا أن الانتفاضة لم تخرج عن نطاق مدينة ليون. ولم يصدر من الثوار ولا نداء واحد إلى الفلاحين المجاورين، الذين كانوا يكونون مشاعر التعاطف معهم بالرغم من أنهم لم يقدموا لهم دعماً مباشراً. ولم يكن لدى الثوار برنامج اجتماعي محدد ولو لدرجة ما. كانوا مناضلين راعين باسليين منتظمين مندفعين بالحقن الطبقي على اصحاب المعامل، ولكنهم لم يكونوا يدركون اهداف

الثورة الفرنسية ١٧٨٩ - ١٧٩٤ لم تفعل شيئاً لتأمين سعادة الشعب، فيجب مواصلتها إلى ان ينتصر « الحق الطبيعي » أي حق الشعب وحق الفقراء ضد الاغنياء، والمساواة الفعلية والاموال العامة والانتاج الاجتماعي. وكان بابيف وانصاره بالذات قد اصفوا، على حد تعبير انجلز، « شكلاً محدداً » على المطامح الاجتماعية غير الواضحة آنذاك والغامضة لدرجة كبيرة لدى البروليتاريا الفرنسية الناشئة في عصر الانقلاب الصناعي الذي بدأ توأ في البلاد.

بيد ان احد الخونة وشى بالتمردين، فاعدم بابيف ونصيره المقرب دارتيه، وحكم على الاعضاء الباقين من « مؤامرة المتكافئين » بالنفي والسجن لمدة مختلفة. وكانت الحركة البابيفية قد لعبت دوراً بارزاً في تطوير الافكار الاشتراكية والشيوعية وتكوين الوعي الطبقي لدى البروليتاريا. واسفر ذلك، كما قال ماركس، « عن الفكرة الشيوعية... وهذه الفكرة هي، لدى معالجتها بدأب، فكرة النظام العالمي الجديد ».

كانت نظريات الاشتراكيين الطوباويين تتسم بطابع غير ناضج، وذلك لأنها، كما أشار مؤسس الماركسية، استجابت « للحالة غير الناضجة للانتاج الرأسمالي وللعلاقات الطبقية غير الناضجة ». ولذلك كان محكوماً عليها بأن تظهر طوباوية، وقد ظلت كذلك بالفعل. وأشار لينين إلى « ان الاشتراكية الطوباوية لم يكن بوسعها ان تدل على المخرج الفعلي. فما كان بوسعها لا ان توضح جوهر العبودية الأجيال في ظل الرأسمالية ولا ان تكشف قوانين تطورها ولا ان تجد القوة الاجتماعية القادرة على أن تصبح خالقة المجتمع الجديد ».

بيد انه كان كل من انتقاد الاشتراكيين الطوباويين للعيوب الرأسمالية، و « اجنة الافكار العبقريّة » بصدد المجتمع الجديد يقدم « مادة قيمة لأقصى حد لأجل تنوير العمال ». ولذلك فالاشتراكية الطوباوية الانتقادية، رغم نقاط الضعف فيها، قد لعبت دوراً بارزاً في ظروفها التاريخية حيث مهدت التربة لظهور وتطور افكار الاشتراكية العلمية.

نضالهم، ناهيك عن صياغتها. وقد هيأت سلبية التأثيرين الامكانية للقوى الرجعية كي تستجمع قواتها وتتسلم الامدادات من باريس وتزحف نحو ليون الثائرة. ولم يكن الدفاع عن المدينة قد نظم، ولذا سقطت بدون مقاومة تقريباً في ٣ كانون الأول.

وبالرغم من الهزيمة تركت انتفاضة ليون في ١٨٣١ انطباعاً عميقاً في فرنسا وخارجها إلى حد بعيد. وقيمها ماركس وانجلس تقييماً رفيعاً. فقد أشار ماركس إلى أن ثوار ليون ناضلوا في الواقع بمثابة «جنود للاشتراكية» مع انهم كانوا لا يدركون إلا في منتهى الغموض أهمية مثل هذه النضالات وآفاقها التاريخية.

وفي نيسان ١٨٣٤ اندلعت الانتفاضة الثانية لعمال ليون. وكان من أسبابها الرئيسية اعداد الحكومة لقانون رجعي جديد يهدد بالغاء التام «لحق الاتحادات» وبحل جميع التنظيمات السياسية للبروليتاريا والبرجوازية الصغيرة. وكان الدافع المباشر للانتفاضة محاكمة منظمي الاضراب الذي شهدته ليون في شباط ١٨٣٤. وكانت الانتفاضة قد اكتسبت منذ البداية طابعاً سياسياً وجمهوريةاً واضحاً. وكان من نقاط ضعف هذه الانتفاضة أيضاً انعزالها عن جماهير الفلاحين وانعدام القيادة المركزية الصلبة القادرة على رص صفوف الجماهير. وقد اخمدت الانتفاضة بالرغم من كفاح العمال البطولي المتفاني.

وفي ثلاثينات واربعينات القرن التاسع عشر بلغت الحركة العمالية أوسع نطاق لها في بريطانيا. وكانت الحركة الشارتية، التي نشأت بين حرفيي لندن ذوي الميول الراديكالية، أول حركة بروليتارية سياسية على نطاق بريطانيا. وصار المركز التنظيمي للشارتية رابطة عمال لندن، التي أسسها في عام ١٨٣٦ النجار لوفيت وصاحب المطبعة غيتيرينغتون واصدقاؤهما.

في عام ١٨٣٧ حرر لوفيت عريضة إلى البرلمان مطالباً بحزم باصلاح برلماني جذري. وتضمنت هذه العريضة ستة بنود: (١) دائرة انتخابية

ممتساوية، (٢) الغاء الأهلية المالية بالنسبة للنوات، (٣) الحق الانتخابي الشامل للرجال، (٤) انتخاب البرلمان سنوياً، (٥) التصويت السري، (٦) رواتب النواب. واصبح هذا البرنامج، الذي اطلق عليه اسم الميثاق الشعبي (الشارتر) مناهجاً رسمياً للحركة الشارتية، التي التفت حولها مئات الآلاف من العمال. وكان العمال يعتبرون تنفيذ بنود الميثاق وسيلة لكسب السلطة السياسية بغية تحريرهم من الاضطهاد والاستغلال.

لم تكن الحركة الشارتية متجانسة من حيث قوامها الاجتماعي، اذ تكون فيها عدة تيارات. إلا أن أغلبية عناصر البرجوازية الصغيرة تخلت عن الشارتية في سياق النضال، وخصوصاً بعد ان تعرض الشارتيون لتنكيل قاس. وفي جو اشتداد الصراع الطبقي لدرجة كبيرة تم في اجتماع مندوبي الشارتيين في مانشستر في ٢٤ تموز ١٨٤٠ الاعلان عن تأسيس الرابطة الوطنية الشارتية، وهي الحزب السياسي للشارتيين. وكان لها مجلس عام منتخب ولجنة تنفيذية منتخبة، يتجددان سنوياً. وكان جميع اعضاء الحزب يدفعون بدلات اشتراك ولديهم بطاقات عضوية. وكان الحزب يضم زهاء ٤٠٠ منظمة، وقد بلغ عدد أعضائه في عام ١٨٤٢ ٤٠ الفا. وقد التزم أعضاء الرابطة بالنضال في سبيل تنفيذ الميثاق.

واتسمت الحركة الشارتية آنذاك بطابع بروليتاري صرف. وبذل الشارتيون جهوداً لتعزيز الصلات مع التريديونيونات وتقوية نفوذهم فيها. ولهذا الغرض تم تشكيل كتل شارتية في التريديونيونات وصار الشارتيون يساهمون بنشاط اكبر في اعمال التريديونيونات وحاولوا اجتذابها إلى النضال السياسي. وتجهل الطابع الطبقي البروليتاري للحركة الشارتية في العريضة الجديدة التي قدمها الشارتيون عام ١٨٤٢، حيث تضمنت، اضافة إلى مطالب الميثاق، قضية تصفية «الاحتكارات» و«الامتيازات والمضايقات». وكان رفض هذه العريضة أيضاً قد عجل بانفجار موجة التذمر والاستياء، التي اختمرت منذ زمان بعيد. ففي تموز-آب ١٨٤٢ بلغت الحركة

الشارتية أوجها، حيث هب عمال بريطانيا عن آخرهم للدفاع عن حقوقهم. واجتاح البلاد اضراب شامل جبار لم يسبقه مثيل. وفي عدة حالات سيطر العمال على الوضع في المؤسسات الانتاجية، وأحياناً في بلدان العمال والمدن. وساهم الشارتيون العاديون. بخلافاً لبعض زعمائهم، مساهمة نشيطة في نضالات الجماهير البروليتارية هذه. إلا أن الحركة عموماً ظلت بدون قيادة كفوءة، لأن التريديونيونيين، الذي اعتادوا على طرق النضال السلمية، ظلوا عاجزين عن قيادة الجماهير التي طالبت باعمال حازمة. وبالرغم من نضال العمال البطولي الصامد انتقمت الحكومة من المضربين بقساوة. وأدى فشل الاضراب العام واخفاق العريضة إلى ركود الحركة الشارتية التي انتهت أمرها (بعد فترات النشاط في عام ١٨٤٨).

كان مبعث الشارتية بالدرجة الأولى هو المستوى الواطيء لنضوج الظروف والعوامل الموضوعية للصراع الطبقي. فالرأسمالية لم تكن قد استنفدت بعد امكانياتها للتطور الصاعد. أما البرجوازية، التي صارت تبتز ارباحاً متزايدة من التطور الصناعي ومن استغلال الشغيلة، فقد اخذت بالتدريج، وإلى جانب التنكيل القاسي بالعمال، تلجأ إلى سياسة المناورة الاجتماعية وارشاء زعماء الطبقة العاملة عن طريق زيادة الاجور والاجراءات الأخرى.

ولعبت الجوانب الذاتية أيضاً دورها السلبي. فالبروليتاريا آنذاك كانت قد دشنت لتوها عهد النضوج الطبقي. فهي عندما أعلنت القطيعة مع البرجوازية وصارت تناضل ضدها وتتخلص من الاوهام البرجوازية الصغيرة ظلت تحمل عبئاً ثقيلاً من عدم النضوج الايديولوجي وظلت ضعيفة من الناحية التنظيمية. ولم يكن لدى الشارتية برنامج اشتراكي معلل علمياً، ولم يكن جميع زعمائها قادة بروليتاريين حقاً، وكانت الخلافات فيما بينهم بشأن مسائل التكتيك غالباً ما تقضي على النهوض الجبار لدى جماهير الشغيلة.

وبالرغم من نقاط الضعف والهزائم لعبت الشارتية دوراً كبيراً ليس في

تطوير الحركة العمالية الانجليزية فحسب، بل وفي تطوير حركة البروليتاريا العالمية بأسرها. وكانت الشارتية أول حركة بروليتارية منظمة طرحت مسألة كسب الطبقة العاملة للسلطة السياسية من أجل تحريرها الاقتصادي. وبعبارة أخرى كانت الشارتية مرحلة جديدة في النضال الطبقي اتسمت بميلاد وتنامي الاستقلال السياسي للبروليتاريا. وإلى جانب ذلك كانت حركة الشارتين طليعة للشغيلة في نضالهم من أجل الديمقراطية. فقد قام الشارتيون بأول محاولة لتنظيم حزب عمالي مستقل. والشارتية، على حد تعبير لينين، هي أول حركة سياسية واسعة وجماهيرية حقاً، وأول حركة ثورية على مستوى البروليتاريا « استبقت على نحو عبقري الكثير من الماركسية المقبلة ».

وفي ألمانيا غدت انتفاضة عمال النسيج في سيليزيا عام ١٨٤٤ بداية للحركة العمالية المستقلة. كان عمال النسيج يتعرضون لاضطهاد مزدوج: فمن جهة كان يستغلهم رب العمل والمشتري بالجملة، ومن جهة أخرى كان يستغلهم الاقطاعي المحلي الذي يدفعون له الجزية لقاء حق صنع النسيج. وفي بداية الاربعينات قلص الرأسماليون المحليون تعريفات الاجرة لدى توزيع الغزل لغرض النسيج فحكموا على عمال النسيج وعوائلهم بالجوع. وكان هدفهم في ذلك هو النجاح في منافسة منتج المعامل الانجليزية.

وكانت حالة عمال النسيج عسيرة جداً في القريتين الكبيرتين بيتير سوالدار ورنغينيللاو حيث وقعت وفيات بسبب الجوع. وبدأ الغليان بين عمال النسيج. وانتشرت على نطاق واسع اغنية « المحاكمة الدموية » وهي الاغنية التي نعتها ماركس « بنداء الكفاح » لعمال سيليزيا. وكان عمال هاتين القريتين، الذين نفذ صبرهم قد انتفضوا ضد اسيادهم البغيضين. واتخذت الوحدات العسكرية بهذه الانتفاضة.

كانت انتفاضة عمال النسيج في سيليزيا قد عجلت بعملية التمايز في معسكر الديمقراطية الالمانية وساعدت على شق هذا المعسكر إلى معسكرين، بروليتاري وبرجوازي صغير. وقدم ديمقراطي البرجوازية الصغيرة تقييماً سلبياً

شديداً لانتفاضة سيليزيا. فقد حاولوا ان يثبتوا ان دفاع العمال عن المصالح
الطبقية يضعف احتجاج الشعب على نظام الحكم المطلق، على حد زعمهم.
وقدم ماركس وانجلس تقييماً آخر لانتفاضة عمال النسيج في سيليزيا. فإشار
ماركس إلى أنها لم تكن « مجرد تمرد للجوع »، بل ظاهرة ذات أهمية كبرى
وبداية للحركة العمالية المستقلة في ألمانيا. ومع ان انتفاضة عمال نسيج سيليزيا
بدأت وجرت عفواً، فقد كانت تنطوي على بعض عناصر الوعي والانظام
(محاولات تنسيق أعمال الثوار وطرح مطالب عامة وهلمجرا). وبتأثير هذه
الانتفاضة قامت في ألمانيا فضلات واضرابات عمالية عديدة.



لقد أدت عملية نشوء البروليتاريا، التي تسرعت وتيرتها جراء الانقلاب
الصناعي، إلى ظهور الطبقة العاملة على المسرح السياسي للمجتمع
الرأسمالي. وإعلنت هذه الطبقة عن نفسها في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع
عشر بطائفة من النضالات المستقلة ضد الطبقة المسيطرة - البرجوازية. وكان
ذلك، كما كتب انجلس، انعطافاً حاسماً في التاريخ. « ان الصراع الطبقي
بين البروليتاريا والبرجوازية شغل مكان الصدارة في تاريخ أكثر بلدان أوروبا
تطوراً بقدر ما تطورت هناك الصناعة الكبيرة من جهة والسيطرة السياسية التي
أحرزتها مؤخراً من جهة أخرى ».

ان نضالات البروليتاريا المستقلة التي كانت تعني بداية اتقانها لاشكال
النضال السياسية، إلى جانب خبرة النضال الاقتصادي غير القليلة المتوفرة
لديها، قد طرحت بمزيد من الإلحاح ضرورة النضال المستقل النشط في
الميدان الايديولوجي أيضاً. ومن هنا بالذات اتضح، رغم الفوارق بين
الاشكال الأولية والنتائج الملموسة للحركة العمالية في إنجلترا وفرنسا وألمانيا،
ان الأمر الرئيسي في كل مكان انما يتلخص في كشف الضعف الجذري للرصيد

الفكري لدى الحركة العمالية. وكان من الضروري وجود نظرية ثورية حقاً
ومعللة علمياً للنضال البروليتاري، نظرية من شأنها ان توضح على نحو صائب
أوضاع الطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي وأسباب الاضطهاد الذي تتعرض
له وطرق تحريرها من الظلم والاستغلال. وكان من الضروري ربط هذه
النظرية بنضال البروليتاريا الطبقي العملي. بالحركة العمالية. الا ان هذه
النظرية لم تكن موجودة آنذاك.

ان عبر هذه الفترة من تاريخ الحركة العمالية لاتزال تحتفظ بأهمية توجيهية
معينة في وقتنا الحاضر أيضاً.

أولاً - كان التطور الاجتماعي في تلك السنوات قد رشح الطبقة العاملة
باعتبارها القوة الثورية الثابتة والمتنامية حقاً والأكثر تقدماً. ولكن الطبقة
العاملة آنذاك اضطرت إلى قطع طريق شاق طويل من النضالات العفوية
المتفرقة إلى النضالات السياسية المستقلة. واليوم اذ يلقي الشيوعيون نظرة إلى
الماضي يرون بوضوح نقاط الضعف والصعوبات في الخطوات الأولى للطبقة
العاملة. ومع ان العالم قطع شوطاً بعيداً إلى الامام في تطوره، تحدث الآن
أيضاً عمليات نشوء الطبقة العاملة (في البلدان النامية في آسيا وأفريقيا)
وتستكمل صفوف الطبقة العاملة بأناس منحدرين من الفئات الاجتماعية
الأخرى في البلدان الرأسمالية الراقية والمتوسطة التطور. ومن الناحية الموضوعية
يمكن ان تقترن هذه العمليات بنفس الصعوبات ونقاط الضعف التي لازمتها
في الماضي. إلا ان البروليتاريا الفتية الناشئة، أو الامدادات الجديدة للطبقة
العاملة في هذه البلدان أو تلك، يمكنها، بالاستفادة من الخبرة التاريخية
وبالاعتماد على مساعدة الطبقة العاملة العالمية، ان تتحاشى الطريق الطويل
الصعب للانتقال من العفوية إلى الحركة المستقلة وان تدرك على نحو أسرع
بكثير ضرورة التنظيم وتفهم الرسالة التاريخية العالمية للطبقة العاملة وتناضل
بنشاط كبير في سبيل تحقيقها.

ثانياً - ان العلاقات الاجتماعية غير الناضجة وكذلك المجددين الجدد

الفصل الثاني

الشيوعية العلمية والحركة الشيوعية

يقترن ظهور النظرة العلمية إلى العالم بالنسبة للطبقة العاملة باسم المفكرين والثوريين العظميين ماركس وانجلز، اللذين بدا نشاطهما النظري والاجتماعي والسياسي في أربعينات القرن التاسع عشر. كان ميلاد الماركسية مرتبطاً بطبيعة سير التطور الاجتماعي كله. وكانت الماركسية من الناحية الفكرية - النظرية قد أعدها مجمل تطور العلوم الاجتماعية والاكتشافات الكبرى في ميدان علم الطبيعة. لقد ظهر مذهب ماركس، على حد تعبير لينين، « . . كاستمرار مباشر قويم لتعاليم اعظم ممثلي الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية ».

ومن الناحية الاجتماعية السياسية ارتبط ظهور النظرية الماركسية بترسخ اسلوب الانتاج الرأسمالي وبروز تناقضاته التناحرية وظهور طبقة ثورية جديدة صاعدة (هي البروليتاريا) على مسرح الحياة الاجتماعية وكانت هذه الاحداث تنبئ بانعطاف جذري في التطور التاريخي نحو مجتمع خال من الاستغلال والاضطهاد. ولكن تحقيق هذا الانعطاف كان مستحيلاً بدون نظرية علمية من شأنها ان تكشف عن القوانين العامة للتطور الاجتماعي وتحدد طرق ووسائل نضال البروليتاريا واهدافه وآفاقه. وهذه النظرية هي الماركسية بالذات، التي غدت، بالنسبة للبروليتاريا، سلاحاً فكرياً جباراً في النضال ضد الرأسمالية ووجدت في البروليتاريا قاعدة مادية اجتماعية لها. كان ظهور الماركسية يعني انقلاباً ثورياً في الفلسفة والاقتصاد السياسي وفي المذاهب

في الحركة العمالية والثورية عموماً يمكن ان يصحبوا، كما في السابق، قاعدة تنبثق منها النظرات والآراء الطوباوية الفجة. والمثال على ذلك بعض نظريات ما يسمى « بالاشتراكية القومية » التي ظهرت في البلدان الضعيفة التطور في آسيا وافريقيا وكذلك مختلف المشاريع الطوباوية ذات الجوهر البرجوازي الصغير التي يقترحها « اليساريون الجدد » لاعادة بناء المجتمع. ان هذه النظريات والمشاريع تشوه عادة دور الطبقة العاملة القيادي الثوري، وبذلك تتجارب مع آراء الاشتراكيين الطوباويين. لقد بينت الخبرة التاريخية بطلان وضيق أفق نظريات الاشتراكية الطوباوية الوحيدة الجانب. ان بحث مثل هذه النظريات في عصرنا الحاضر، حيث توجد ايدولوجية ثورية علمية حقاً هي الماركسية - اللينينية، لا يمكن من الناحية الموضوعية إلا ان يلحق الضرر بالحركة التحررية للبشرية. بيد ان القوى الثورية اليوم قادرة على تحاشي تكرار أخطاء الماضي وضلالات الاشتراكيين الطوباويين النظرية، وذلك لأنها تمتلك الآن امكانية الاعتماد على معرفة خبرة التاريخ والايدولوجية العلمية للشيوعية.

* * *

الاجتماعية والسياسية أي في أهم ميادين الفكر الاجتماعي .

فالماركسية تختلف اختلافاً جذرياً عن جميع التعاليم والنظريات التي سبقتها . والماركسية ، التي ظهرت قبل أكثر من مائة سنة ، لم تفقد أهميتها ، بل غدت راية لمئات الملايين من البشر . وفي الوقت الذي نرى فيه ان الكثير من نظريات الماضي اصبحت في طي التاريخ أو طواها النسيان أثبتت تعاليم ماركس وانجلس ولينين قدرتها على الحياة . بل على الانتشار في العالم أجمع . انها ايديولوجية حية شديدة البأس تتطور باستمرار وتكسب على الدوام انصاراً جديداً متزايدين . انها تعاليم عظمى يؤكدونها دائماً التطبيق الموضوعي وتحقق في ارجاء شاسعة من كوكبنا . فإين تكمن قوة الماركسية والفرق الجذري بينها وبين المذاهب النظرية الأخرى؟

في صيغتها العلمية قبل كل شيء . فالماركسية علم حقيقي يستند إلى ظواهر الحياة الموضوعية الواقعية وسنن تطورها . وليس فيها أي شيء طوباوي مبتدع . فالماركسية تعبر عن الحاجات الملحة للتطور الموضوعي وتراعيها على نحو صائب وتوضح كيفية تحقيقها . وان الصبغة العلمية للماركسية هي بالذات التي تساعدنا على التكهّن بسير التطور الموضوعي وبناتقال المجتمع من الرأسمالية إلى الاشتراكية وبالدور الثوري للطبقة العاملة كقوة قادرة على تحقيق هذا الانتقال .

ولقد اعتمد ماركس وانجلس في وضع تعاليمهما على منجزات العلم السابق كله . وإلى جانب ذلك حقاً انقلاباً ثورياً في العلم عندما وضعاً لأول مرة ايديولوجية علمية حقاً . وتشمل هذه الايديولوجية مختلف ميادين المعارف الاجتماعية . واجزاؤها المكونة الأساسية هي المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي وتعاليم الاشتراكية العلمية .

وتكمن قوة الماركسية وحيويتها كذلك في ثورتها . فهي من هذه الناحية تعكس الطابع الثوري موضوعياً لتطور المجتمع البشري . وخلافاً للنظريات الأخرى المنافية للعلم والعاجزة عن التفسير الصائب لتطور العالم والمجتمع ،

حيث تصور هذا التطور اما بشكل ارتقاء قويم (الاصلاحية) وأما بشكل طفرات اعتباطية (النزعتان المغامرة والذاتية) تقدم الماركسية تحليلاً دقيقاً لتطور الطبيعة والمجتمع . ويعود الدور الحاسم في هذا التطور للتغيرات الثورية المحتملة موضوعياً . ان الماركسية لا تكتفي بتفسير التطور الاجتماعي ، بل وتشير إلى طريق تغييره .

والخاصية الأخرى الهامة جداً المميزة للماركسية - اللينينية هي طابعها الخلاق . فخلافاً للعديد من نظريات الماضي والحاضر التي تدعى بانها تنطوي على الحقيقة الخالدة المطلقة ، وتظل في الواقع مجرد تخطيطات وعقائد مفتعلة أو محدودة ، لا تعرف الماركسية أي جمود عقائدي ولا أي تمسك بالتخطيطات والاحكام التي أكل الدهر عليها وشرب . فالماركسية هي مذهب يتطور دوماً ويتجدد باستمرار على أساسه المبدئي ويراعي ظواهر الحياة الجديدة . وفي ذلك « سر » فتوتها وحيويتها الابديتين .

وتتميز الماركسية كذلك بخاصية أخرى هي الاممية . ويعزى ذلك إلى انها تعبر ليس فقط عن مصالح عمال بلد معين ، ليس فقط عما يسمى بمصالحهم الوطنية ، بل عن المصالح الاعم لعمال العالم أجمع . ولذلك فالعمال وجميع الشغيلة في ارجاء المعمورة يدركون (ولو بالتدريج) ان الماركسية هي مذهبهم ، وان هذا المذهب وحده الذي يقدم لهم لسلح الحقيقي في النضال من أجل مصالحهم الطبقية .

وتتميز الماركسية بالجمع الوثيق بين النظرية والتطبيق . ولا يقتصر الأمر هنا على ان الماركسية تستند إلى تحليل الحياة الواقعية وتعتني دوماً بالتطبيق . فالقضية كذلك هي ان الماركسية اداة للتحويل الثوري للعالم . فطالما ان الماركسية نظرية ثورية فانها تنير الطريق امام الممارسة الثورية وتسليحها بالفهم الواضح لاهداف الحركة وآفاقها . فبدون النظرية الثورية لا يمكن وجود الحركة الثورية ، على حد تعبير لينين . ولم يصغ ماركس وانجلس تعاليمهما « كعلم صرف » ، بل استخدمها فوراً كسلح في نضال الطبقة العاملة

الثوري التطبيقي. وأصبحت الماركسية منذ ظهورها سلاحاً جباراً في أيدي البروليتاريا الطليعية للنضال ضد الرأسمالية وفي سبيل انتصار الاشتراكية.

التعليل العلمي للرسالة التاريخية العالمية للطبقة العاملة وحتمية الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية

ان اهم فضل لماركس وانجلز يتلخص في انها حولا الاشتراكية من طوباوية إلى علم بالاستناد إلى التحليل العميق الشامل لتطور المجتمع البشري. وجرى عرض افكار الاشتراكية العلمية بشكلها المتكامل، لأول مرة، ولو بشكل مكثف، في «بيان الحزب الشيوعي» الشهير الذي حرر في كانون الأول ١٨٤٧ - كانون الثاني ١٨٤٨ ونشر في شباط ١٨٤٨. وتكمن القوة الهائلة « لبيان الحزب الشيوعي » في اثبات حتمية الاشتراكية، التي تؤدي إلى انهيار الرأسمالية، وفي تعليل الرسالة التاريخية العالمية للطبقة العاملة باعتبارها حفارة قبر الرأسمالية وبانية المجتمع الاشتراكي.

ويستخلص ماركس وانجلز حتمية الانتقال الثوري إلى الاشتراكية من تحليل سنن تطور المجتمع الرأسمالي، وكان الدور التقدمي للبرجوازية في التاريخ يتلخص في تصفية سيطرة العلاقات القطيعية وفي انشاء القوى المنتجة الجبارة والسوق العالمية. بيد ان تطور الرأسمالية قد كشف بسرعة كبيرة نسبياً عن التناقض التناحري الملازم لها، أي التناقض بين الطابع العام للانتاج وبين الشكل الخاص لتملك المنتجات، وكذلك التناقضات التناحرية الأخرى. وبقدر تطور القوى المنتجة واتخاذها الطابع العام استنفدت البرجوازية دورها التقدمي واصبحت عائقاً امام مواصلة تطور المجتمع البشري. وكان التقدم الفعلي اللاحق في تطور المجتمع قد تطلب تذليل التناقضات الجذرية الملازمة للرأسمالية، وإزالة الملكية الرأسمالية الخاصة واستبدالها بالملكية العامة لوسائل الانتاج. ولم يكن بالامكان تحقيق ذلك الا كنتيجة للثورة الاشتراكية

وتصفية سلطة البرجوازية وبناء المجتمع الاشتراكي. وقد علمنا ماركس وانجلز ان استبدال الرأسمالية بالاشتراكية هو نتيجة حتمية لا بد منها لتطور المجتمع الرأسمالي وتناقضاته.

وابت ماركس وانجلز ان البرجوازية لم تخلق القوى المنتجة الجبارة فحسب « ولم تصنع السلاح الذي يحمل الموت لها فحسب، بل ولدت الناس الذين سيوجهون هذا السلاح ضدها، أي العمال المعاصرين، البروليتاريين ». وقدم مؤسس الماركسية في « البيان الشيوعي » تحليلاً رائعاً للدور التاريخي العالمي للبروليتاريا باعتبارها اكثر الطبقات ثورية، والطبقة المدعوة إلى تصفية النظام الرأسمالي وبناء المجتمع الجديد - الاشتراكية والشيوعية.

وخلافاً للاشتراكيين الطوباوين ومختلف انواع اصلاحي البرجوازية والبرجوازية الصغيرة اعتقد ماركس وانجلز ان استبدال الرأسمالية بالاشتراكية لا يمكن ان يتحقق الا عن طريق التحويل الجذري لكل الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع - عن طريق الثورة الاجتماعية. ونعتنا هذه الثورة بالثورة البروليتارية (لأن البروليتاريا كانت مدعوة إلى تحقيقها) أو بالثورة الاشتراكية (لأن هدفها كان بناء الاشتراكية).

ان المسألة الرئيسية للثورة، كما تعلمنا الماركسية، هي مسألة السلطة السياسية. فقد أكد ماركس وانجلز ان من غير الممكن تخطيط العلاقات البرجوازية الا بنتيجة اسقاط البرجوازية بالعنف وتحويل البروليتاريا إلى طبقة مهيمنة وتركيز جميع وسائل الانتاج في أيدي « الدولة، أي البروليتاريا المنظمة كطبقة مهيمنة ».

ان الحكم المعلن في « البيان الشيوعي » بشأن الرسالة التاريخية العالمية للبروليتاريا كطبقة ثورية حقاً مدعوة إلى اسقاط النظام الرأسمالي وتحقيق الثورة الاشتراكية وبناء مجتمع جديد خال من الاستغلال والاضطهاد قد أثبتته كلياً سير التاريخ، فالطبقة العاملة، التي كانت عند صدور « البيان الشيوعي »

تخطو خطواتها الأولى كقوة اجتماعية، صارت اليوم تشغل مكان الصدارة في هذا العصر. وخلافاً لمختلف أنواع النظريات التي تروج ضد الماركسية بشأن « فقدان الطبقة العاملة لثورتها » و « برجزة الطبقة العاملة »، والزعم بأن الطبقة العاملة لن تقبل الوعي الثوري بل و « تتلاشى » على العموم كطبقة، تدل الوقائع الفعلية على العكس. فالطبقة العاملة تنمو وتتعزيز وتنظم وتعمل كقوة ثورية قيادية وتحرز مواقع جديدة دوماً في العالم.

نضال ماركس وانجلس في سبيل انشاء حزب بوليتاري ثوري

من أعظم مآثر ماركس وانجلس انها وضعا أسس تكوين الحزب الثوري للطبقة العاملة - الحزب الشيوعي. « فلكي تكون البروليتاريا في اللحظة الحاسمة قوية لدرجة كافية ولكي تنتصر من الضروري... ان تشكل حزباً خاصاً منفصلاً عن جميع الاحزاب الأخرى ومواجهاً لها ومدركاً لنفسه كحزب طبقي » كما قال انجلس.

وأشار ماركس وانجلس في « البيان الشيوعي » إلى أن الحزب الشيوعي مدعو لأن يكون القسم الأكثر طليعية وحزماً من البروليتاريا وان يحثها دوماً على السير إلى أمام. ومن الناحية النظرية يعتبر الشيوعيون القسم الأكثر اعداداً من الطبقة العاملة والذي يتميز بتفهمه لظروف الحركة البروليتارية وسيرها ونتائجها العامة. ان آراء الشيوعيين النظرية ومبادئهم ليست مفتعلة وليست معزولة عن الحياة والتطبيق، بل هي، على العكس، تجسد علاقات الصراع الطبقي الواقعية.

وقد أكد ماركس وانجلس ان الحزب الشيوعي الذي هو طليعة الطبقة العاملة لا يضع نفسه على طرفي نقيض مع المنظمات الأخرى للطبقة العاملة. فاختلافه عن المنظمات الأخرى يكمن في انه المعبر عن مصالح البروليتاريا

ككل في جميع مراحل تطورها، وليس عن مصالح قسم منها. فالشيوعيون يدافعون في نضال بوليتاري مختلف البلدان عن المصالح المشتركة للبروليتاريا جمعاء، بغض النظر عن الانتفاء القومي. وبعبارة أخرى فالشيوعيون يعملون كقوة أمية تعكس وحدة الظروف الاجتماعية للبروليتاريا العالمية جمعاء وكذلك وجود العدو المشترك والاهداف المشتركة لدى الطبقة العاملة في جميع البلدان.

وقد صاغ ماركس وانجلس في « البيان الشيوعي » جملة مبادئ أساسية لاستراتيجية وتكتيك الاحزاب البروليتارية. ومن أهمها « ان الشيوعيين يناضلون في سبيل الاهداف والمصالح القريبة للطبقة العاملة، ولكنهم في الوقت ذاته يذودون في حاضر الحركة عن مستقبلها أيضاً ». وينطلق الشيوعيون، لدى وضع سياستهم، من التحليل الملموس للظرف التاريخي المعني ومن المضمون الموضوعي للثورة المرتقبة ومن تناسب القوى الطبقية في البلد المعني. علمًا بأن الشيوعيين كما يؤكد « البيان الشيوعي »، « يؤيدون في كل مكان أية حركة ثورية موجهة ضد النظام الاجتماعي والسياسي القائم ». وبديهي انهم يأخذون بعين الاعتبار عدم ثبات هذه الحركات وضيق الافق الطبقي الملازم لها غالباً.

وكان ماركس وانجلس يعتقدان ان اكبر مهمة للحزب الثوري هي ربط النظرية العلمية الثورية بالحركة العالمية الجماهيرية. وهذا الشرط فقط تستطيع الطبقة العاملة ان تدرك رسالتها التاريخية وتصبح قوة محرك واعية للثورة ولبناء المجتمع الجديد.

ولم يكتف ماركس وانجلس بوضع تعاليم الحزب الشيوعي نظرياً، بل رأيا ان مهمتهما هي تأسيس هذا الحزب عملياً. وكانا يريان ان الشرط الضروري لذلك هو نشر أفكارهما بين الثوريين في مختلف البلدان. ولهذا نظم ماركس وانجلس في ربيع ١٨٤٦ لجان المراسلين الشيوعيين في بروكسل وبعض المدن الاوربية الأخرى. وقد ساعد نشاط هذه اللجان على نشر أفكار

الشيوعية العلمية وغدا مرحلة ضرورية في النضال من أجل بناء الحزب البروليتاري.

وكان الجانب الهام الآخر من نشاط ماركس وانجلس في تأسيس الحزب هو انتقاد مختلف النظريات الاشتراكية الزائفة، المنافية للعلم والتي انتشرت في الحركة العمالية الاوربية. وقد وجه ماركس وانجلس الانتقاد اللاذع للآراء الخاطئة، التي ابداهها ويتلينغ، الذي اعتقد ان اللمين - بروليتاريا هي القوة الأكثر ثورية واعتبر الثورة انفجاراً عفواً. وكان في الواقع معارضاً لتأسيس حزب ثوري. ومع ان مؤلفات ويتلينغ النظرية اتسمت في مرحلة معينة بأهمية تاريخية باعتبارها « أول حركة نظرية مستقلة للبروليتاريا الالمانية » فان آراءه في ظروف ظهور الاشتراكية العلمية شوشت اذهان العمال والهتهم عن طرق النضال الصائبة.

وفي الوقت ذاته خاض ماركس وانجلس النضال ضد « الاشتراكية الحقيقية »، كلون من البوان اشتراكية البرجوازية الصغيرة. كان انصار « الاشتراكية الحقيقية » يصفون طابعاً مطلقاً على الأنظمة ما قبل الرأسمالية وكانوا ينتقدون الرأسمالية من هذه المواقع ويستعيزون عن النضال الطبقي بالدعوة الخيرية للحب والاخوة الشاملة.

ان نشاط ماركس وانجلس النظري والسياسي ونضالهما ضد نظريات البرجوازية الصغيرة المنافية للعلم قد هيا الظروف الملائمة لظهور أول تنظيم شيوعي بروليتاري دولي في عام ١٨٤٧ هو عصبة الشيوعيين. ولقد ظهرت هذه المنظمة على أساس « اتحاد العادلين » التمرد السري، الذي كان قائماً في السابق. وبتأثير ماركس وانجلس اختارت عصبة الشيوعيين مبادئ الاشتراكية العلمية كأساس لنشاطها السياسي والتنظيمي.

وكان المؤتمر الأول لعصبة الشيوعيين، الذي عقد في لندن في حزيران ١٨٤٧، قد أقر النظام الداخلي. وجاء في المادة الأولى، التي صاغها انجلس « ان هدف العصبة هو الاطاحة بالبرجوازية وتحقيق سيطرة البروليتاريا وتحطيم

المجتمع البرجوازي القديم المبني على التناحر وانشاء المجتمع الجديد بدون طبقات وبدون الملكية الخاصة ».

وأصبحت المركزية الديمقراطية المبدأ التنظيمي الاساسي لبناء العصبة ونشاطها. وكان اعضاء العصبة منضمين إلى تنظيمات القاعدة الموحدة في دوائر ترأسها لجان الدوائر. والهيئة العليا للعصبة هي المؤتمر، واللجنة المركزية بين مؤتمرات. ومع ان الاتحاد كان سرياً (لم يمكن وجوده على غير ذلك في تلك الظروف) الا انه مارس نشاطه كمنظمة ديمقراطية تجري فيها بانتظام انتخابات الهيئات القيادية. واقرت الديمقراطية بالمركزية الضرورية. فالهيئات السفلى كانت خاضعة للهيئات الأعلى.

وهكذا اكتشفت الماركسية لأول مرة في التاريخ اهم مبدأ للبناء التنظيمي للحزب الثوري حقاً. وكان الجمع بين الديمقراطية والمركزية قد جعل المنظمة الشيوعية للبروليتاريا موحدة وقادرة على النضال، وفسح المجال رجباً امام مبادرات كل عضو من اعضائها المتكافئين. ومنذ ذلك الحين يلتزم الشيوعيون دوماً بمبدأ المركزية الديمقراطية في بناء حزبهم.

كان المؤتمر الأول لعصبة الشيوعيين قد تخلى عن الشعار اللاطبيقي لاتحاد العادلين - « جميع البشر أخوة! ». وبدلاً من ذلك الشعار ظهر الشعار الطبقي البروليتاري الذي طرحه ماركس وانجلس: « ياعمال العالم اتحدوا! » والذي تجلى فيه المبدأ الاساسي للاممية البروليتارية - فكرة وحدة وتلاحم الطبقة العاملة في سبيل النضال المشترك ضد الرأسمال.

وأصبح « بيان الحزب الشيوعي » برنامجاً لعصبة الشيوعيين. ومارس ماركس وانجلس القيادة النظرية والسياسية للعصبة.

استراتيجية الشيوعيين وتكتيكهم في الثورة البرجوازية الديمقراطية ١٨٤٨ - ١٨٤٩ في ألمانيا

تتميز خبرة الحركة العمالية والشيوعية بأهمية كبيرة في فترة الثورات البرجوازية الديمقراطية ١٨٤٨ - ١٨٤٩ في عدد من البلدان الأوروبية (فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، النمسا، المجر وغيرها). وفي تلك الفترة ابدى ماركس وانجلز اهتماماً كبيراً بالمسائل النظرية والعملية لقيادة نشاط الثوريين الألمان.

وبعد اندلاع الثورة في فرنسا في شباط ١٨٤٨ نوقشت على نحو حاد بين الثوريين الألمان المهاجرين في باريس مسألة طرق تطوير الثورة في ألمانيا وتكتيك الكفاح الثوري. وحظيت باقبال كبير فكرة تشكيل فريق مسلح ينبغي عليه، برأي منظميه، ان يشعل لهيب الثورة في ألمانيا. وكان ذلك نوعاً فريداً من أنواع فكرة «تصدير الثورة». وقد عارض ماركس وانجلز «هذا اللعب بالثورة» معارضة حازمة. وكتب يقولان: «ان القيام بتدخل في ألمانيا، في معان الغليان الجاري هناك، بغية فرض الثورة بالعنف من الخارج يعني نفس الثورة في ألمانيا ذاتها وتعزيز سلطة الحكم وتسليم افراد الفريق مجردي السلاح... إلى القوات الألمانية البرجوازية» وجهد ماركس وانجلز لاقتناع العمال الألمان بان لا ينخرطوا في هذا الفريق. وبأن يعودوا فرداً فرداً إلى الوطن وينخرطوا في النضال النشط هناك. وبهذه الطريقة امكن ارسال ٣٠٠ - ٤٠٠ عامل، أغلبهم من أعضاء عصبة الشيوعيين، والذين ساهموا مساهمة نشيطة في الاحداث الثورية في ألمانيا*.

★ تجدر الإشارة إلى ان ماركس وانجلز فيها بعد، ثم لينين وجميع الماركسيين الحقيقيين عارضوا مختلف اشكال نظرية «تصدير الثورة» وذلك لأن هذه «النظرية»، على حد تعبير لينين، «تعارض كلياً مع الماركسية التي ترفض «دفع» الثورات، التي تتطور في كل بلد بقدر تزايد حدة التناقضات الطبقية التي تولد الثورة» (لينين، المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٥، ص ٤٠٣).

ابان الثورة الألمانية، التي بدأت في آذار ١٨٤٨، جوهت مهمة تصفية النير الاقطاعي الملكي المطلق وتوحيد البلد المجزأ من الناحيتين السياسية والاقتصادية في دولة وطنية موحدة. وازاء ذلك وضع ماركس وانجلز، بتكليف من اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين، «مطالب الحزب الشيوعي في ألمانيا» - البرنامج السياسي للشيوعيين في الثورة البرجوازية الديمقراطية. وانطلقت هذه الوثيقة من التحليل العلمي للوضع السياسي وتناسب القوى الطبقية ومضمون الثورة. وكان المطلب الجذري للوثيقة هو تأسيس جمهورية ديمقراطية موحدة في ألمانيا. وكان من شأن ذلك ان يساعد على استكمال تكوين الامة الألمانية وتهيئة الاساس لتوحيد جهود الطبقة العاملة على صعيد الامة. وجرى ربط النضال في سبيل وحدة ألمانيا ربطاً عضوياً بالنضال في سبيل اشاعة الديمقراطية في النظام السياسي كله. ولهذا الغرض طرحت المطالب التالية: الحق الانتخابي العام لجميع المواطنين الذين بلغوا الحادية والعشرين من العمر، مكافأة نواب البرلمان «لكي تنهياً للعامل أيضاً امكانية العضوية في برلمان الشعب الألماني»، تسليح الشعب بأسره بدلاً من الجيش الدائم، إلرافعات القضائية المجانية، فصل الكنيسة كلياً عن الدولة. وفي ميدان العلاقات الزراعية كانت المهمة الرئيسية هي تصفية الملكية الاقطاعية للأرض والفروض الاقطاعية. ولهذا الغرض طرحت مطالب احالة الأراضي الواقعة في حوزة الاقطاعيين إلى ملكية الدولة، وكذلك جميع المناجم والمقالع وغيرها، وتصفية السخرة والجزية وسائر الاتاوات الاقطاعية بدون تعويض؛ وممارسة الزراعة في الأراضي المؤتممة لصالح المجتمع بأسره وعلى نطاق كبير وبأحدث الاساليب العلمية. وبغية الحد من احتمالات الاستغلال الرأسمالي للفلاحين - المالكين الصغار والمستأجرين - كان هناك مطلب باعتبار الرهون العقارية على أراضي الفلاحين ملكية للدولة الديمقراطية. ونصت «المطالب» كذلك على عدد من الاجراءات الديمقراطية التقدمية الأخرى: استبدال جميع البنوك الخاصة ببنك للدولة، وتأميم السكك

الحديدية والبواخر والبريد، وتحديد الميراث، واستخدام تعريفات مرتفعة للضريبة التصاعدية والغاء الضرائب على السلع الاستهلاكية، واستحداث الورشات الوطنية والضمان الحكومي للعمل لجميع العمال ورعاية العاجزين عن العمل، وتطبيق التعليم العام المجاني.

ويتضح مما ذكرنا ان «المطالب» نصت على اجراء تحويلات ديمقراطية مناهضة للاقطاع. وكان ذلك برنامجاً جريئاً وواقعياً في الوقت ذاته. فقد راعى مراعاة عميقة متطلبات الحركة الثورية واستعداد الجماهير الواسعة للنضال، وكان في الوقت نفسه بعيداً عن محاولات الاستعجال والقفز عبر مراحل الثورة. وكان من شأن تنفيذ الاجراءات الواردة في «المطالب» على يد القوى الموحدة للطبقة العاملة وبرجوازية المدن والفلاحين ان يشكل، برأي ماركس وانجلز، مرحلة هامة في النضال من أجل تحرير البروليتاريا تحريراً تاماً وتصفية الملكية الخاصة الرأسمالية وانتصار الثورة البروليتارية.

وكانت في الواقع أول نموذج «المطالب» للبرنامج الديمقراطي للحركة العمالية، كما كانت تعبيراً عن المبدأ النظري والاستراتيجي الهام جداً للماركسية، مبدأ الربط بين النضال في سبيل الديمقراطية والنضال في سبيل حل المهام الاجتماعية الجذرية للحركة البروليتارية. وتدل الخبرة التاريخية على ان الشيوعيين، منذ فترة ميلاد حركتهم، عملوا كأكثر القوى الديمقراطية وأكثر المناضلين ثباتاً في سبيل الديمقراطية وفي سبيل المصالح الوطنية الحقة لبلدهم. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن تشكل المهام الديمقراطية الجزء الأهم الذي لا يتجزأ من برنامج ونشاط الحزب الشيوعي. ويربط الشيوعيون المتمسكون بوصايا مؤسسي الماركسية - اللينينية، ربطاً وثيقاً بين تحقيق هذه المهام وبين النضال في سبيل الاشتراكية.

في مستهل نيسان ١٨٤٨ وصل ماركس وانجلز إلى ألمانيا ليساهما مباشرة في النضال الثوري. وحاولا ان يشكلا هناك، على أساس جماعات عصابة الشيوعيين، تنظيمًا سياسيًا جماهيريًا للعمال الألمان، إلا أن هذه المحاولة

أخفقت. فان تحلف البروليتاريا الألمانية، الناجم عن التخلف السياسي والاقتصادي العام وشتى طباع البرجوازية الصغيرة في ألمانيا، قد حالاً دون تحويل عصابة الشيوعيين إلى حزب سياسي جماهيري للطبقة العاملة. وفي هذا الوضع وجه زعماء العصابة وجميع الشيوعيين جل اهتمامهم إلى المنظمات الجماهيرية العلنية والصحف ذات الطابع الديمقراطي العام. وكان ماركس وانجلز وانصارهم، وهم يناضلون في سبيل الخط السياسي الرامي إلى انتصار الثورة البرجوازية الديمقراطية، قد سعوا إلى رص صفوف جميع القوى السياسية الديمقراطية والفئات الواسعة من سكان ألمانيا، واتخاذ مواقع لهم في الجناح اليساري للحركة الديمقراطية.

وفي غضون أيار ١٨٤٨ - أيار ١٨٤٩ احتلت «جريدة الراين الجديدة»، التي صار ماركس رئيساً لتحريرها، مكان الصدارة في نشاط ماركس وانجلز. وهي كانت تصدر في كولونيا باعتبارها «لسان حال الديمقراطية»، ولكنها في الواقع كانت لسان حال عصابة الشيوعيين. وركزت نضالها ضد القوى الرجعية السافرة وضد النظام الملكي المطلق والاقطاعية، وناضلت في الوقت ذاته ضد البرجوازية الكبيرة المناوئة للثورة منذ البداية والتي «عقدت حلفاً دفاعياً وهجومياً مع الرجعية بسبب الخوف من الشعب». وعن طريق «جريدة الراين الجديدة» دعا ماركس وانجلز الجماهير إلى بناء سلطة ثورية حقاً قادرة على كنس مخلفات القرون الوسطى البالية والقضاء على النظام الملكي وعلى الاقطاعيين وتأمين انجاز الثورة البرجوازية الديمقراطية على نحو مظفر.

وعلى صفحات الجريدة دعا ماركس وانصاره بحزم إلى الحل الجذري للمسألة الزراعية بالشكل الوارد في «المطالب». ومراعاة لمصالح أوسع فئات الفلاحين استكملت الجريدة البرنامج الزراعي حيث طالبت بتجزئة قسم من العقارات الكبرى بغية توزيع الأراضي على الفلاحين الذين لا يملكون الأرض أو يملكون القليل منها. وهكذا استمرت في مقالات «جريدة الراين الجديدة»

معالجة تكتيك تحالف البروليتاريا مع الفلاحين في الثورة البرجوازية الديمقراطية.

كانت « جريدة الراين الجديدة » المركز الفكري - السياسي والتنظيمي للنضال الثوري وكانت بمثابة مقر ثوري فريد. وكانت هيئة تحرير الجريدة، التي حلت في الواقع محل اللجنة المركزية، قد مارست توجيه نشاط أعضاء عصابة الشيوعيين. وسعى ماركس وانجلس من خلال الجريدة إلى تأمين الوحدة الفكرية والسياسية للشيوعيين وتعليمهم في الوقت ذاته الرد بصورة منسقة على جميع الاحداث الكبرى بالنسبة لالمانيا. ولما كانت الجريدة أوسع وسيلة لتربية البروليتاريا وطلبيتها سياسياً فقد مهدت التربة لتأسيس حزب جماهيري للعمال الالمان في المستقبل.

لقد عملت « جريدة الراين الجديدة » طوال فترة وجودها بثبات من المواقع الاممية حيث زادت عن افكار التضامن الكفاحي لثوريي جميع البلدان. وقد دأبت على تأكيد الاهمية الثورية للحركة الديمقراطية البولونية واعربت عن تعاطفها الحار مع الانتفاضة التشيكية في براغ في أواسط حزيران ١٨٤٨ وأكدت الاهمية التاريخية لانتفاضة حزيران لعمال باريس ودعمت الانتفاضة الشعبية في فيينا وأيدت بنشاط الحركة الثورية في المجر وإيطاليا وفضحت باستمرار دسائس ونشاط جميع فصائل الرجعية الأوروبية من القيصرية الروسية حتى النظام الملكي المطلق في بروسيا والنمسا.

كان اصدار « جريدة الراين الجديدة » أول تجربة جديدة لنشاط الشيوعيين في مطبوعات دورية. ويمكن اعتبار هذه الجريدة، من تلك الناحية، أول جريدة بروليتارية ثورية. وبيئت هذه التجربة ان الجريدة بالنسبة للشيوعيين هي، على حد تعبير لينين، محرك وداعية ومنظم جماعي. ومنذ ذلك الحين يسعى الشيوعيون إلى استخدام المطبوعات الدورية ووسائل الاعلام الأخرى باوسع مايمكن لصالح الجماهير الكادحة.

وكانت مساهمة الشيوعيين في عمل المنظمات الديمقراطية والعمالية في

أراضي القسم الأكبر من المانيا حلقة هامة في نشاطهم. فقد انضم ماركس وأنصاره إلى الجمعية الديمقراطية، التي تأسست في كولونيا أواخر نيسان. ١٨٤٨، وأنضم الشيوعيون العاملون آنذاك في المدن الالمانية الأخرى إلى المنظمات الديمقراطية المحلية، التي كانت تضم عادة العمال إلى جانب البرجوازية الصغيرة ويمثلي بعض أوساط البرجوازية. وهيات مساهمة الشيوعيين في الجمعيات الديمقراطية فرصة التأثير النشط على جماهير العمال، وكذلك اقامة التعاون مع ديمقراطيي البرجوازية الصغيرة. وإلى جانب ذلك احتفظ الشيوعيون باستقلال مواقعهم السياسية. واتسم بأهمية كبيرة أيضاً نشاط الاتحاد العمالي الكولوني، الذي تزعمه ماركس من أواسط تشرين الأول ١٨٤٨ حتى شباط ١٨٤٩. وأبدى الاتحاد العمالي اهتماماً كبيراً بمسائل التربية الفكرية والسياسية للعمال.

ومنذ بداية الثورة في المانيا واجه ماركس وأنصاره تيارين فكريين سياسيين خطرين للبرجوازية الصغيرة في الحركة العمالية. تجلّى الأول في النزعة الانعزالية المغامرة ومثله غوتشالك الذي تزعم الاتحاد العمالي الكولوني حتى تموز ١٨٤٨، والذي عارض مساهمة العمال في الحركة الديمقراطية، طارحاً شعاراً مغامراً هو اقامة « الجمهورية العمالية » فوراً، داعياً العمال إلى مقاطعة انتخابات الجمعية الوطنية.

وارتبط التيار الثاني باسم ستيفان بورن، الذي أسس في برلين منظمة « الاخوة العمالية » التي ظلت على حد تعبير انجلس، « بعيدة عن الحركة السياسية العظمى للبروليتاريا ». كان بورن، المعادي لنضالات البروليتاريا السياسية المستقلة، قد ركز انظار العمال والحرفيين على الحاجات الاقتصادية اليومية فقط، صارفاً اياهم عن المهام السياسية العامة، التي كانت تواجه الشعب الالمانى. وكان يسعى إلى تحقيق الاصلاحات الطفيفة وتنظيم المعونة المتبادلة والتعاونيات العمالية وهلمجرا. وكان يؤكد بأن اصحاب المعامل الالمان يمدون إلى العمال في المانيا « يد الود للاتفاق ».

ان ظهور هذين التيارين وغيرهما من تيارات البرجوازية الصغيرة في المانيا لم يكن من قبيل الصدفة. فهذه الظاهرة كانت تعود إلى عدم تجانس البروليتاريا وتعدد فئاتها وإلى انخراط عناصر البرجوازية الصغيرة المفلسة في صفوفها. كان الشيوعيون ولا يزالون ينادون بوحدة الطبقة العاملة وتحالفها مع الفئات الوسطى من سكان المدن والارياف. وهم يعتبرون توسيع القاعدة الاجتماعية للنضال الطبقي، عن طريق اجتذاب فئات جديدة متزايدة اليه، ظاهرة ايجابية. ولكنهم ناضلوا في زمن ماركس كما يناضلون اليوم بحزم ضد الآراء والمواقف اليسارية المغامرة وكذلك ضد الاصلاحية لدى فئات البرجوازية الصغيرة والجماعات المختلفة من الطبقة العاملة. ذلك لأن هذه الآراء اما ان تصرف العمال عن النضال ضد البرجوازية أو تحكم على هذا النضال بالهزيمة كنتيجة للمؤامرة. إن تجربة نضال ماركس وانجلز ضد مواقف غوتشالك وبورن ذات اهمية كبيرة بهذا الخصوص. فهي تدل على أن السير الى الامام غير ممكن بدون خوض النضالات ضد الانتهازيين اليمينيين و « اليساريين ».

واعتباراً من خريف ١٨٤٨ انتقلت الرجعية في المانيا إلى الهجوم النشط على قوى الثورة. وفقدت البرجوازية الالمانية نهائياً آخر شحنات المعارضة وانتقلت كلياً إلى مواقع الثورة المضادة. واشتد تذبذب البرجوازية الصغيرة وظهر بوضوح متزايد عجزها وترددتها وتراجعها. وفي الوقت ذاته ارتفع الوعي السياسي للبروليتاريا وازداد طموحها إلى الاستقلال والوحدة (الأمر الذي ساعد عليه دون شك نشاط ماركس وانجلز وانصارهما). وأخذت تتكون في مختلف أنحاء المانيا اتحادات عمالية اقتصادية وسياسية. واتخذت المؤتمرات، التي عقدتها هذه الاتحادات في شتاء ١٨٤٩ وربيعة، قرارات بعقد مؤتمر عمالي لعموم القطر بغية تأسيس اتحاد لعمال المانيا كلها، اتحاد من شأنه أن يتوخى تحقيق الأهداف الاجتماعية والسياسية على حد سواء. ونظراً لهذه الاتجاهات الجديدة للحركة العمالية نادى ماركس وانجلز في

نيسان ١٨٤٩ بتأسيس منظمة عمالية تشمل الأمة بأسرها، وكانا يأملان بتحويل مثل هذه المنظمة إلى حزب سياسي جماهيري للبروليتاريا. ورغبة في العمل على تحقيق الاستقلال الفكري والسياسي والتنظيمي التام للعمال اتخذ ماركس وانصاره في ١٤ نيسان ١٨٤٩ قراراً بالانفصال التنظيمي عن ديمقراطي البرجوازية الصغيرة وبخروج الشيوعيين من الجمعيات الديمقراطية. ولم يكن هذا القرار يعني تخلي الشيوعيين عن التحالف السياسي بين البروليتاريا وديمقراطية البرجوازية الصغيرة. ولكن هذا التحالف كان ينبغي في الظروف الجديدة أن يتخذ شكلاً جديداً هو وحدة العمل بين تنظيمين مستقلين.

بيد أن انتصار الثورة المضادة ومانتج عنه من نفى ماركس وأنصاره من المانيا وغلق « جريدة الراين الجديدة » وتصفية حرية الصحافة وحرية الرأي وحق تنظيم الاتحادات - كل ذلك حال دون تشكيل حزب سياسي مستقل للطبقة العاملة في تلك الفترة.

« عصابة الشيوعيين » بعد الثورة

تعميم ماركس وانجلز لخبرة وعبر ثورات ١٨٤٨ - ١٨٤٩

بعد هزيمة الثورة البرجوازية الديمقراطية في المانيا استخلص ماركس وانجلز من تحليل خبرتها عدة استنتاجات مبدئية جذرية بالنسبة لنظرية نضال البروليتاريا الطبقي واستراتيجيته وتكتيكه. وعرضاً هذه الاستنتاجات، مثلاً، في « نداء اللجنة المركزية إلى عصابة الشيوعيين »، وهو النداء الذي كتب في آذار ١٨٥٠.

كانت الفكرة الأساسية في « النداء » هي إن المهمة الرئيسية للشيوعيين تلتخص في تأسيس حزب عمالي مستقل « عليه أن يعمل بأكبر قدر ممكن من الاستقلال ». وأكد « النداء » ان البروليتاريا وحزبها يجب أن ينفصلا عن

ديمقراطية البرجوازية الصغيرة فكرياً وتنظيماً. ولذلك اتسم بأهمية خاصة مطلب « تشكيل تنظيم سري وعلمي مستقل للحزب العمالي وتحويل كل جماعة إلى مركز ونواة للاتحادات العمالية، التي يمكن أن يناقش فيها موقف البروليتاريا ومصالحها في معزل عن التأثيرات البرجوازية ».

وتضمن « النداء » توصيات ملموسة بشأن الاجراءات الرامية إلى صيانة وتعزيز استقلالية البروليتاريا. فقد عولجت، مثلاً، مسألة مساهمة العمال المستقلة في الحملات الانتخابية للهيئات التمثيلية المركزية والمحلية. وطالب ماركس وانجلس بأن تقدم الطبقة العاملة في كل مكان مرشحين من بين أعضاء عصبة الشيوعيين على قدر الامكان. وأن تبذل كل مافي وسعها لغرض انتخابهم. وجاء في « النداء » ان من الضروري ترشيح العمال حتى في المناطق التي لا أمل فيها بانتخاب مرشحينهم، وذلك بغية عرض الموقف العمالي الثوري ووجهة النظر الحزبية امام الجميع.

لم يكن الانفصال أو التمايز الفكري والسياسي والتنظيمي عن ديمقراطية البرجوازية الصغيرة يعني أن البروليتاريا لايمكن أن تقدم على عقد تحالفات وتكتلات مؤقتة معها. بالعكس، فإن مثل هذه التحالفات، كما جاء في « النداء »، ضرورية في النضال ضد العدو المشترك، الا أن الحزب البروليتاري عندما يعقدها يجب أن يحافظ دوماً على استقلاله التنظيمي ويطبق خطأً سياسياً ثورياً مستقلاً.

وعرض ماركس وانجلس في « النداء » كذلك فكرة الثورة المتواصلة. وكان مغزاها يكمن في أن وجود الفترة الطويلة الأمد للتطور « الهادئ » غير الثوري بين الثورة البرجوازية الديمقراطية والثورة البروليتارية ليس إلزامياً في ظروف معينة. وبالعكس، من الممكن تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية تحولاً سريعاً نسبياً. وأشار ماركس وانجلس إلى « إن مصالحنا ومهمتنا تلخص في جعل الثورة متواصلة إلى أن تزاح الطبقات الغنية بهذه الدرجة أو تلك عن السيطرة وإلى أن تستولي البروليتاريا على سلطة الدولة . »

وإن أهم شروط تطور الثورة على هذا النحو هي احتفاظ البروليتاريا باستقلالها وتعزيزه في النضال الثوري وتساعد الطاقة الثورية والنشاط لدى الجماهير باستمرار.

بديهي ان « النداء » انطلق من الوضع الملموس في المانيا في أواسط القرن التاسع عشر، وان طائفة من توصياته التكتيكية منوطة تاريخياً بهذا الوضع. بيد أن المبادرة الأساسية بشأن استقلالية البروليتارية والحزب البروليتاري وبشأن التحالف مع ديمقراطية البرجوازية الصغيرة في النضال ضد العدو المشترك وبشأن تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية لاتزال حتى الآن تحتفظ بأهميتها كاملة بالنسبة للحركة الثورية.

وتضمن مؤلفات ماركس « الصراع الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٠ » و « ١٨ برومير لويس بوناپرت » ومؤلف انجلس « الثورة والثورة المضادة في المانيا » وغيرها تعميمات واستنتاجات نظرية جديدة هامة.

فقد توصل ماركس في مؤلفه « ١٨ برومير لويس بوناپرت » إلى استنتاج في منتهى الأهمية يقول ان البروليتاريا لايمكن ان تستولي ببساطة على جهاز الدولة البرجوازية القديم وتستخدمه لترسيخ سيطرتها ولبناء الاشتراكية. فالبروليتاريا، سعياً منها إلى تحقيق مهماتها التاريخية، يجب أن تحطم وتدمر آلة الدولة البرجوازية وتبني بدلاً عنها دولة بروليتارية جديدة. وأكد لينين فيما بعد ان هذا الاستنتاج هو الأمر الرئيسي الأساسي في تعاليم الماركسية بشأن الدولة.

وصاغ ماركس في « الصراع الطبقي في فرنسا » الحكم الخاص بطابع السلطة التي يجب أن تقوم على أثر اسقاط سلطة الرأسمال، واستخدم لأول مرة في هذه الصياغة مصطلح « ديكتاتورية البروليتاريا ». ان الاستنتاج بشأن ضرورة وحتمية ديكتاتورية البروليتاريا في مرحلة انتقال المجتمع من الرأسمالية إلى الاشتراكية هو واحد من أهم أحكام الماركسية. وقد كتب ماركس إلى فيدماير في ٥ آذار ١٨٥٢ يقول: « ان الشيء الجديد الذي فعلته يتلخص في اثبات مايلي: (١) ان وجود الطبقات مرتبط فقط بمراحل تاريخية معينة للإنتاج،

(٢) ان الصراع الطبقي يؤدي بالضرورة الى دكتاتورية البروليتاريا، (٣) ان هذه الدكتاتورية نفسها تشكل مجرد انتقال الى القضاء على الطبقات أياً كانت وإلى مجتمع بدون طبقات ».

كان استنتاج ماركس بشأن ضرورة دكتاتورية البروليتاريا اكتشافاً عظيماً جداً بالنسبة للحركة الثورية للبروليتاريا. وعلل ماركس هذا الاستنتاج نهائياً بالاستناد إلى خبرة النضال الطبقي في أواخر أربعينات القرن التاسع عشر. ولقد أكدت تجربة النضال الثوري في الماضي والحاضر تأكيداً تاماً ضرورة دكتاتورية البروليتاريا للانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. ولذلك بالذات يحتفظ الشيوعيون بتمسكهم الثابت بهذه الفكرة التي هي من أهم أفكار الماركسية - اللينينية. وبديهي أن أشكال دكتاتورية البروليتاريا يمكن ان تكون متنوعة وخصوصاً في وقتنا الحاضر المتميز بتنوع العمليات الثورية، ولكن جوهر هذه الدكتاتورية واحد في كل مكان.

لقد استنتج ماركس في دراسته لتجارب الثورات ان مصالح الفلاحين متعارضة تعارضاً لا هوادة فيه مع الرأسمال و « ان سقوط الرأسمال وحده الذي يمكن ان يحرر الفلاح، وان الحكومة البروليتارية المناهضة للرأسمالية تستطيع وحدها ان تضع حداً لبؤسه الاقتصادي والاجتماعي »، « ولذلك يجد الفلاحون حليفاً وقائداً طبعياً لهم في بروليتاريا المدن المدعوة إلى اسقاط النظام البرجوازي ». زد على ذلك ان ماركس قد أكد ان الثورة البروليتارية ليس بوسعها ان تحرز النصر في البلدان التي يشكل الفلاحون قسماً كبيراً من سكانها بدون تأييد الفلاحين. وفي شخص الفلاحين، على حد تعبير ماركس، تحصل الثورة البروليتارية على « الكورس » الذي تتحول اغنيتهما الاحادية بدونه في جميع البلدان الفلاحية إلى نشيد جنائزي ». ومن هنا نجد صياغة لواحد من أهم احكام النظرية والتكتيك الثوريين للحركة العمالية.

هذه فكرة عبقرية من افكار الماركسية، تأكدت أهميتها العظمى في ممارسة الثورة الاشتراكية في روسيا وفي البلدان الأخرى التي ولجت طريق

الاشتراكية. بديهي انه حدثت في زماننا هذا تغيرات كبيرة في البنية الاجتماعية للبلدان الرأسمالية المتطورة حيث أدى سير تطور رأسمالية الدولة الاحتكازية والثورة العلمية التكنيكية إلى تميع الفلاحين الذين صاروا يشكلون نسبة غير كبيرة من السكان، الا ان فكرة ماركس بشأن حلفاء البروليتاريا، وبشأن تحالف العمال مع الفئات غير البروليتارية من شغيلة المدن والارياف لاتزال محتفظة بأهميتها كاملة بالنسبة للحركة الشيوعية. اما في البلدان ذات التطور المتوسط والبلدان النامية، حيث لا يزال الفلاحون الكادحون يشكلون قسماً كبيراً من السكان، فلا يمكن للطبقة العاملة ان تحرز النصر بدون التحالف معهم. وتدل على ذلك خبرة تاريخ الحركة العمالية والشيوعية.

لقد عالج انجلس في مؤلفه « الثورة والثورة المضادة في المانيا » مسألة شروط الانتفاضة المسلحة. وأكد انجلس انه لا يجوز ابدأ اللعب بالانتفاضة اذا لم يكن متوفراً التصميم على السير فيها حتى النهاية « فما دامت الانتفاضة قد بدأت يجب العمل باعظم قدر من التصميم والانتقال إلى الهجوم. فالدفاع هلاك لأية انتفاضة مسلحة... ». لقد تركزت في هذه الاستنتاجات الموجزة خبرة هائلة للمعارك الثورية للجماهير الشغيلة. ففي عبارة واحدة نجد هنا نصيحة هامة جداً للثوريين ساعدتهم على احراز النصر في ثورة اكتوبر ١٩١٧ وفي الانتفاضات الثورية في عدد من البلدان. وحتى الآن يسعى الثوريون إلى تطبيق استنتاج الماركسية هذا حيثما يواجهون ضرورة خوض الكفاح المسلح ولقد غدت هذه الاستنتاجات، التي استخلصها ماركس وانجلس من خبرة ثورات ١٨٤٨ - ١٨٤٩، جزءاً هاماً لا يتجزأ من نظرية الشيوعية العلمية.

في صيف ١٨٥٠ استنتج ماركس وانجلس ان الحركة الثورية بدأت تنحسر وان الثورة في المستقبل القريب غير متوقعة. وقاد التقييم الجديد للوضع لماركس وانجلس إلى استنتاج بشأن ضرورة تغيير تكتيك اتحاد الشيوعيين. وصارت مهمته هي صيانة وتحشيد الكادر البروليتاري لمعارك جديدة وتصلبيه نظرياً.

ولم يحظ هذا التكتيك بتفهم ودعم لدى الشخصيتين البارزتين في عصبة الشيوعيين هما ويليك وشاير وانصارهما الذين دفعوا العصبة إلى طريق المغامرة واشعال هيب ثورة جديدة على الفور في المانيا. وقال ماركس في معرض المقارنة بين آرائه وآراء انصار ويليك - شاير: « بدلاً من المذهب المادي الوارد في البيان الشيوعي يطرح مذهب مثالي، وبدلاً من العلاقات الموضوعية تصور الارادة الذاتية على انها الأمر الرئيسي في الثورة. وفي الوقت الذي نقول فيه للعمال: قد تضطرون إلى قضاء ١٥، ٣٠، ٥٠ سنة أخرى من الحرب الاهلية لكي تغيروا الظروف القائمة وتجعلوا انفسكم قادرين على السيطرة، يقال لهم بدلاً من ذلك: علينا ان نتسلم السلطة في الحال والا فيجب علينا ان نذهب لننام ». وقد سلك ويليك وشاير طريق النشاط التكتلي الانقشامي ضد عصبة الشيوعيين بعد ان وجدا نفسيهما في الاقلية. وعندما فصلت جماعة ويليك وشاير من العصبة تحولت بالتدريج إلى جماعة ضيقة منعزلة عن الحركة سائرة نحو الهزيمة والتفكك.

وإلى جانب الهجمات « من الداخل » انهار بالتهجمات المسعورة على عصبة الشيوعيين خصوم البروليتاريا الطبقيون المباشرون، أي الطبقات الحاكمة في عدد من بلدان أوروبا. واضطلعت الرجعية البروسية بدور الهراوة المضاربة. ففي عام ١٨٥٢ دبّرت السلطات البروسية محاكمة في كولونيا لمجموعة من أعضاء العصبة اعتقلوا في أيار - حزيران ١٨٥١. وفي هذه المحاكمة، الأولى في التاريخ ضد الشيوعية، اتهم الرجعيون البروسيون الموقوفين « بمؤامرة تتسم بطابع خيانة الدولة ».

وبغية اثبات هذه التهمة تفننت الرجعية البروسية طوال عام ونصف في اختلاق الافادات والاتهامات المزورة ودرن الجواسيس والاستفزازيين في صفوف عصبة الشيوعيين. ومع ان التهم كانت باطلة بوضوح، فقد حكم على بعض المتهمين بالسجن لدد مختلفة.

وقد كشف ماركس عن الطابع الطبقي للمحاكمة في كولونيا وكتب

يقول: « بشخص المتهمين مثلت البروليتاريا الثورية العزلاء امام الطبقات المسيطرة الممثلة في محكمة المحلفين... ». ان سياسة معاداة الشيوعية، التي كانت المحاكمة تعبيراً ساطعاً عنها، قد ظهرت كسلاح بيد الاوساط الرجعية للطبقات المستغلة في مكافحة الحركة العمالية والديمقراطية والنظرية العلمية الثورية، التي رأت الرجعية فيها قوة كبيرة وحاولت ان تحط من سمعتها وتكرهها.

ومنذ ذلك الحين صارت البرجوازية الرجعية تستخدم ايدولوجية وسياسة معاداة الشيوعية على نطاق متزايد الاتساع. وفي وقتنا الحاضر تحولت معاداة الشيوعية إلى الوسيلة الايدولوجية الاساسية لكفاح قوى العالم القديم ضد الحركة الثورية.

ومن الاساليب التي استخدمتها الرجعية في التحضير للمحاكمة في كولونيا واثناء سيرها انها نسبت إلى الماركسيين آراء وسياسة غريبة عليهم كلياً: نزعة التمرد وتكتيك المؤامرات ونزعة المغامرة. وكانت جماعة ويليك - شاير، التي قدمت بنزعتها المغامرة ولا مبدئييتها حجة للافتراء على عصبة الشيوعيين ووضعت بالتالي التيار الثوري حقاً في الحركة العمالية تحت ضربات، لقد لعبت موضوعاً دور حليف الاوساط الرجعية.

وعلى هذا النحو بالضبط الحق الزعماء الصينيون، ضرراً كبيراً بالحركة العمالية والشيوعية وحركة التحرر الوطني حيث قدموا للرجعية البرجوازية مادة للخط من سمعة الشيوعية.

ان سياسة معاداة الشيوعية قد جرت منذ ذلك الزمان كظاهرة دولية: فخلال التحضير للمحاكمة في كولونيا استفاد البوليس البروسي على نطاق واسع من خدمات البوليس الفرنسي، الذي دبر بالاشتراك معه قضية مايسى. بالمؤامرة الالمانية الفرنسية.

وايدى ماركس وانجلس اهتماماً كبيراً بفضح مناورات الرجعية، التي دبّرت المحاكمة ضد الشيوعيين. ففي تشرين الأول - كانون الأول ١٨٥٢

كتب ماركس كراس « فضح محاكمة الشيوعيين في كولونيا »، حيث كشف عن الجوهر الطبقي للمحاكمة وفضح الاختلافات والتزويرات، التي لجأت إليها الرجعية البروسية في محاولتها للافتراء على عصابة الشيوعيين وسياساتها وآرائها النظرية ولتسويد صفحة قادتها. وفي سياق المحاكمة كرس ماركس كل القوى لتزويد محامي المتهمين بالوثائق الضرورية التي ادانت مدبري المحاكمة.

وهكذا بدأ ماركس في فترة المحاكمة في كولونيا نضاله المبدي بلا هوادة ضد ايدولوجية وسياسة معاداة الشيوعية، ذلك النضال الذي خاضه طوال حياته والذي تابع لينين وكل الحركة الشيوعية المعاصرة تقاليده بالشكل اللائق.

فقد كشف مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ عن جوهر معاداة الشيوعية كأداة بيد الامبريالية ضد الحركة الثورية العالمية. وجاء في الوثيقة الختامية للمؤتمر ان الامبريالية « تحاول بواسطة معاداة الشيوعية ان تفرق الثوريين في هذه البلدان (النامية) وتعزها عن افضل اصداقائها - الدول الاشتراكية والحركة العمالية الثورية في البلدان الرأسمالية ».

وعلى اثر المحاكمة في كولونيا استنتج ماركس وانجلس ان عصابة الشيوعيين استنفذت امكانياتها ولم يعد من المجدي مواصلة نشاطها. وفي ١٧ تشرين الثاني ١٨٥٢ اتخذ قرار بحل العصابة تلقائياً.

كانت عصابة الشيوعيين أول شكل في التاريخ للحزب البروليتاري ظهر على أساس الاشتراكية العلمية. الا انها كانت تنظيمًا للطور المبكر للحركة البروليتارية التحررية عندما كانت تتسم بعدم النضوج فكرياً والضعف تنظيمياً. وكان يعزى ذلك، لدرجة كبيرة، إلى قلة عدد اعضاء العصابة الذين لم يتجاوزوا ٤٠٠ شخص، وإلى انه لم يستطع ان يصبح نواة لتنظيم بروليتاري أوسع واكثر تلاحماً ونفوذاً.

وهكذا تلخص حصيلة نشاط كارل ماركس وفريدريك انجلس، خلال اربعينات القرن التاسع عشر، في وضع اسس النظرية العلمية إلى العالم، أسس الايدولوجية المتكاملة القويمة للبروليتاريا الثورية، تلك الايدولوجية المعتمدة على معرفة أهم مسائل نظرية الثورة واستراتيجية وتكتيك الحزب الشيوعي في الكفاح الثوري.

وكان ذلك يعني رفع الحركة العمالية العالمية إلى مستوى جديد نوعياً. فقد صارت الطبقة العاملة تمتلك ايدولوجيتها، الايدولوجية العلمية الوحيدة. ومنذ ذلك الحين خاضت الفصيلة الطليعية للبروليتاريا - الشيوعيون - النضال الايدولوجي إلى جانب النضال الاقتصادي والسياسي ضد المستغلين. وساعد وجود الايدولوجية الطبقة العاملة على وضع برنامج النضال من أجل الاهداف القريبة والنهائية. وغدا الاهتمام الحقيقي بمواصلة معالجة هذه الايدولوجية وتطويرها بشكل خلاق منذ ذلك الحين واحداً من أهم مقومات نشاط الشيوعيين. وإلى جانب ذلك بذل ماركس وانجلس جهوداً كبيرة لنشر تعاليمهما بين الجماهير. وصارت مهمة ربط الماركسية بالحركة العمالية تشغل مركز الصدارة من اهتمام الشيوعيين.

لقد اسس ماركس وانجلس أول تنظيم للشيوعيين هو « عصابة الشيوعيين » الذي اعلن في فجر الحركة العمالية ان رايته الفكرية هي مبادئ الشيوعية العلمية وارسى بداية ربط الشيوعية العلمية بالحركة العمالية. ان مبادئ عصابة الشيوعيين المنهجية والتكتيكية والعديد من مبادئها التنظيمية تتسم بأهمية تاريخية. وساهمت العصابة بقسط كبير في تربية الكوادر الأولى للثوريين البروليتاريين. وكان أول تنظيم شيوعي دولي للبروليتاريا سبق الامة الأولى.

لقد تجسد في « عصابة الشيوعيين »، لأول مرة، استنتاج الماركسية الجذري بصدد ضرورة وجود حزب شيوعي خاص للطبقة العاملة. ويتسم هذا الاستنتاج بأهمية ثابتة بالنسبة للحركة الثورية العالمية. وقد ترتب على

الطبقة العاملة ان تقطع طريقاً غير قصير قبل ان تنشأ في صفوفها احزاب
شبهية حقيقية. ولكن البروليتاريا التقدمية ادركت منذ زمن ماركس قوة واهمية
التنظيم السياسي. ان تطوير وتعزيز الحزب الشيوعي كقوة قيادية للحركة
العمالية هما الاستنتاج الذي ينبع من عبر نضال ماركس وانجلس في سبيل
الحزب البروليتاري في فترة نشاط عصبة الشيوعيين.

* * *

الفصل الثالث

الاهمية التاريخية لنشاط الامة الاولى

ولخبرة كومونة باريس

تأسيس الامة الاولى - اول منظمة عالمية جماهيرية للبروليتاريا

كان ظهور جمعية العمال العالمية - الامة الاولى - اهم حدث في تاريخ
الحركة العمالية في ستينات القرن التاسع عشر. وكان قد مهد لظهورها مجمل
تطور الحركة العمالية العالمية ونشاط ماركس وانجلس في تربية البروليتاريا
سياسياً ورص صفوفها.
دخلت الحركة العمالية العالمية مرحلة جديدة من تاريخها بعد ثورات
١٨٤٨ - ١٨٤٩ البرجوازية الديمقراطية. وتميزت هذه المرحلة بالتطور
العاصف لاسلوب الانتاج الرأسمالي. فقد ازداد الانتاج العالمي لأهم انواع
المنتجات الصناعية خلال ٢٠ عاماً ابتداء من ١٨٥٠ بنسبة ١٠٠ - ٢٠٠٪،
وجرى على قدم وساق تطور العلاقات الاقتصادية العالمية. وكانت عملية نشوء
السوق العالمية سائرة نحو الاكتمال. وتغلغلت الرأسمالية اعمق فأعمق في جميع
ميادين الاقتصاد، بما فيها الزراعة. وغدت البرجوازية اقوى طبقة بين
الطبقات المستغلة، وعززت سيطرتها السياسية فازاحت الارستقراطية
الاقطاعية نهائياً إلى المرتبة الثانية. وتطورت الرأسمالية بسرعة كبيرة في انجلترا
على الخصوص. وتعززت مواقع البرجوازية على نحو ملحوظ كذلك في

الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وايطاليا.

وشهدت الخمسينات والستينات كذلك استمرار تطور الطبقة العاملة وتزايد تعدادها وتنظيمها. ففي انجلترا، مثلاً، تجاوز عدد العمال الصناعيين مليوني عامل. وبرزت الطبقة العاملة بوضوح متزايد من بين جماهير البرجوازية الصغيرة. ومن جراء الوضع الاقتصادي العسير والظلم السياسي نشط نضال البروليتاريا الطبقي، وتنامت التنظيمات السياسية. ففي فرنسا وانجلترا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية تأسست النقابات والتعاونيات والنوادي العمالية وغيرها من المنظمات.

وعلى هذا الأساس بدأ، في أواخر الخمسينات واولئ الستينات، انتعاش جديد للحركة العمالية والديمقراطية. وفي عام ١٨٥٧ بدأت أزمة اقتصادية وشملت العديد من البلدان الرأسمالية وتحولت إلى أزمة عالمية. وأدت هذه الازمة إلى تردي أحوال الشغيلة البائسة أصلاً. وفي جو الازمة الاقتصادية العالمية اشتدت للدرجة كبيرة الحركة الاضرابية في البلدان الاوروبية، بريطانيا وفرنسا وسويسرا وبلجيكا والمانيا وهلمجرا.

وتلقت حركات التحرر الوطني دافعاً جديداً في الخمسينات والستينات، واشتد النضال في سبيل تأسيس دول وطنية في أوروبا. وفي عام ١٨٦٠ بدأت حملة غاريبالدي التحريرية التي ساعدت على تأسيس الدولة الايطالية الوطنية في عام ١٨٦١. وفي بولونيا اندلعت الانتفاضة التحريرية في عام ١٨٦٣ وتعاضم النضال في سبيل توحيد المانيا.

وفي ١٨٦١ - ١٨٦٥ نشبت في الولايات المتحدة الاميركية الحرب الاهلية من أجل تحرير الزوج من العبودية. وكان المقصود في الواقع هو النضال من أجل تمهيد التربة لمواصلة تطوير العلاقات الرأسمالية.

وفي هذا الوضع اشتد نضال العمال الطبقي، بل وازداد تضامنهم البروليتاري وطموحهم إلى الوحدة بغية تحقيق الاعمال الحاسمة ضد البرجوازية.

تأسست الاممية الاولى في الاجتماع العالمي الحاشد الذي عقده ممثلو عمال البلدان (انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وبولونيا) في لندن في ٢٨ سبتمبر ١٨٦٤. واتخذ المساهمون في الاجتماع، ومن بينهم ماركس قرار تشكيل المنظمة البروليتارية العالمية بحماس كبير.

وغدت نظرية ماركس وانجلس الثورية ومبادئ الاممية البروليتارية، التي وضعها، وأسس التعاليم الخاصة بالتنظيم البروليتاري قاعدة نظرية للاممية الاولى.

وطوال الخمسينات والستينات واصل ماركس وانجلس معالجة أهم القضايا النظرية والسياسية. وقد قدما تحليلاً انتقادياً عميقاً للنظام الرأسمالي وحددا موقف الشيوعيين من اكبر النضالات البروليتارية والتحررية الوطنية وعللا تكتيك نضال الطبقة العاملة. وكان ماركس يرى ان من المهم تسليح البروليتاريا بنظرية اقتصادية علمية مكتملة تتضمن تعليلاً عميقاً للاشتراكية العلمية. وفي عام ١٨٥٩ صدر كتاب ماركس « في انتقاد الاقتصاد السياسي »، وهو من بين المؤلفات التي اضفت طابعاً ثورياً عميقاً على الاقتصاد السياسي كما أشار لينين. وتتضمن المقدمة الشهيرة لكتاب « في انتقاد الاقتصاد السياسي » صيغة عبقرية تعبر عن جوهر تعاليم ماركس بصدد تطور التاريخ البشري وسننه.

وفي عام ١٨٦٧ تم اصدار مؤلف ماركس الخالد « رأس المال » (المجلد الاول). وكان ذلك حدثاً في منتهى الأهمية في تطوير النظرية البروليتارية وفي نضال البروليتاريا ضد النظام الرأسمالي. بعد ان درس ماركس الرأسمالية ابتداء من ظهورها. وفي سياق تطورها اكتشف قوانين سيرها وعرض طابع هذه التشكلية الاجتماعية العابرة الموقت. وكان أعظم ماثرة لماركس انه اكتشف سر الاستغلال الرأسمالي ووضع نظرية علمية حقاً هي نظرية القيمة الزائدة. وكتب لينين يقول: « ان التعاليم بصدد القيمة الزائدة هي حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصادية ». واثبت ماركس في « رأس المال » ان التناقضات

التناحرية الملازمة للمجتمع الرأسمالي تتفاقم باطراد في سياق تطوره، وانه تتكون في احشاء الرأسمالية تلك القوة التي تبدو بمثابة حفارة قبر النظام الرأسمالي، نعي البروليتاريا.

بيد ان ماركس وانجلس لم يرسيا الاساس النظري فقط للاممية الأولى. فقد كان ماركس المنظم العملي للاممية وزعيمها وروحها. واصبح العمل في الاممية ذروة لنشاطه الثوري التطبيقي كله. فقد وضع الوثائق البرنامجية للاممية وحدد مهماتها وتكتيكها. ومارس ايضاً القيادة العلمية لنشاطها.

وفي كل خطوة في سياق هذا العمل واجه ماركس وانجلس مسائل جديدة غير محلولة وقضايا لم يمارس حلها ابداً.

كانت الحركة العمالية آنذاك في منتهى « البرفشة » من الناحيتين الايديولوجية والسياسية. وكانت الاشتراكية العلمية في متناول مجموعات غير كبيرة من العمال التقدميين فقط. اما اغلبية الطبقة العاملة فكانت واقعة تحت تأثير مختلف الافكار الليبرالية البرجوازية والاشتراكية الطوباوية واشتراكية البرجوازية الصغيرة. ولكي تتحرك قضية النضال الطبقي إلى الامام فعلاً كان يجب تخليص العمال من تأثير اشتراكية البرجوازية الصغيرة.

وانطلاقاً من ذلك سعى ماركس لدى وضع الوثيقتين الاوليين البيان التأسيسي والنظام الداخلي الموقت لجمعية العمال العالمية (ج ع ع) إلى ان يعرض فيها الافكار الاساسية للاشتراكية العلمية بشكل لا يسد باب الدخول اليها امام مختلف التيارات السياسية التي كانت متواجدة في صفوف الطبقة العاملة. وسعى ماركس إلى جعل برنامج الاممية يضم جميع التيارات على أساس منهاج واسع لدرجة كافية ولكنه مبدئي في الوقت ذاته.

كانت وثائق جمعية العمال العالمية، التي هيأها ماركس، مشبعة بفكرة ماركس في البيان التأسيسي: « بينت خبرة الماضي ان الاستهانة بالتحالف الاخوي، الذي ينبغي ان يقوم بين عمال مختلف البلدان ومختمهم على التماسك

الوثيق فيما بينهم في نضالهم من أجل التحرر، تؤدي إلى الهزيمة العامة لجهودهم المشتركة ».

وحدد « البيان التأسيسي » و « النظام الداخلي الموقت لجمعية العمال العالمية » بالخطوط العريضة الاهداف الجذرية للطبقة العاملة: الاطاحة بالرأسمالية واقامة سلطة البروليتاريا. واعلنت وثائق الاممية « ان تحرير الطبقة العاملة يجب أن تحققة الطبقة العاملة نفسها ».

واشار ماركس إلى ان واحداً من عناصر النجاح متوفر لدى العمال وهو تعدادهم. ولكن العدد الكبير لا يحل المهمة الا اذا كان الجمهور خاضعاً للتنظيم والمعرفة. وما دام الأمر كذلك فان المهمة الأولى للعمال هي تأسيس ذلك التنظيم.

ونص النظام الداخلي على ان اعضاء جمعية العمال العالمية، كلا في بلده، يجب ان يبذل قصارى جهده لتوحيد الجمعيات العمالية المشتتة في منظمات وطنية تمثلها هيئات مركزية وطنية. وهكذا وردت هنا بشكل عام الاشارة إلى تأسيس الاحزاب البروليتارية الوطنية مستقبلاً.

وفيا بعد سجل مؤتمر الاممية في لندن عام ١٨٧١، في قراره، تطويراً لهذا التوجيه. ما يلي « ... لا تستطيع الطبقة العاملة ان تناضل كطبقة ضد السلطة الموحدة للطبقات المستغلة الا اذا انتظمت في حزب سياسي خاص يجابه جميع الاحزاب القديمة التي استهانت تلك الطبقات. ... ان تنظيم الطبقة العاملة في حزب سياسي لها أمر ضروري لتأمين انتصار الثورة الاجتماعية. وبلوغ هدفها النهائي - تصفية الطبقات ». واصبحت هذه الفكرة واحدة من أهم أفكار الحركة البروليتارية العالمية.

ومنح النظام الداخلي فروع الاممية الأولى حقوقاً ديمقراطية واسعة، واقترن مبدأ الديمقراطية بالمركزية الضرورية ووحدة نشاط عمال جميع البلدان. وكان للاممية في بعض البلدان فروع مجتمعة في الاتحاد الوطني الذي يرأسه مجلس اتحادي. وكانت الاتحادات الوطنية تشكل جمعية العمال العالمية

التي انتخبت لها مجلساً عاماً. وكانت الهيئة العامة للجمعية هي مؤتمر العمال العام المنعقد سنوياً والمتكون من ممثلي الجمعيات العمالية. وانضمت إلى الاممية التريديونيون والتعاونيات وجمعيات المعونة المتبادلة وغيرها من المنظمات، التي احتفظت بسمايتها الخاصة في بادئ الأمر. وكانت المناقشة الجماعية واتخاذ القرارات من قبل المجموع مبدأ ثابتاً لنشاط الهيئة القيادية للاممية.

ان وثيقتي الاممية البرنامجيتين الاوليين تتسمان باهمية تاريخية ثابتة. وهما جمعتا بين المرونة وسعة طرح المسائل العامة للحركة العمالية ففتحتا الطريق امام ربط الماركسية بالحركة العمالية الجماهيرية وتخليصها من أفكار اشتراكية البرجوازية الصغيرة. وكانت هاتان الوثيقتان، اللتان تمثلان أول انتصار للنواة البروليتارية الثورية في الاممية، قد وضعتا المبادئ الايديولوجية والتنظيمية لتطوير الاتحاد البروليتاري العالمي على أسس طبقية.

نضال الماركسيين ضد التيارات البرجوازية الصغيرة في جمعية العمال العالمية

كانت السمة المميزة لنشاط الاممية الأولى هي الربط الوثيق بين المعالجة الخلاقة لقضايا النظرية الثورية وتكتيك الحركة البروليتارية وبين الكفاح الايديولوجي المبدئي ضد تأثيرات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة على الطبقة العاملة. وكانت هذه التأثيرات قد أصبحت تلاحظ على نحو متزايد بقدر تنامي صفوف البروليتاريا واستكمالها بالمنحدرين من الفئات غير البروليتارية. كان تاريخ الاممية كله مليئاً بكفاح الماركسيين المتواصل ضد مختلف الكتل والجماعات «الاشتراكية» وأرائها البتي برجوازية.

وكان من أوسع تنظيمات الاممية النقابات الانجليزية المتأثرة لدرجة كبيرة بافكار «النزعة التريديونيونية الصرف»، التي هي تيار انتهازى في الحركة العمالية فرضته البرجوازية الانجليزية بعد هزيمة الحركة الشارتية. وكانت

ايدولوجية النزعة التريديونيونية وممارستها تعبران عن ميول القشرة العليا من الطبقة العاملة الانجليزية وكانت بمثابة رد فعل فريد على هزيمة الحركة الشارتية. وقد حصرتا نضال الطبقة العاملة في المطالب الاقتصادية والمطالبة بتحسين الاوضاع المادية لاجزاء النقابات. وكان زعماء النقابات الانجليزية غالباً ما يعانون الاضرابات ويطورون نظام المعونة المتبادلة في اطار نقاباتهم. ولكنهم كانوا قليلي الاهتمام بالسياسة. زد على ذلك ان الكثيرين منهم عارضوا النشاط السياسي للطبقة العاملة واعاقوا تأسيس حزب ثوري جماهيري للبروليتاريا الانجليزية.

كانت افكار «النزعة التريديونيونية الصرف» لدى الزعماء النقابيين الانجليز قد أثرت على الحركة العمالية في البلدان الأخرى. فان زعماء التريديونيونات الانجليزية كانوا ينظرون إلى الاممية ليس كوسيلة لتحرير العمال بقدر ما هي وسيلة لتنظيم المعونة المتبادلة العالمية، وخصوصاً في النضال ضد استيراد كاسري الاضرابات من القارة الاوروبية. وكان نشاطهم الانتهازي يستهدف تجريد الاممية الأولى من جوهرها الطبقي، مما يشكل خطراً جدياً على الحركة العمالية العالمية المتصاعدة.

لقد خاض الماركسيون داخل الاممية نضالاً مبدئياً ضد النزعة التريديونيونية. وبينوا ان ايدولوجية هذه النزعة وتطبيقها هما عائق امام تطوير النشاط الثوري للعمال ومعرقل لنضالهم ضد سيطرة البرجوازية، وهما يحكمان على الطبقة العاملة بالعبودية والاستغلال والاضطهاد إلى أبد الأبد في اطار النظام الرأسمالي.

وبنتيجة الصراع الحاد نحى أوجير رئيس مجلس التريديونيونات في لندن، من منصبه كرئيس للمجلس العام لجمعية العمال العالمية. الا ان النضال ضد السياسة الانتهازية لزعماء التريديونيونات أستمّر طوال تاريخ جمعية العمال العالمية.

ومن جهة أخرى كانت آراء بلانكي وانصاره ونشاطهم العملي تُشكل

خطراً على الحركة العمالية. كان أوغست بلانكي ثورياً متأمراً فرنسياً معروفاً شارك في العديد من الانتفاضات المسلحة ضد النظام في فرنسا. ولم يعترف هو وانصاره لا بالاصلاحات الاقتصادية ولا السياسية. فلقد كانوا يسعون فقط إلى اعداد النضالات المسلحة استناداً إلى مجموعة غير كبيرة من المتأمرين غير المرتبطين بالجماهير. ولم يكونوا مدركين لاهمية الحزب والنقابات والتعاونيات والحركة العمالية الجماهيرية. ولم يكونوا يرون ضرورة للمشاركة في نضال الطبقة العاملة اليومي. ولم يدركوا قوانين الصراع الطبقي والثورة. كانوا يعتقدون ان بالامكان تحقيق الثورة في أي وقت كان، وان كل شيء يتوقف على بطولة وتفنن مجموعة ضئيلة من الثوريين، وليس على الحركة العمالية والجماهيرية الواسعة. وقد ثمن ماركس تلميهاً عالياً الروح الثورية لدى بلانكي، ولكنه عارض بحزم تكتيكه المغامر وطرقه التأمرية، التي الحققت ضرراً كبيراً بتطور الحركة العمالية الجماهيرية وتأسيس الاحزاب والمنظمات العمالية.

والحققت التيارات الفوضوية البقي برجوازية أيضاً ضرراً كبيراً بالحركة العمالية آنذاك، ففي السنوات الأولى من عهد الامية خاض الماركسيون النضال بالاساس ضد نظريات برودون الفوضوية اليمينية التي انتشرت بين قديم كبير من العمال الفرنسيين. كان برودون خصماً للنضال الثوري، ورفض عموماً أي صراع طبقي مهما كان. وعارض الاحزاب السياسية والدولة ايأ كانت، ودعا إلى « مجتمع بدون سلطة » (الفوضى). وكان يعتقد ان تصفية الرأسمالية تتوقف على تحويل نظام التبادل. وكان برودون يرى ان تأسيس « الجمعيات الانتاجية » والتبادل المباشر بينها يقضيان على بؤس الشغيلة ويجعلانهم سعداء. وكانت افكار برودون تتلخص في أن العمال والفلاحين قادرون على احراز تحررهم ليس عن طريق النضال ضد الرأسمالية ومخلفات الاقطاعية، بل بصورة تدريجية، عن طريق التعاونيات التي اقترحها، حيث يصبحون مالكين للارض ولادوات الانتاج. كانت مبادئ برودون تعبر عن آراء القسم المعتدل من البرجوازية الصغيرة، الذي كان يعاني من نير

الرأسمالين الكبار ويحتج على الاستغلال الذي يمارسونه ويسعى إلى الحفاظ على ملكيته وعلى امتيازاته. وكانت فوضوية البرودونيين اليمينية تعكس اوهام البرجوازية الصغيرة بشأن مسائل سير وآفاق الصراع الطبقي الذي نشب بين البروليتاريا والبرجوازية.

بدأ النضال ضد البرودونيين منذ المؤتمر الأول للامية في عام ١٨٦٦ ودحروا فكرياً بصورة نهائية في المؤتمر الثالث عام ١٨٦٨.

وفي المانيا تركت آراء لاسال، المشابهة لآراء البرودونيين من بعض النواحي، اثراً ضاراً على الحركة العمالية. فقد رفض لاسال، شأنه شأن برودون، ضرورة النضال الطبقي والثورة البروليتارية بالنسبة لتحرير الشغيلة. ونشر الاوهام بين العمال الالمان حول امكان تحررهم عن طريق التغيرات والاصلاحات التدريجية في اطار الدولة البروسية الرجعية القائمة وبمساعدة منها، عن طريق استحداث الحق الانتخابي الشامل وتشكيل الروابط الانتاجية. وهكذا كان لاسال يأمل تحويل الدولة البروسية الرجعية تدريجياً إلى ما يسمى « بالدولة الشعبية الحرة ». وكان برنامجه يفترض « التدخل الاشتراكي من قبل الدولة في حل المسألة الاجتماعية » وليس تحطيم الدولة البروسية الرجعية.

ان سياسة المغازلة اللاسالية مع حكومة بيسمارك الرجعية والاوهام التي انتشرت بصدد التخلص من الاستغلال بمساعدة الدولة البروسية، وكذلك موقف اللاساليين السلمي من النضال الطبقي، قد نعتها ماركس وانجلس « بالاشتراكية الحكومية البروسية الملكية ».

وفي أواخر الستينات ووائل السبعينات ظهر ضد الماركسية في الامية خصم آخر في منتهى الخطورة، هو الفوضوية اليسارية الباكونينية. لقد نادى باكونين، شأنه شأن برودون، بالقضاء على سلطة الدولة مهما كانت، وبالمجتمع الفوضوي، وكان الباكونيون يرون ان التمرد العفوي للعناصر البروليتارية المتفسخة واللومبيين البروليتاريين هو الوسيلة لتصفية الدول

والرأسمالية. ولم يدرك باكونين وانصاره دور الطبقة العاملة باعتبارها القوة المحركة الرئيسية للثورة الاشتراكية. فالبروليتاريا، برأي باكونين، صارت تميل إلى « نمط الحياة البرجوازي ». وانكر الباكونيون ضرورة الحركة الديمقراطية ورفضوا امكانية المرحلة الديمقراطية العامة من الثورة. وعارضوا ومعارضة شديدة النضال السياسي زاعمين بأنه مفروض على الطبقة العاملة بصورة مفتعلة وانه غير مرتبط داخلياً بحياة وكفاح الشغيلة. وكان باكونين يرى ان النضال السياسي، شأنه شأن الحزب السياسي، هو سلاح خاص بالبرجوازية وليس بالبروليتاريا. وكان خطر الباكونية على الاممية الاولى يكمن في ان باكونين استهدف الاستيلاء على الاممية وفرض آرائه الفوضوية عليها. الا ان الماركسيين ردعوا الباكونية ردعاً حازماً.

لقد عارض ماركس وانجلس بحزم اعمال الباكونيين الانقسامية ودافعا عن السلاح الاممي للبروليتاريا. وكشفا عن عيوب ايدولوجية الباكونيين وسياستهم وضررها على الحركة العمالية وفضحا الاساليب الخاطئة لنشاطهم التكتلي. وكان نضال ماركس وانجلس وانصارهما ضد الباكونية ينسف مواقع الفوضوية في صفوف الحركة العمالية العالمية. وساعد هذا النضال على تذليل الآراء والافكار الخاطئة اليسارية المتطرفة والانعزالية بين العمال بوجه عام.

وفي الظروف الراهنة، حيث يوجد انصار جدد للباكونية، يكتسب انتقاد ماركس وانجلس لها أهمية كبيرة. وتنسم باهمية كبيرة أيضاً الانتقادات التي توجهها شخصيات الحركة الشيوعية المعاصرة إلى الباكونية. وقدم جاك دوكلو في أحد مؤلفاته الأخيرة انتقاداً لاذعاً للباكونيين تناول الماضي والحاضر معاً.

كتب دوكلو يقول: « تميز الباكونيون الفوضويون باحتقار الجماهير وبالوقاحة التي طرحوا بها مختلف الحجج، لمتناقضة أحياناً، تبعاً « للزبائن »، من أجل تبرير السياسة الشائنة غالباً والتي تطبق بمشاركة عناصر مشبوهة إلى أبعد الحدود.

زد على ذلك ان الباكونيين تميزوا بضراوة تهجماتهم على جميع الذين لم يوافقوا على نشاطهم المشبوه ونططهم الطائشة. وبديهي ان الموتورين المطرودين من المنظمات العمالية والنقابات وعملاء النظام البونابرتي وغيرهم من العناصر الاجرامية حصلوا على ملجأ لهم بين الباكونيين. وكان بالامكان، تحت واجهة فوضوية، ممارسة نشاط يخدم الطبقات الحاكمة، مع تغطيته بقتاع ثوري زائف ».

ان هذا الوصف للباكونيين ينطبق مباشرة على العناصر الفوضوية المعاصرة واليساريين المتطرفين والماويين، الذين استعاروا اموراً كثيرة من الفوضوية القديمة. بيد ان تجربة التاريخ تبين عقم وضرر آراء وتكتيك الفوضوية القديمة. حتى المتسرة بالعبارات اليسارية الجوفاء.

كانت الضربة الأولى قد سدّت إلى الباكونية في المؤتمر الرابع للاممية عام ١٨٦٩ حين مناقشة فكرة باكونين القائلة بان الطريق إلى تصفية الرأسمالية يمر عبر الغاء الميراث (قال باكونين ان الرأسمالية تنهار حالما يتحقق اقرار قانون في الدولة البرجوازية بشأن الغاء الميراث). وكشف الماركسيون، عن طوباوية الاقتراح بشأن تحطيم النظام البرجوازية على أيدي البرجوازية نفسها ودولتها. وعندما أدرك باكونين عقم محاولاته للاستيلاء على قيادة الاممية أسس كتلة خاصة به ورفض الخضوع لقرارات المجلس العام للاممية. وفي مؤتمر لاهاي (١٨٧٢) فصل زعماء الباكونيين من جمعية العمال العالمية.

وهكذا خاض ماركس وانجلس في الاممية الأولى كفاحاً لا يكل ضد مختلف تيارات البرجوازية الصغيرة في الحركة العمالية. وشجبا بحزم استبدال النضال الطبقي الثوري بمختلف افكار التعاون بين الطبقات المتناحرة. وفضحا الاوهام الاصلاحية لدى التريديونيون الانجليز وانصار لاسال والبرودنيين بشأن امكانية تحول الرأسمالية سلمياً إلى اشتراكية وامكانية « التحسن » الجذري للرأسمالية مع بقاء اسسها الاجتماعية والاقتصادية. وفي الوقت ذاته انتقد الماركسيون التكتيك المغامر والعبارات الثورية

الزائفة الجوفاء لدى التيارات الانتهازية اليسارية البني برجوازية. وكشفوا عن النزعة الانعزالية والجمود العقائدي. وناضل ماركس وانجلس بلا كلل ضد أعمال الباكوتينيين الانقسامية الرامية إلى شق الحركة البروليتارية العالمية. لقد ساعد انتقاد مؤسسي الشيوعية العلمية لآراء وتكتيك البرجوازية الصغيرة على ترسخ النظرة البروليتارية إلى العالم لدى الحركة العمالية.

مساهمة الامة الأولى في تطوير نظرية وتكتيك النضال البروليتاري

لقد اسهمت الامة الأولى خلال سنوات وجودها بقسط كبير في تطوير وتعليل نظرية وتكتيك البروليتاريا. ويعود فضل كبير في ذلك إلى مؤتمرات الامة التي نوقشت فيها المسائل الجذرية للحركة البروليتارية. واتسم باهمية مبدئية كبيرة ما جرى بشأن أفكار البيان التأسيسي، الذي طرحه ماركس حول ضرورة استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية. لقد استحسن مؤتمر جنيف (١٨٦٦) هذه الفكرة. واعتبر استيلاء البروليتاريا على السلطة شرطاً ضرورياً لتحررها الاقتصادي في اطار المجتمع الاشتراكي.

وابدت الامة الأولى اهتماماً كبيراً حول مسألة النضال في سبيل الديمقراطية كمرحلة ضرورية في الطريق نحو استيلاء الطبقة العاملة على السلطة. وسخر انجلس من الفوضويين « اليساريين »، الذين دعوا إلى عدم النضال في سبيل الديمقراطية والحقوق الاجتماعية والحرية للشغيلة زاعمين ان ذلك « يضاهي الاعتراف بالنظام القائم »، قال انجلس: « ان الحريات السياسية وحرية الاجتماعات والتأليف وحرية الصحافة - ذلك هو سلاحنا. فهل يمكننا ان نقف مكتوفي الايدي ونتخلى عن السياسة عندما يريدون انتزاع هذا السلاح منا؟ يقولون ان أي عمل سياسي انما يضاهي الاعتراف بالنظام القائم. ولكن مادام هذا النظام يقدم لنا الوسائل للنضال ضده فان استخدام هذه الوسائل لا يعني الاعتراف بالنظام القائم ». لقد عمل مؤسسا الماركسية

على اقناع الطبقة العاملة بانها لا يمكن ان تقف موقف اللامبالاة ازاء الظروف التي تخوض فيها نضالها الطبقي: ظروف الرجعية أو بعض الحريات. وعلمنا الطبقة العاملة ان النضال في سبيل توسيع الديمقراطية وتعميقها في مختلف ميادين الحياة لا يبعد، بل يقرب الثورة الاشتراكية.

وكان من الانجازات الكبيرة للامة ايضاح مسألة الاضرابات والنقابات. فقد اتخذ مؤتمر جنيف عام ١٨٦٦ قراراً بعنوان « الاتحادات العمالية النقابية (التريديونيونات)، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ». وكان ماركس هو الذي كتب هذا القرار، الذي يؤكد الطابع الطبقي للحركة النقابية ويصوغ اكبر مهمات النقابات واشكال وطرق نضالها.

وبعد مناقشة مسألة الاضرابات صاغ مؤتمر بروكسل عام ١٨٦٨ الاستنتاج القائل بأن الاضرابات ضرورية للصراع بين العمل ورأس المال، مع انها لا تستطيع ان تؤدي إلى تحرير العمال كلياً. وساهمت الامة مباشرة في تنظيم التضامن البروليتاري في النضال الاضرابي.

وجرى في مؤتمرات الامة الأولى كذلك توضيح مكانة المنظمات التعاونية في الحركة التحررية للبروليتاريا. ذلك بسبب انتشار فكرة اعادة بناء المجتمع عن طريق التعاونيات في الحركة العمالية آنذاك، وخصوصاً بسبب نشاط انصار برودون ولاسال واوين. وأشار البيان التأسيسي للامة الأولى إلى « أهمية هذه التجارب الاجتماعية العظيمة » وأوضح بانه « مهما كان العمل التعاوني رائعاً من حيث المبدأ ونافعاً من حيث التطبيق فانه لن يكون قادراً على وقف نمو الاحتكارات الجاري بمتوالية هندسية ولا على تحرير الجماهير، بل ولا على تخفيف اعباء بؤسها لدرجة ملحوظة، ما لم يتجاوز الحلقة الضيقة للجهود التي يبذلها بعض العمال صدفة ». وأشار « التوجيه » الذي وضعه ماركس امام مندوبي المؤتمر الأول للامة، إلى أهمية التعاونيات الانتاجية، ولكنه أكد ان النظام التعاوني هذا « لن يستطيع ابداً ان يحول المجتمع الرأسمالي، فذلك يتطلب تغيير اسس النظام الاجتماعي ».

وبعد ان درست الامة الاولى اهم قضايا الطبقة العاملة في اطار النظام الرأسمالي اهتمت ببعض المسائل الجذرية لتحقيق الثورة .
وقد صاغ ماركس وانجلس الحكم القائل بان الطبقة العاملة قادرة على تحقيق الثورة الاشتراكية بالطريق السلمي وغير السلمي على حد سواء . وأشار ماركس إلى « ان الجمعية لا تفرض شكلاً معيناً للحركات السياسية، فهي تطالب فقط بان تكون هذه الحركات متجهة نحو هدف واحد . فالانتفاضة يمكن أن تكون جنوناً هناك، حيث يستطيع التحريك السلمي ان يقود إلى الهدف في طريق اسرع وأمن » .

وكان ماركس وانجلس، اللذان وضعاً لأول مرة نظرية الانتفاضة المسلحة للبروليتاريا، قد اشارا في الوقت ذاته إلى أهمية استخدام الاشكال البرلمانية لنضال البروليتاريا، وقال ماركس : « لا ينبغي الظن بان وجود العمال في البرلمانات أمر غير ذي شأن . . . فالحكومات معادية لنا : ويجب ردعها بكل الوسائل الممكنة المتوفرة لدينا . ان كل عامل يدخل البرلمان هو انتصار عليها، ولكن يجب انتخاب اناس ممتازين وباعتقاد مؤسسي الماركسية، لا يمكن لنضال البروليتاريا البرلماني ان يسفر عن النتائج المنشودة الا اذا اقترن باعمال شعبية واسعة غير برلمانية . وعلمنا البروليتاريا ضرورة الاخذ بجميع اشكال النضال - السلمية وغير السلمية، البرلمانية وغير البرلمانية . وتسترشد الاحزاب الماركسية - اللينينية بهذه الاستنتاجات حتى الآن .

لقد ربي ماركس وانجلس العمال بروح عدم التسامح ليس فقط تجاه الظلم الاجتماعي، بل وتجاه الظلم القومي، فأكدوا بان المثال الاعلى الاشتراكي يتعارض مع الاضطهاد الاجتماعي والقومي على حد سواء . وكانا يعتقدان ان من واجب عمال أي بلد أن يقدموا الدعم لنضال الشعوب التحرري دون قيد أو شرط . علمنا بانها اكدا أهمية هذا التضامن لتحرير البروليتاريا نفسها اجتماعياً . ففي الشعار القائل « لا يمكن لأي امة ان تكون حرة وهي تضطهد أمة أخرى » أعرب ماركس وانجلس عن فكرة ان النضال في سبيل تحرير الامم

المضطهدة جزء ضروري لا يتجزأ من النضال في سبيل تحرير بروليتاريا الامم الاستعمارية . وعلقا أهمية كبيرة على النضال التحرري للشعب البولوني . ووصف لنين موقف الامة الاولى من النضال التحرري للشعب الايرلندي بانه نموذج رائع لما ينبغي ان يكون عليه موقف بروليتاريا الامم الظالمة من الحركات الوطنية . وقيم الماركسيون تقييماً رفيعاً أهمية النضالات الثورية، التي قامت بها آنذاك الجماهير الشعبية في آسيا . ورأوا فيها بشراً للحركات التحررية المرتقبة القادرة على ان تصبح حليفاً للبروليتاريا الثورية في بلدان اوربا .

وغدا الشعار الخالد « ياعمى العالم اتحدوا » شعاراً كفاحياً للاممية . وكان ماركس وانجلس يعتبران تحقيقه مهمة تاريخية للاممية . فقد اكد ماركس ان من الاهداف العظمى للجمعية هو جعل عمال مختلف البلدان يشعرون بانهم اخوة ورفاق يناضلون في سبيل تحررهم في صفوف جيش واحد، وليس ذلك وحسب، بل وجعلهم يعملون على هذا النحو . واصبحت وحدة عمال الحركة البروليتارية المنظمة شرطاً لا بد منه لنجاح نضالها الطبقي ضد البرجوازية .
كان ماركس وانجلس، وهما يخوضان النضال بلا مساومة ضد النزعة القومية والشوفينية البرجوازية، قد علما البروليتاريا ان المصالح الوطنية الحققة، أي مصالح التطور الثوري التقدمي للامة المعنية ولطبقتها العاملة، لا تتعارض مع المصالح الامة، بل بالعكس تتفق معها كلياً . ووضح انجلس للبروليتاريا ان الافكار الوطنية حقاً في الحركة العمالية هي في الوقت ذاته افكار امية حقاً .

وقد اكد تاريخ الحركة الثورية كلياً صواب الاحكام الماركسية لجمعية العمال العالمية بشأن الامة البروليتارية . فقد كان الشيوعيون ولا يزالون يسعون بشبات إلى تحقيق التضامن البروليتاري في نشاطهم العملي . وفي الظروف الراهنة تتسم وصايا ماركس وجمعية العمال العالمية عن الامة البروليتارية بمتى الامة بالنسبة لنجاح مجمل النضال ضد الامبريالية . ان التنامي الهائل للوعي الوطني الذاتي للشعوب والطبقة العاملة يتطلب حلاً

صائباً لمسألة التوفيق بين الجانبين الوطني والاعمى في الحركة الثورية العمالية. وتبين خبرة التاريخ ان التعارض بين الجانبين، الوطني والاعمى، أي المبالغة في الجانب الوطني أو على العكس، تجاهله في الصراع الطبقي، يمكن ان تلحق ضرراً بمصالح الحركة العمالية في بلدان منفردة وعلى الصعيد العالمي. ان استنتاج الماركسية بشأن الجمع الصائب بين الجانبين الوطني والاعمى في الحركة العمالية والشيوعية يساعد الاحزاب الشيوعية على رص صفوف الجبهة العالمية للمكافحين ضد الامبريالية.

ان الماركسيين، وهم يناضلون في سبيل مثلهم العليا، قد ابدوا على الدوام اهتماماً خاصاً بصيانة السلام وتعزيزه ودعوا البروليتاريا إلى اليقظة ازاء السياسة الخارجية للحكومات البرجوازية. ويتحدث ماركس في البيان التأسيسي عن واجب الطبقة العاملة « بان تمتلك بنفسها اسرار السياسة الدولية وتتابع النشاط الدبلوماسي لحكوماتها وتعارضه عند الضرورة بكل الوسائل المتوفرة تحت تصرفها ». ودعا قرار مؤتمر جنيف ١٨٦٦ إلى حل الجيوش الدائمة وإلى تسليح الشعب بشكل فصائل الميليشيا الشعبية.

وواجهت الامة سياسة الحروب البرجوازية بالسياسة البروليتارية للنضال في سبيل السلام بين الشعوب. وليس من قبيل الصدفة ان ماركس نعت مؤتمرات الامة بمؤتمرات السلام. وقد رأى ماركس في الحركة البروليتارية. وفي التضامن البروليتاري العالمي قوة حاسمة قادرة على تسلم السلطة وقطع دابر الحروب. وكتب ماركس يقول: « ان تحالف عمال جميع البلدان سيحدث في آخر المطاف كل الحروب... وعلى النقيض من المجتمع القديم ببؤسه الاقتصادي وجنونه السياسي يتولد مجتمع جديد سيكون السلام مبداه الدولي. وذلك لأنه سيكون لدى كل شعب سيد واحد بعينه ألا وهو العمل ». وقد أعلن الماركسيون النضال في سبيل السلام جزءاً من « النضال المشترك في سبيل تحرير الطبقة العاملة ».

والحركة الشيوعية متمسكة بهذا الاستنتاج حتى يومنا هذا. فان شعار

النضال في سبيل السلام، الذي طرحته الامة الأولى، قد اكتسب الآن اهمية باعتبار هذا النضال اكثر مسائل العصر إلحاحاً. وتؤكد الحياة صواب الماركسية ليس فقط في ان النضال من أجل السلام والعمل والاشتراكية مترابط، بل وفي ان الشيوعيين، اتباع ماركس، هم انشط واثبت انصار السلام. ان انقاذ البشرية من خطر الحرب العالمية المدمرة يتوقف الآن لدرجة حاسمة على نضال الشيوعيين والبلدان الاشتراكية ضد الامبريالية التي هي المذنبة في شن الحروب والعدوان.

واخيراً، استخلصت الامة الأولى استنتاجات هامة حول جملة من قوانين بناء الاشتراكية، التي لاتزال تحتفظ باهميتها حتى اليوم. فقد ورد قرار مؤتمر لوزان ١٨٦٧ لأول مرة ان جميع وسائل النقل والاتصال يجب ان تحال إلى ملكية الدولة. وفي مؤتمر بروكسل ١٨٦٨ صاغت لجنة خاصة قراراً بشأن احوالة المناجم والمقالع والسكك الحديدية وطرق السيارات والاقتنية وجميع وسائل الاتصال إلى الاستخدام العام. وفي سياق الصراع الحاد مع البرودونيين جرى التأكيد على ضرورة تأميم الأرض. واتخذ مؤتمر بازل في ١٨٦٩ من جديد قرارات بشأن الغاء الملكية الخاصة للأرض واحالتها إلى ملكية عامة.

الامة الأولى وكومونة باريس

في مطلع سبعينات القرن الماضي واجهت البروليتاريا العالمية ومنظمتها - الامة الأولى - مخنة خطيرة بسبب الحرب الفرنسية البروسية. فقد تأتى على جمعية العمال العالمية ان تحدد عملياً موقفها من مسألة الحرب، أولاً. ومن الناحية الثانية كانت الحرب نفسها معقدة من حيث طابعها. فقد كان مبعثها التصارع بين المصالح المتناقضة للطبقات المسيطرة في فرنسا وبروسيا. ففي اواخر الستينات اشتدت لدرجة كبيرة التناقضات بينهما، شأنها شأن التناقضات داخل فرنسا نفسها. وكانت السلطة الامبراطورية في فرنسا تأمل في تعزيز

مواقعها داخلياً وفي أوروبا كلها عن طريق حرب مظفرة غير واسعة. وهكذا كانت الاوساط الحاكمة الفرنسية تستهدف وراء الحرب اغراضاً سلالية جائرة. وفي الوقت ذاته كانت حكومة بيسمارك البروسية، الساعية إلى توحيد المانيا عن طريق الحروب، قد استفزت فرنسا بشتى الوسائل، لاثارة صدام مسلح. وكان الهدف العادل والايجابي تاريخياً، الذي توخته الامة الالمانية، قد حقق بطرق غير نبيلة، بطرق الحرب السلالية. كل ذلك عقد لدرجة كبيرة صياغة تكتيك الامة الأولى ازاء هذه الحرب.

اندلعت الحرب الفرنسية - البروسية في حزيران ١٨٧٠. ولم تبخل حكومتا كلا البلدين بالجهود لتسميم الطبقة العاملة والفلاحين بسم الشوفينية وزجهم في هيب الحرب من أجل مصالحها الطبقة السلالية. وفي تلك المحنة العنصرية بالنسبة للبروليتاريا العالمية صاغت الامة الأولى بقيادة ماركس وانجلس على نحو رائع موقفها ازاء الحرب. عندما نشبت الحرب دعا ماركس وانجلس في اول نداء للامة الأولى الطبقة العاملة في مختلف البلدان إلى النضال ضد النزعة العسكرية وضد خطط الغزو العدوانية لدى الطبقات الحاكمة في فرنسا وانطلقا من ضرورة دعم القضية التقدمية موضوعياً، قضية توحيد المانيا. ولكنها في الوقت ذاته حذرا الطبقة العاملة من السماح بتحويل هذه الحرب على يد المانيا إلى حرب غزو. ولكن عندما تحولت هذه الحرب بجريرة العسكريين البروسيين إلى حرب ظالمة حيث بدأت القوات البروسية تستولي على اراضي فرنسا، فضح ماركس وانجلس في النداء الثاني اهداف الغزو لدى الحكومة البروسية الرجعية وهبا للذود عن الاستقلال الوطني لفرنسا.

وقد حظي النداءان الأول والثاني للمجلس العام للامة بشأن الحرب الفرنسية - البروسية باهتمام واسع لدى العمال، وساعدا البروليتاريا في تحاشي الهياج الشوفيني وفي ادراك زيف الدعاية، التي سعت إلى تمويه الطابع العدواني للحرب. ودعا ماركس العمال إلى النضال الحازم ضد حروب الغزو.

لقد اتسمت تجربة صياغة تكتيك الامة الأولى ازاء الحرب الفرنسية - البروسية باهمية كبيرة لحركة الطبقة العاملة كلها فيما بعد. بيد ان زعماء الامة الثانية اليمينيين خانوا، ابان الحرب العالمية الأولى، المواقف الماركسية ازاء حروب الغزو وايدوها. والاحزاب الشيوعية وحدها لاتزال تتمسك بثبات بالمبادئ التي صاغتها الامة الأولى، مبادئ الكفاح ضد الحروب الظالمة. وساعدت الخبرة التاريخية للحركة الشيوعية المعاصرة في وضع تكتيك شامل ازاء مسائل الحرب والسلام.

كانت فرنسا قد منيت بهزيمة سريعة في الحرب ضد بروسيا. ففي ٢ ايلول ١٨٧٠ استسلمت القوات الفرنسية مع الامبراطور لويس بوناپرت. وعندما بلغ هذا النبا باريس انتفضت الجماهير الشعبية، واسقطت النظام الملكي في البلاد في ٤ ايلول. وتسلمت السلطة حكومة برجوازية سمت نفسها « بحكومة الدفاع الوطني »، ولكنها في الواقع كانت « حكومة خيانة الوطن ». وهي عقدت الصلح بشروط مذلة مع القيادة العسكرية البروسية، لكي تفرغ لمحاربة القوى الثورية في فرنسا.

وواجهت الامة الأولى وقائدها العظميان من جديد مهمة معقدة في تحديد الموقف ازاء الحركة الثورية المتصاعدة في فرنسا. كان ماركس وانجلس يدركان ان الشروط الموضوعية والذاتية للثورة البروليتارية في فرنسا لم تنضج بعد. ولذلك حذر ماركس البروليتاريا الفرنسية من احتمال انتفاضة سابقة لأوانها الا ان النشاط الثوري للجماهير استمر في التصاعد. وكانت الحكومة البرجوازية تشعر بقلق جدي من تطور الاحداث على هذا النحو حتى انها قررت تسليم باريس إلى الالمان. وكانت القوة الوحيدة التي انطلقت من المواقع الوطنية الثورية هي الحرس الوطني، الذي اسسه الشغيلة آنذاك، ولجنته المركزية اللتين كانتا تمثلان تنظيمًا للشعب المسلح. حاولت الحكومة البرجوازية برئاسة تويرنزع سرح هذا الحرس والاستيلاء على مدافعه التي اشترها بنقود شغيلة باريس ورداء. على ذلك انتفض سكان باريس، وفي طليعتهم

البروليتاريا، في ١٨ آذار ١٨٧١، مما أدى إلى ظهور كومونة باريس.

كانت كومونة باريس أول ثورة بروليتارية وأول دكتاتورية للبروليتاريا في التاريخ. ولم يطل عمرها (٧٢ يوماً من ١٨ آذار إلى ٢٨ أيار)، ولكنها تركت أثراً كبيراً في تاريخ النضال الثوري للبروليتاريا. بما. لقد ظهرت نتيجة تعمق التناقضات الاجتماعية في فرنسا. وكانت، إلى جانب ذلك، نتيجة لنشاط الحركة العمالية العالمية والاممية الأولى ولانتشار افكار الماركسية في صفوف البروليتاريا.

بعد الاطاحة بسلطة البرجوازية أصبحت اللجنة المركزية للحرس الوطني حكومة ثورية مؤقتة قمعت مقاومة العناصر المعادية للثورة وأمنت تحقيق اجراءات ثورية هامة.

في ٢٦ آذار جرت في باريس انتخابات الكومونة. كانت الاغلبية فيها (٦٥ من ٨٦ مقعداً) تعود للمنظمات الثورية. وانتخبت للكومونة ٢٦ عاملاً. اما المقاعد الباقية فكانت للمستخدمين والمعلمين والاطباء والصحفيين والمحامين. وكان من بين اعضاء الكومونة بلانكيون (١٨) وبرودونيون (١٣) وبرودونيون يساريون (١٠) وديمقراطيون ثوريون ويعقوبيون (١٩). وكان ٣٣ عضواً في الكومونة منتسبين إلى الاممية الأولى. وكانت الكومونة من حيث قوامها الاجتماعي تمثل العمال والبرجوازية الصغيرة.

وكانت أهمية كومونة باريس التاريخية تتلخص في إسقاط الدولة البرجوازية واستبدالها بدولة دكتاتورية البروليتاريا. ففي ٢٩ آذار اتخذت الكومونة مرسوماً بحل الجيش الدائم واستبداله بالحرس الوطني أو تسليح الشعب. وعلى اثر ذلك تمت تصفية البوليس البرجوازي. وفصلت الكومونة الكنيسة عن الدولة واتخذت مرسوماً بحالة اموال الاديرة إلى الدولة.

وبدأت في الوقت ذاته عملية بناء جهاز جديد للدولة هو جهاز بروليتاري. واستند نظام الدولة البروليتاري إلى مبادئ انتخاب جميع المسؤولين ومسؤوليتهم واستبدالهم وجماعية الادارة. ورفض اعضاء كومونة

باريس المبدأ البرجوازي الخاص بتقسيم السلطات. فقد جسدت الكومونة نفسها وحدة السلطة التشريعية والتنفيذية. وشكلت من بين اعضائها ١٠ لجان، بما فيها اللجنة التنفيذية (استبدلت فيما بعد بلجنة الانفاذ الاجتماعي) التي مارست ادارة الامور عموماً. وهكذا قدم اعضاء الكومونة مثلاً على الديمقراطية الحقة، الديمقراطية البروليتارية.

وبدأت الكومونة منذ الايام الأولى لقيامها بتنفيذ الاجراءات الاجتماعية والاقتصادية: فالمؤسسات الصناعية التي تركها اصحابها احيلت إلى روابط العمال. واستؤنف العمل في هذه المؤسسات بادارة عمالية. وفرضت الرقابة العمالية على المطبعة الوطنية وورشات السلاح في اللوفر.

واتخذت الكومونة اجراءات تحسين اوضاع اوسع فئات السكان الكادحين. واهتمت بصيانة عمل العمال والمستخدمين ومكافحة البطالة وتصفية الفوارق الكبيرة في الاجور. وكان من قراراتها الأولى تعيين الحد الاعلى لرواتب مستخدمي الدولة (٦ آلاف فرنك في العام)، وهو ما يعادل راتب عامل ماهر. وتحسنت ظروف عمل العمال وطبق الحد الأدنى الالزامي للاجور وزيدت اجور صغار المستخدمين.

واتخذت الكومونة قراراً بالغاء ديون ايجار السكن لفترة معينة، والغت بدلات ايجار السكن من ١ نيسان حتى ١ حزيران ١٨٧١. واعيدت الاموال المنقولة المرهونة في المراهن إلى اصحابها مجاناً. واتخذ كذلك مرسوم بتبسيط الدفع حسب الكمبيالات التجارية لمدة ثلاث سنوات. وتجلت في ذلك ايضاً العناية بمصالح البرجوازية الصغيرة التي كان يتهدها الافلاس.

واتخذت الكومونة عدة اجراءات في ميدان التعليم والثقافة والتنوير. وبدأت عملية فصل المدرسة عن الكنيسة. وطبق التعليم الابتدائي الالزامي المجاني. وتطور على نطاق واسع في فترة كومونة باريس نشاط المنظمات الاجتماعية الديمقراطية - النقابات والنوادي وفروع الاممية ولجان اليقظة وغيرها.

كان مختلف اعضاء الكومونة يعالجون تنفيذ الاجراءات السياسية والاجتماعية والاقتصادية باشكال مختلفة. وانقسمت الكومونة إلى « اقلية » (البلائكيين واليعاقبة الجدد) و « اقلية » (البرودونيين). وكانت الخلافات بشأن مسائل المركزية وحدود السلطة ومكافحة الثورة المضادة قد بلغت من الحدة، بحيث لم تحضر « الاقلية » جلسات الكومونة في وقت ما .

كانت الاختلافات، ناهيك عن انعدام الوضوح بشأن عدد من المسائل المبدئية للتحويلات الثورية، قد ادت إلى هفوات ونواقص خطيرة في نشاط الكومونة. الا ان خبرة الكومونة كلها كانت اهم عبرة للبروليتاريا العالمية واستخدمت في عدد من الثورات اللاحقة، بما فيها ثورة اكتوبر، لتأمين انتصار الطبقة العاملة في النضال من أجل السلطة. فما هي عبر الكومونة؟

سمح اعضاء الكومونة للحكومة البرجوازية بالهرب من باريس إلى ضاحيتها فرساي ولم يتخذوا اجراءات حازمة لخنق وكر الثورة المضادة في فرساي وهو جنين. وكتب ماركس يقول: « لقد فوتوا الفرصة بسبب الوجدان. فما كانوا يريدون البدء بحرب اهلية وكان هذا المسخ الفظيع تير لم يشن الحرب الاهلية بمحاولته لتزع سلاح باريس! ». لقد استفادت الرجعية البرجوازية من ذلك وعززت قواتها وبدأت في اللحظة الملائمة معركة دموية ضد باريس الثائرة. ان خبرة كومونة باريس تذكر جميع الثوريين بضرورة النضال السريع الحازم دون رحمة ضد الثورة المضادة بغية قمعها في المهد.

كان اعضاء الكومونة قد استعجلوا في انتخاب الكومونة واقامة الحكومة الثورية المؤقتة. فقد اشار ماركس إلى « . . . ان اللجنة المركزية تخلت عن صلاحيتها في وقت مبكر جداً لكي تفسح المجال للكومونة. وذلك ايضاً بفضل « النزاهة » البالغة حد الارتياب ». ان ضرورة مراعاة عبرة الكومونة هذه في الوقت الحاضر تتسم باهمية غير ضئيلة. ومن المعروف ان جميع خصوم سلطة الطبقة العاملة يتهمون الشيوعيين - اذا استلموا السلطة - بخرق الديمقراطية ويطالبون باجراء الانتخابات فوراً لكي لا يتيحوا لهم فرصة العمل التوضيحي

بين السكان، مؤملين ابقاء انصار النظام الرأسمالي او دفعهم إلى الهيئات التشريعية، باصوات الناخبين الذين لم يتخلصوا بعد من عبء تأثير البرجوازية والرجوازية الصغيرة. وتذكرنا خبرة الكومونة ان أي استعجال في هذه المسألة يمكن ان يخدم اعداء الثورة.

كانت الكومونة، بما فيها من تيارات سياسية متنوعة، تعاني من الصعوبات في تنفيذ سياسة موحدة وصارمة. فبناء على طلب البرودونيين، مثلاً، تخلت الكومونة عن مصادرة اموال البنك الوطني. كانت باشد الحاجة إلى الاموال ولكنها اخذت من البنك ١٥ مليون فرنك فقط (من اصل ٣ مليارات)، في حين اخذ اعداء الثورة من البنك مبالغ ضخمة لمكافحة باريس الثائرة. وكانت عبرة الثوار الفرنسيين هذه نافعة للمناضلين ضد سلطة الرأسمال. ففي سياق الثورات الاشتراكية في روسيا وبلدان الديمقراطية الشعبية عمل الشيوعيون على التأميم السريع الحازم لفروع الاقتصاد الحساسة وحرموا بذلك البرجوازية من القاعدة المادية لسيطرتها.

ولم يوفق اعضاء كومونة باريس في الاتصال بالفلاحين وسكان المدن الفرنسية الأخرى. ولأمد طويل التزمت القيادة العسكرية للكومونة بتكتيك الدفاع السلمي. ولم يكن اعضاء الكومونة يمتلكون الحزم اللازم في مكافحة اعداء الثورة. وقد اضعف ذلك كله القدرة الكفاحية للكومونة. وقد وروعت ولا تزال تراعي هذه العبر المبدئية للكومونة من قبل الاحزاب الشيوعية في استراتيجيتها وتكتيكها. ان دراسة هذا الجانب من خبرة الكومونة تشير إلى ضرورة تطوير سياسة اوسع التحالفات بين الطبقة العاملة والفئات الكادحة غير البروليتارية من السكان وضرورة انتقال القوى الثورية إلى الهجوم الحازم في اللحظة الحاسمة وضرورة الثبات في سياسة قمع مقاومة الثورة المضادة.

في ٢١ ايار اخترقت قوات الثورة المضادة، المدعومة من القوات الالمانية المرابطة قرب باريس، خط دفاع الكومونة وسيطرت على المدينة بأسرها بعد اسبوع ونكلت الرجعية بوحشية بحماة كومونة باريس. فقد اعدمت ٢٠ -

٤٠ ألفاً منهم دون محاكمة. وكان بينهم نساء واطفال. كانت الظروف الداخلية والخارجية غير الملائمة، التي ظهرت فيها الكومونة إلى الوجود، وضعف البروليتاريا فكرياً وتنظيماً وانعدام التحالف مع الفلاحين وكذلك الهفوات التي اقترفت في نشاط اعضاء الكومونة - كل ذلك قاد دكتاتورية البروليتاريا، وهي الأولى في التاريخ، إلى الهزيمة.

وبالرغم من ان ماركس وانجلس حذرا من ان الانتفاضة سابقة لأوانها، ولكنها مع الامة الأولى ايدا الثورة البروليتارية في فرنسا تأييداً حاراً عندما بدأت. واحتل اعضاء الامة الأولى فارلين وفرانكل ودميتريفا وغيرهم مناصب هامة في الكومونة وساهموا مساهمة نشيطة في جميع اجراءاتها، وضحي الكثيرون منهم بحياتهم مقاتلين وراء المتاريس. وقد اعتبر زعيم البروليتاريا العالمية كومونة باريس وليداً روحياً للامة فكراً كل طاقتهما وخبرتهما لمساعدة اعضاء الكومونة. وتابع ماركس باهتمام تطور الثورة ودرس بامعان كل المعلومات الواردة من باريس. وكشف ماركس وانجلس أمام العمال في خطبهما في جلسات المجلس العام المغزى الكبير للكومونة.

ولاقى ماركس وانجلس صعوبات كبيرة جداً في اقامة الاتصال مع باريس، الواقعة في طوق الحصار، وساعدا الكومونة بالنصائح وانتقاد الاخطاء. وبعث ماركس إلى كافة ارجاء العالم رسائل اكد فيها ضرورة تنظيم الدعم الشامل للكومونة. وحذر ماركس الكومونة في رسالة إلى عضويتها فرانكل وفارلين من تواطؤ الرجعية الفرنسية مع البروسيين بغية اخادها.

وبفضل نشاط ماركس وانجلس، انتشرت افكار الكومونة بين عمال مختلف البلدان، رغم افتراءات الصحافة البرجوازية. وحتى في الرايخستاغ الألماني دوى خطاب ببيل، احد زعماء الاشتراكية الديمقراطية الألمانية المنتخب إلى الرايخستاغ، مدافعاً عن الكومونة، معلناً بحماس: «كونوا على ثقة من ان البروليتاريا الأوروبية كلها وكل من يحتفظ في جوانحه بحب الحرية والاستقلال يتطلع إلى باريس. وحتى لو اخذت باريس اللحظة الراهنة فاني اذكركم بان

النضال في باريس يمثل مناوشة امامية صغيرة واحدة فقط...». وقد وجهت إلى ببيل بسبب هذا الخطاب تهمة «الخيانة العظمى» وزج في السجن. وايد الكومونة كذلك الجمهوريون الانجليز ومثلو الديمقراطيين في الجزائر. وقاتل وراء متاريس كومونة باريس ثوار من روسيا وبولونيا والمجر وايطاليا وبلجيكا. ودرس ماركس وانجلس ولنين خبرة كومونة باريس دراسة معمقة. وعلى اثر الاحداث الثورية وضع ماركس واحداً من المؤلفات العبقريّة للشيوعية العلمية، نعي «الحرب الاهلية في فرنسا» الذي صدر في لندن في حزيران ١٨٧١، وعمم فيه دروس الكومونة، وواصل تطوير تعاليم الصراع الطبقي والثورة ودكتاتورية البروليتاريا. وقدم لينين تحليلاً عميقاً لعبر الكومونة في مؤلفاته، وخصوصاً في «الدولة والثورة». وكانت خبرة كومونة باريس المعممة في مؤلفات مؤسسي الماركسية - اللينينية مساهمة كبيرة في النظرية الثورية للبروليتاريا العالمية.

الاهمية التاريخية للكومونة

لم يطل عمر اول سلطة للطبقة العاملة في التاريخ. وقد سقطت لأنه لم تتوفر جميع المقومات الموضوعية والذاتية لترسيخ وتطوير الانتفاضة الثورية الجماهيرية. فالانتصار التام كان يتطلب، كما اشار لينين، شرطين على الأقل: التطور العالي للقوى المنتجة واعداد البروليتاريا. لم يكن هذان الشرطان في فرنسا في عام ١٨٧١. وهذا هو مبعث نقاط الضعف والهفوات المعروفة في الكومونة، وهو ما أدى إلى هلاكها

ومع ذلك فان للكومونة اهمية تاريخية كبرى اذ اكدت صواب وحيوية التعاليم الماركسية بشأن الرسالة الثورية للطبقة العاملة وحتمية تحولها إلى طبقة سائدة عن طريق استيلائها على السلطة السياسية. وقد عرضت الكومونة في التطبيق العديد من أهم سنن الثورة البروليتارية. وحددت قبل كل شيء طرق

واساليب حل المسألة الرئيسية في الثورة الاشتراكية، مسألة سلطة الدولة. وانتقلت تعاليم ماركس بشأن دكتاتورية البروليتاريا من ميدان النظرية إلى حيز التطبيق الثوري وجرى الثبوت منها بالتجربة الثورية.

لقد بينت كومونة باريس ان الدولة البروليتارية يجب ان تكون من طراز جديد وان تخدم ليس الاستغلاليين، بل الجماهير الشعبية الواسعة المتحررة من الاستغلال الرأسمالي.

واكد اخفاق كومونة باريس من جديد الاستنتاج الذي توصل اليه ماركس على اساس خبرة ثورة ١٨٤٨ بشأن ضرورة التحالف المتين بين الطبقة العاملة والفلاحين من أجل النضال الثوري المظفر.

وبينت كومونة باريس للعالم كله قدرة الطبقة العاملة على الجمع بين الوطنية الثورية والاممية البروليتارية. فسياسة الكومونة الوطنية حقاً كانت في الوقت ذاته سياسة امية عميقة. واعلنت الكومونة التخلي عن النزعة العسكرية وعن حروب الغزو ودعت الشغيلة إلى النضال في سبيل جمهورية اجتماعية عالمية.

وكان الاستنتاج الهام جداً، النابع من نشاط كومونة باريس الخلاق ومن إخطائها وهفواتها، هو ضرورة وجود حزب سياسي ثوري مستقل للطبقة العاملة، حزب قادر على قيادة نضالها والسير بها إلى النصر.

لقد بذل الانتهازيون اليمينيون واليساريون جهوداً غير ضئيلة لتشويه تاريخ كومونة باريس. ويحاول التحريفيون اليمينيون تصوير الكومونة كظاهرة عرضية وكتمرّد غير منظم اعاق، كما يزعمون، تطور الحركة العمالية في فرنسا. ويضيف الانتهازيون اليساريون طابعاً مطلقاً على اشكال الكفاح المسلح ويرون فضل كومونة باريس فقط في كون اعضائها هبوا شاهرين السلاح لمحاربة البرجوازية الرجعية. ويتجاهل هؤلاء الانتهازيون واقع ان الحرب الاهلية كانت مفروضة على عمال باريس من قبل البرجوازية.

ان قضية كومونة باريس تجل من جميع الشبوعيين. وقال لينين انها

« تعيش حتى الآن في كل منا » وذلك « لأنها قضية الثورة الاجتماعية، قضية التحرر السياسي والاقتصادي التام للشغيلة، قضية بروليتاريا العالم بأسره. ولذا فانها قضية خالدة ».

وبمناسبة الذكرى المئوية لكومونة باريس اكدت الاحزاب الشيوعية وجميع التقدميين في العالم من جديد اهميتها الراسخة. وعقدت مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » في براغ مؤتمراً نظرياً عالمياً كرس لهذا الحدث التاريخي. وجرت في ايام الاحتفالات بهذا اليوبيل اشادة بالدور البارز للكومونة في التاريخ العالمي كما اجري تحليل عميق لأهم عبرها. وكتب دوكلو، الشخصية البارزة في الحزب الشيوعي الفرنسي والحركة الشيوعية العالمية، يقول « ان العبرة الأولى التي ينبغي للطبقة العاملة ان تستخلصها من الخبرة المجيدة لكومونة باريس هي ضرورة تأمين وجود وتطوير الحزب الذي يستلهم في كل مكان مبادئ الماركسية - اللينينية ويضم تعاليم ماركس - وانجلس - لينين ويستطيع حملها إلى صفوف الطبقة العاملة، إلى الجماهير الشعبية الواسعة ».

وتحتفظ باهميتها كذلك عبر خبرة الكومونة والاستنتاجات المستخلصة منها مثل ضرورة الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا والتضامن الاخوي بين عمال جميع البلدان والتحالف بين البروليتاريا وجماهير الشغيلة الأخرى. الفلاحين والفئات المتوسطة من سكان المدن، وعدم السماح بالتذبذب الانتهازي والصلابة والحزم والثبات في النضال ضد الثورة المضادة، وساعد تعميم خبرة الكومونة على رص صفوف الحركة الشيوعية على اساس مبادئ الماركسية - اللينينية والاممية البروليتارية.

الأممية الأولى بعد كومونة باريس. الاممية التاريخية للأممية الأولى

بعد القمع الوحشي لكومونة باريس انهالت الملاحقات البوليسية على الاممية وعلى جميع منظمات الطبقة العاملة. وفي ظروف الحملة المسعورة من

الافتراء على الاممية ظل ماركس وانجلس كالسابق على رأس الحركة العمالية الاوروبية والعالمية. وكانت المهام الرئيسية آنذاك هي تعزيز الوحدة العالمية للطبقة العاملة والبدء بتنظيم الاحزاب السياسية الوطنية واستيعاب دروس الكومونة في نشاط الحركة العمالية. وكانت هذه المسائل موضوع النقاش في مؤتمر الاممية، الذي عقد في لندن عام ١٨٧٠.

كانت الحصيللة الرئيسية لاجمال المؤتمر هي اتخاذ قراراً « بصدد العمل السياسي للطبقة العاملة ». واكد القرار من جديد على اهمية توحيد قوى البروليتاريا باعتباره سنداً « في نضالها ضد السلطة السياسية للملاك العقاريين الكبار والرأسماليين ». ورفض القرار محاولات الباكونيين لصرف الطبقة العاملة عن النضال السياسي المنظم. واتسم باهمية كبيرة خاصة ذلك القسم من القرار الذي طرح في جدول اعمال الحركة العمالية مسألة تأسيس الاحزاب السياسية الوطنية المستقلة للبروليتاريا.

وساعدت قرارات مؤتمر لندن الموجهة ضد الانعزالية على تعزيز تلاحم الطبقة العاملة وتنظيمها. واكدت هذه القرارات مبادئ الضبط الحزبي والمركزية الديمقراطية في الاممية الاولى ورفضت محاولات الثوريين الفوضويين البتي برجوازيين الرامية إلى التنصل عن المسؤولية امام الطبقة العاملة العالمية.

وبعد مؤتمر لندن شدد الفوضويون الباكونيون تهمجاتهم على ماركس وانجلس والمجلس العام للاممية. وتوحدت عدة تيارات معادية للماركسية في حملة الباكونيين على الاممية. وعقد الباكونيين في سويسرا « مؤتمرهم » واعلنوا الاستقلالية التامة لفروع الاممية.

وفي صراع حاد مع الباكونيين جرت اعمال المؤتمر الخامس للاممية الاولى في لاهاي (٢ - ٧ ايلول ١٨٧٢). وساهم ماركس وانجلس مساهمة مباشرة في اعمال مؤتمر لاهاي، الذي جسدت قراراته الحصيللة الاساسية لعمل جمعية العمال العالمية طوال ثمانية اعوام. وحضر المؤتمر حوالي ٧٠ مندوباً يمثلون فروع الاممية في انجلترا وفرنسا والمانيا وبلجيكا والدانمارك وهولندا وسويسرا

واسبانيا والنمسا - المجر وامريكا. وكان ذلك اوج نشاط الاممية حيث كانت فروعها واتحاداتها تضم عشرات الآلاف من الاعضاء.

وبفضل النشاط الكبير الذي مارسه ماركس وانجلس وانصارهما احبطت محاولات الباكونيين للاستيلاء على قيادة الاممية. فقد شجبت الاممية نشاط الباكونيين الانقسامي باعتباره يتعارض ومهام واهداف الحركة العمالية العالمية. وفصل زعماء الباكونيين من الاممية. واتضح من خلال المؤتمر ان الماركسية احرزت نصراً فكرياً وتنظيماً على نظريات ما قبل ماركس الخاصة بالاشتراكية المنافية للعلم. وبناء على اقتراح من ماركس صارت نيويورك مكاناً لوجود المجلس العام بعد المؤتمر. وقد انتهى نشاط جمعية العمال العالمية في الواقع بمؤتمر لاهاي. فمنذ ذلك الوقت فقدت الجمعية بالتدريج دورها كمنظمة عالمية للطبقة العاملة، ثم حلت في عام ١٨٧٦. ويعزى حل الاممية الاولى إلى انها نفذت حتى ذلك الحين مهمتها التاريخية حيث سددت الضربة إلى اشكال الاشتراكية السابقة لماركس وامنت انتصار اهم مبادئ الشيوعية العلمية في الحركة العمالية المنظمة. وكان الوضع التاريخي الجديد بعد كومونة باريس (ملاحقة اعضاء الاممية من قبل قوى الرجعية العالمية، من جهة، ضرورة الانتقال من جهة اخرى إلى اشكال تنظيمية جديدة للحركة العمالية وإلى تأسيس الاحزاب العمالية في البلدان على انفراد) قد جعل زعماء الاممية يستنتجون ضرورة حلها. الا ان حل الاممية لا يعتبر تخلياً عن مبادئ التضامن البروليتاري العالمي. فقد كتب ماركس إلى زورغه يقول: « ان الاحداث والتطور الحتمي للوضع وتعقده - كل ذلك سيتطلب بعث الاممية بشكل افضل... ».

لقد كان ظهور الاممية الاولى ونشاطها تطوراً نوعياً في سير النضال البروليتاري. فلئن كانت الحركة البروليتارية قبل ستينات القرن التاسع عشر قد مرت بمرحلة التطور العفوي وكانت مشتتة من الناحية الفكرية والسياسية فان الاممية ساعدت على تطور النضال المنظم الواعي للعمال ووفرت المقترحات

لاندماج الاشتراكية بالحركة البروليتارية الجماهيرية.

لقد ايقظت الامة ثقة البروليتاريا العالمية بقواها الجبارة. فجمعية العمال العالمية عندما قادت نضال الحركة البروليتارية العالمية ساعدت بدرجة حاسمة على دفع الطبقة العاملة إلى النضال الفعلي وعلى نطاق واسع كقوة طليعية لعصرها. وأشار المجلس إلى ان الامة سيطرت طوال عشر سنوات على جانب واحد من تاريخ اوربا، وهو بالذات الجانب الذي يكمن فيه المستقبل.

وبفضل نشاط الامة الأولى اقامت الحركة العمالية في مختلف بلدان العالم لأول مرة صلات التضامن والتعاون المتينة فيما بينها. ففي صفوف جمعية العمال العالمية توحدت منظمات عمالية من جميع البلدان، التي ظهرت فيها تلك المنظمات فقد كانت الامة الأولى مرتبطة بالحركة العمالية في إنجلترا وفرنسا والمانيا وسويسرا وبلجيكا والنمسا - المجر وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وهولندا والدانمارك واسبانيا والبرتغال وإيطاليا والمغرب وبلغاريا ورومانيا. وكان للامة فرعان في الأرجنتين والمكسيك وكان اعضاء الامة يعملون في البرازيل واوروغواي وشيلي. وكتب انجلس إلى احد الاشتراكيين الرومانيين يقول: « لقد اصبحت السياسة الامة المشتركة ضرورة ». وكان فضل الامة يكمن في انها طورت الصلات الواسعة بين عمال مختلف البلدان وطبقت عملياً المناقشات الجماعية ومبدأ الالتزام بالخط المرسوم جماعياً. وبفضل نشاط جمعية العمال العالمية دخلت مبادئ الامة البروليتارية اعمق اعماق الحركة العمالية باعتبارها مصدراً لقوتها وضرورة لها. وارست الامة الأولى، على حد تعبير لينين، اساس النضال البروليتاري والكفاح العالمي في سبل الاشتراكية. وهي ستظل خالدة في تاريخ نضال العمال لأجل تحررهم.

وكان للامة كذلك اهمية غير ضئيلة في تصليب نواة القادة والمنظمين والنظرين والدعاة والكتاب والخطباء على الاصعدة المتنوعة لنضال البروليتاريا الطبقي تحت قيادة ماركس وانجلس. وقد اصبحت الكثيرون منهم فيما بعد قادة بروليتاريين حقيقيين للحركة الاشتراكية الجماهيرية. وكان بين هذه الكوكبة

المجيدة، ممن حملوا افكار الاشتراكية العلمية إلى جماهير الشغيلة الواسعة، بيل وبيكر وفارلين ولوبون ورورغه ولافارغ وليسنر وليكينخت وفرانكل وغيرهم من ممثلي العمال الاماجد في مختلف البلدان.

وقبل تأسيس الامة الأولى كانت الماركسية في الواقع مجرد واحد من تيارات الاشتراكية المتعددة. ونتيجة نشاط الامة احرز الاتجاه الماركسي انتصارات كبيرة على مختلف اشكال الاشتراكية البقي برجوازية. حتى ان مسألة انتصار الماركسية في الحركة العمالية قد حلت في الواقع نحو تسعينات القرن التاسع عشر.

وتجدر الإشارة إلى ان قيادة نشاط جمعية العمال العالمية كانت، بالنسبة للمؤسسي الشيوعية العلمية، مصدراً لمواصلة تطوير النظرية الماركسية. ان حياة ماركس بدون الامة، على حد قول انجلس، « من شأنها ان تكون خاتماً انتزعت منه جوهرته ». ان اندماج عبقرية ماركس وانجلس النظرية وعملها التنظيمي الهائل في تطوير استراتيجية وتكتيك الحركة البروليتارية الثورية قد زفعا النظرية الماركسية إلى مستوى جديد يستجيب لمتطلبات العصر التاريخي.

يتعرض نشاط الامة الأولى ودورها واهميتها بالنسبة للحركة البروليتارية العالمية إلى تشويهات وتهجمات من قبل ايدولوجي البرجوازية والاصلاحية. فالكتاب البرجوازيون المعاصرون المعادون للشيوعية يلزمون الصمت او يقللون من شأن دور الماركسية في تاريخ الامة الأولى والطابع الطبقي الثوري لهذه المنظمة والاساس الموضوعي لصراع مختلف التيارات فيها واهميتها التاريخية العالمية. وهم يقللون من دور ماركس في الامة ويؤكدون السمات الديمقراطية العامة لنشاطها ومحاولون حصر الصراع الفكري بالصددمات بين الشخصيات ويصورون النزعة الامة البروليتارية عند ماركس وانجلس على انها استهانة بمصالح بعض الامم.

بيد انه ليس بوسع اية تزويرات وتشويهات ان تقلل من الامة العالمية التاريخية حقاً للامة الأولى. فالمائة عام ونيف التي انصهرت على تأسيس الامة

الحركة العمالية في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . الاممية الثانية .

ظهور اللينينية

منذ كومونة باريس وحتى ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى اغتنت الحركة العمالية والشيوعية العالمية بخبرة جديدة هامة ذات علاقة بالظروف التاريخية الجديدة وبمهام النضال الطبقي للبروليتاريا . وهي خبرة نشاط الاحزاب العمالية والاممية الثانية التي ظهرت في فترة تحول الرأسمالية من المرحلة ما قبل الاحتكارية إلى مرحلة التطور الاحتكاري . - الامبريالية (اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين) ، وولد مختلف الاتجاهات ، المتناقضة احياناً ، في تطورها العام وفي تطور المنظمات الوطنية والعالمية .

الرأسمالية والحركة العمالية في اواخر القرن التاسع عشر

كانت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر عهد التطور السلمي نسبياً للرأسمالية . فلم تكن هناك حروب كبيرة بين البلدان الرأسمالية الأساسية ولا انفجارات ثورية كبرى . ومازالت هذه السنوات تتميز بالتطور السريع

الأولى اظهرت القوة الفعالية العظيمة للاممية البروليتارية التي ارسى اساسها . واليوم أيضاً يحيى الماركسيون - اللينيونيون افضل تقاليد جمعية العمال العالمية . فقد جاء في موضوعات معهد الماركسية - اللينينية التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي بعنوان « مثنوية الاممية الأولى » : « ان المبادئ الثورية للاممية البروليتارية ، التي اعلنتها جمعية العمال العالمية ، تكتسب اليوم اهمية حيوية كبيرة على الخصوص . وان تطبيق هذه المبادئ شرط لا بد منه لانتصار الشيوعية » .

* * *

لرأسمالية والنمو الكبير للإنتاج الصناعي . وكان حجم الإنتاج الصناعي العالمي يزداد كل عشر سنوات بنسبة ٤٠ - ٥٠٪ . وعلى أساس توسيع نطاق الإنتاج ازداد بسرعة تركيز الرأسمال وتمركزه ، واتخذت عملية تكوين الاتحادات الاحتكارية نطاقاً واسعاً . وفي الوقت ذاته اشتد كثيراً التوسع الاستعماري لدى الدول الامبريالية الرئيسية .

واقترن تطور الصناعة السريع بتنامي الطبقة العاملة المتسارع . فلتن كان تعداد العمال الصناعيين في العالم كله يوازي في الثمانينات حوالى ٢٠ مليوناً . فانه جاوز في عام ١٩٠٠ (٣٠) مليوناً . ولم تقتصر الحركة العمالية على اوربا الغربية والولايات المتحدة الاميركية كما كان الحال في العصر السابق ، بل شملت كذلك بلدان اوربا الشرقية وروسيا واميركا اللاتينية واليابان واوسية إلخ . وحدث توسع كبير في الاطر الجغرافية للحركة العمالية . وتتميز هذه الفترة كذلك بتزايد نشاط الطبقة العاملة وانشاء الاحزاب العمالية والنقابات ونموها السريع .

ان التطور « السلمي » نسبياً للرأسمالية وانعدام الوضع الثوري في البلدان الرأسمالية الاساسية حددا الخصائص والسمات الاساسية لتطور الحركة العمالية في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر .

لم تكن الثورة البروليتارية آنذاك هدفاً قريباً ومباشراً للحركة العمالية . وكانت اهدافها الرئيسية في تلك الفترة هي النضال في سبيل تأسيس وتعزيز الاحزاب العمالية والمنظمات النقابية والتعاونية وغيرها ، وكذلك النضال في سبيل الحقوق والحريات الديمقراطية وفي سبيل الاستفادة من الحملات الانتخابية والبرلمانات وفي سبيل تلبية الحاجات المباشرة للعمال وفي سبيل الاصلاحات وتوفير الظروف لنمو جديد للحركة العمالية .

ونحو اواخر الثمانينات تأسست في العديد من البلدان احزاب سياسية مستقلة للطبقة العاملة (وكانت هذه الاحزاب عادة تسمى بالاحزاب الاشتراكية او الاشتراكية الديمقراطية) . وكانت هذه الاحزاب تعتبر الماركسية

اسماً ايديولوجياً لنشاطها .

لقد تأسس اول حزب اشتراكي في المانيا عام ١٨٦٩ . وبعد ذلك تأسست الاحزاب الاشتراكية في هولندا (١٨٧٠) والدانمرك (١٨٧١) والولايات المتحدة الاميركية (١٨٧٦) وفرنسا واسبانيا (١٨٧٩) . تأسست الجمعيات الاشتراكية في انجلترا (١٨٨٠) وروسيا (١٨٨٣) والاحزاب الاشتراكية في النرويج (١٨٨٧) والنمسا وسويسرا والسويد (١٨٨٩) . وتوفرت الظروف الملائمة لظهور الاحزاب العمالية في عدد من البلدان الاخرى حيث ظهرت بعد تشكيل الاممية الثانية : ظهرت هذه الاحزاب في فنلندا واستراليا عام ١٨٩٠ وفي بولونيا ويطاليا عام ١٨٩٢ وفي بلغاريا والمجر وشيلي عام ١٨٩٤ . وكان تأسيس الاحزاب الاشتراكية مكسباً كبيراً للطبقة العاملة .

وكان من الامور الهامة على الخصوص ان اغلبية الاحزاب العمالية اتخذت افكار ماركس وانجلس ، افكار الشيوعية العلمية ، اساساً لايدولوجيتها وسياستها . وكان ذلك يعني انتصاراً تاريخياً للماركسية في الحركة العمالية العالمية وانهاراً لآراء وتيارات البرجوازية الصغيرة المنافسة للماركسية وبداية لمرحلة جديدة نوعياً في تطور الحركة العمالية العالمية .

وبعود إلى ماركس وانجلس فضل كبير في انتشار وانتصار افكار الاشتراكية العلمية في الحركة العمالية . فقد كانا على ارتباط وثيق بالطبقة العاملة في العديد من البلدان . ومارسا المراسلات المتواصلة مع زعماء المنظمات العمالية واثراً تأثيراً نشيظاً على تكوين وتطوير الحركة العمالية في مختلف بلدان العالم . وكانت نصائحتها واقتراحاتها وملاحظاتها الانتقادية وكذلك نضالهما المبدئي الثابت ضد كل انواع الآراء والافكار الفوضوية والاصلاحية قد قدمت مساعدة تفوق التقدير إلى الاحزاب والمنظمات في هذه البلدان او تلك وإلى الحركة الشيوعية العالمية جمعاء .

وتابع ماركس وانجلس باهتمام تغير الظروف التاريخية وحللا كل ما استجد في تطور الرأسمالية والحركة العمالية . وكانا اول من وجه الانظار إلى

ظاهرة تطور الاحتكارات. وعالجا كذلك مسائل آفاق تطور الثورة. وفي هذه الفترة بالذات وجها اهتماماً متزايداً إلى روسيا التي كانت تختمر فيها بسرعة مقدمات الثورة الشعبية العميقة. وأشار انجلس في عام ١٨٩٠ إلى « تغيرات اقتصادية كبيرة هامة » تجري في روسيا. وكتب في عام ١٨٩١ : « اذا كان عفريت الثورة قد اخذ بخناق احد ما، فقد اخذ بخناق نقولاي الثاني بالذات ».

والقضية الهامة الأخرى التي جلبت انتباه مؤسسي الماركسية بصورة متزايدة هي تنامي حركة التحرر الوطني وضرورة تحالفها مع النضال الطبقي للبروليتاريا. وعندما حلل ماركس وانجلس الحركة الثورية في ايرلندا والهند والصين وجها الطبقة العاملة نحو النضال المشترك مع الشعوب المضطهدة. وابدأ ماركس وانجلس، اخيراً، اهتماماً كبيراً بمسائل طرق واشكال الثورة البروليتارية في الظروف الجديدة. فقد اشار انجلس، مثلاً، في عام ١٨٩٥ إلى انه لا يجوز نقل خبرة معارك المتأريس لعام ١٨٤٨ بصورة جامدة إلى ظروف اواخر القرن التاسع عشر.

وقدم ماركس وانجلس مساعدة كبيرة إلى الحركة العمالية الالمانية وساعدا على تأسيس الحزب السياسي للبروليتاريا فيها. ووجها الانتقاد الحازم إلى نقاط ضعف الانتهازيين واخطائهم. وقاما بتحليل انتقادي عميق لبرنامج الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني الذي اقره المؤتمر الموحد لحزبي العمال في غوتا عام ١٨٧٥. وأشارا إلى ان هذا البرنامج يتضمن تنازلات جدية لمبادئ لاسال البتي برجوازية والمنافية للعلم، تنازلات من شأنها ان تلحق ضرراً كبيراً بالحركة العمالية في المانيا. وواصلوا في الوقت ذاته تطوير طائفة من الاحكام النظرية والبرنامجية لحزب العمال الماركسي.

ووجه ماركس في مؤلفه « في انتقاد برنامج غوتا » النقد إلى الموضوعة اللاسالية بشأن ما يسمى بالدولة الشعبية واكد ان دولة مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية « لا يمكن ان تكون غير دكتاتورية البروليتاريا

الثورية ». وعارض كذلك الموضوعة المنافية للعلم بصدد « القانون الجديد للاجور » الذي يجعل، كما يزعمون، اي نضال في سبيل زيادة اجور العمال امراً لا معنى له. وسخر ماركس من مطلب تقديم الدولة الاموال إلى العمال لتطوير الجمعيات الانتاجية القادرة كما يزعمون، على تصفية الرأسمالية وتأمين ترسخ الاشتراكية بالتدريج وبدون ثورة. ونعت هذا المطلب بالبطلان التام. وعارض ماركس كذلك الموضوعة الخاطئة والضارة في البرنامج والتي تزعم بان جميع الطبقات الاخرى تشكل بالنسبة للطبقة العاملة جمهوراً رجعيّاً واحداً لا اكثر. ان مؤلف ماركس « في انتقاد برنامج غوتا » وثيقة ماركسية هامة جداً تسترشد بها الاحزاب الشيوعية في نشاطها وعند صياغة وثائقها البرنامجية. وبعد وفاة ماركس (١٨٨٣) لعب انجلس دوراً بارزاً في تطوير نظرية وتكتيك الحركة العمالية وفي النضال ضد الآراء الخاطئة في صفوفها وفي نشر الماركسية وتطوير الحركة البروليتارية. واتسم باهمية كبيرة جداً كفاحه بلا هوادة ضد مظاهر مختلف انواع الانتهازية والجمود العقائدي والانعزالية في الاحزاب العمالية والنقابات والتعاونيات وسائر المنظمات.

تأسيس الامة الثانية. نضال الماركسيين ضد الفوضويين

لقد تطلبت الظروف الموضوعية للحركة العمالية وحاجاتها من الاحزاب العمالية والنقابات توسيع التعاون فيما بينها. ولذلك ازداد الطموح إلى تأسيس منظمة عالمية جديدة للطبقة العاملة. وطوال عدة سنوات بعد حل الامة الاولى لم تتوفر الظروف والامكانيات لتأسيس هذه المنظمة. ولكنه بقدر تطور النضال الطبقي وتنامي المنظمات العمالية، وبقدر نشوء الاحزاب البروليتارية على الخصوص فضجت تلك الظروف. زد على ذلك ازدياد الحاجة إلى التقارب الالامي وتنسيق اعمال المنظمات العمالية في مختلف البلدان لمجابهة تطور الرأسمال الاحتكاري الذي نشر سيطرته إلى خارج الحدود الوطنية.

لقد مارس انجلاس عملاً واسعاً في التحضير لتأسيس هذه المنظمة وتأمين الدور القيادي للماركسيين في مؤتمرها الأول. وبنتيجة نشاطه الشخصي الفعال وجهود الاشتراكيين الثوريين في مختلف البلدان تأسست المنظمة الجديدة، التي سميت بالاممية الثانية، على اساس مبادئ الماركسية. وباءت بالفشل محاولة انتهازي انجلترا وفرنسا وبعض البلدان الاخرى للاستيلاء على قيادة الحركة العمالية العالمية.

افتتح المؤتمر الأول للاممية الثانية في باريس في ١٤ تموز ١٨٨٩ وحضره ٣٩١ مندوباً من ٢٠ بلداً. وكان ذلك مؤتمراً عالمياً حقاً، واكثر المؤتمرات تمثيلاً طوال تاريخ الحركة العمالية آنذاك. لقد ضمت الاممية منظمات سياسية ونقابية عمالية متنوعة من حيث طابعها. وكان اعضاؤها متمسكين بالآراء الماركسية ووجد منهم مؤيدون للآراء الاصلاحية والفوضوية السيندكالية. وفي السنوات الأولى من قيام المنظمة كانت العناصر الفوضوية هي الخصم الرئيسي للماركسيين.

ويعزي ذلك كله إلى ان التطور السريع للرأسمالية قد اجتذب إلى الانتاج الصناعي البرجوازية الصغيرة المفلسة التي انخرطت في صفوف الطبقة العاملة ومنظماتها حاملة معها ما يلازمها من تذبذب وتطرف ثوري وعفوية وكره لكل انواع التنظيم ونظام الدولة. واوجدت العناصر الفوضوية التي برجوازية في المنظمات، وخصوصاً النقابات (ومن هنا السندكالية الفوضوية)، المنظمة إلى الاممية الثانية.

ورث الفوضويون السيندكاليون في اواخر القرن التاسع عشر بعض افكار فوضويي اواسط القرن المذكور (انكار الدولة عموماً والنضال السياسي والحزب البروليتاري ولخ). ولكنهم صاروا يعترفون بالطبقة العاملة كقوة حاسمة في النضال ضد الرأسمالية ويسعون في نشاطهم إلى الاعتماد على النقابات. كان الفوضويون السيندكاليون يدعون إلى ما يسمى «بالاعمال المباشرة» - الاعمال الارهابية والتخريب والمقاطعة الخ. وكانوا يعتقدون ان

الشكل الحاسم الأعلى لنضال الطبقة العاملة هو الاضراب الاقتصادي العام الفوضوي القادر، حسب زعمهم، على تحطيم النظام الرأسمالي. واعلنوا ان هدفهم هو تحرير الشغيلة. ولكنهم لم يدركوا ان الطريق إلى تصفية الرأسمالية وتحرير الشغيلة يمر عبر استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية واقامة دكتاتورية البروليتاريا. وكانوا يعتقدون ان مجتمع المستقبل سידار من قبل النقابات، وان النقابات هي التنظيم الرئيسي للطبقة العاملة.

كان تكتيك الفوضويين السيندكاليين يصرف العمال عن مهمات تطوير الحركة الثورية الجماهيرية. زد على ذلك ان الرجعية استخدمته حجة للتنكيل بالعمال ومنظماتهم. وفي معرض انتقاد بطلان مواقف الفوضويين والفوضويين السيندكاليين اشار لينين فيما بعد إلى انهم، حين رفضوا «العمل الضئيل»، بنوا تكتيكهم على انتظار «الايام العظمى»، ولذلك لم يستطيعوا «تحشيد القوى التي تخلق الاحداث العظمى». ونادى الفوضويون بشعارات يسارية متطرفة وغالباً ما سلكوا طريق المغامرات. ولكن مُنيت اعمالهم بالاخفاق في كل مكان والحقت الضرر بالحركة العمالية. وتقدم تجربتهم البائسة درساً عميقة بالنسبة لانصار الفوضوية واليسارية المعاصرين.

وكان الماركسيون بقيادة انجلس قد ناضلوا بحزم ضد الفوضويين والفوضويين السيندكاليين، دفاعاً عن السياسة الصائبة للاحزاب البروليتارية. وواصلت الاممية الثاني، على غرار سابقتها، معالجة الاسس المبدئية لاستراتيجية وتكتيك النضال البروليتاري. وفي مؤتمراتها الأولى احتدم النقاش حول مسائل النضال الاقتصادي والسياسي للطبقة العاملة ومسائل قوانين العمل. وأشارت قرارات المؤتمرات إلى ان النضال الاقتصادي والتنظيم النقابي غير كافيين لتحرير الطبقة العاملة. بل يجب تطوير النضال السياسي لاسقاط سلطة البرجوازية واقامة سلطة الطبقة العاملة. وهذا يتطلب حزباً سياسياً للبروليتاريا. ودعت المؤتمرات البروليتاريين إلى الانتساب إلى الاحزاب الاشتراكية وخوض النضال السياسي لغرض الاستيلاء على السلطة السياسية.

وجاء في القرار، الذي اتخذ المؤتمر الأول بصدد قوانين العمل « ان تحرير العمل والبشرية لا يمكن تحقيقه الا بالجهود المشتركة دولياً للبروليتاريا المنظمة كطبقة، والا بعد ان تحرز البروليتاريا السلطة السياسية لكي تتترع ملكية وسائل الانتاج من الطبقة الرأسمالية وتحيلها إلى الملكية العامة ».

وأكد المؤتمر الثاني (بروكسل ١٨٩١) ان النضال الطبقي هو المبدأ الاساسي للحركة العمالية وان تصفية السيطرة البرجوازية كطبقة هي الشرط الاساسي لتحرير الطبقة العاملة.

وأشار القرار الخاص بالتكتيك السياسي للاشتراكيين الديموقراطيين، الذي اتخذ المؤتمر الثالث (زوريخ ١٨٩٣) إلى ان النشاط السياسي هو وسيلة لتحرير البروليتاريا. وأوصى المؤتمر جميع العمال بالسعي إلى احراز الحقوق السياسية والاستيلاء على السلطة السياسية بغية تحويلها من أداة للسيطرة إلى أداة لتحرير البروليتاريا.

وإلى جانب ذلك اكدت المؤتمرات اهمية النضال في سبيل مطالب العمال الاقتصادية وفي سبيل قوانين العمل. وخلافاً لتصريحات الفوضويين الزاعمة بان قوانين صيانة العمل هي فذلكة برجوازية، اشارت المؤتمرات إلى ان هذه القوانين مدعوة إلى حماية المصالح المباشرة للعمال وإلى تحسين ظروف عملهم وتقليص يوم العمل وزيادة الاجور وهلمجرا.

وكان الماركسيون يعتقدون كذلك ان النضال في سبيل قوانين العمل وفي سبيل بعض الاصلاحات في ظل الرأسمالية ليس مجرد وسيلة هامة لتحسين الظروف المادية لحياة الشغيلة، بل واداة لتنمية الوعي السياسي للعمال ونشاطهم واغنائهم بخبرة النضال الطبقي واشراك اوسع فئات الشغيلة في الحركة العمالية.

ولعب دوراً كبيراً بهذا الخصوص قرار المؤتمر الأول بشأن اقامة مظاهرات في جميع البلدان في اول ايار ١٨٩٠ للمطالبة بنوم عمل ٨ ساعات وتنفيذ قرارات المؤتمر الأخرى بشأن تحسين اوضاع العمل. لقد خُلم قرار اول ايار

وحدة نشاط البروليتاريا من مختلف البلدان في نضالها من اجل مصالحها المشتركة وساعد على زيادة وعي وتنظيم البروليتاريا وتعزيز الصلات الاممية بين عمال العالم اجمع. ومنذ ذلك الحين اصبح اول ايار عيداً عالمياً لتضامن عمال جميع البلدان، عيداً لعرض قواهم في النضال ضد سيطرة البرجوازية والرأسمالية.

وابدت المؤتمرات الأولى للاممية اهتماماً كبيراً بقضايا النضال ضد النزعة العسكرية والحرب. فقد اشار القرار « بصدد الغاء الجيش النظامي وتسليح الشعب عموماً » (مؤتمر باريس ١٨٨٩) إلى ان الرأسمالية هي مبعث الحروب، وان هذه الحروب لن تختفي الا بعد تصفية الرأسمالية وانتصار الاشتراكية على النطاق العالمي. واكد القرار ان الجيوش النظامية هي اداة العدوان وهي سبب الحروب العدوانية، ولذلك دعا المؤتمر العمال إلى النضال في سبيل تصفية هذه الجيوش واستبدالها بتسليح الشعب عموماً، الذي سيتيح تصفية الحروب العدوانية وسيؤمن السلام « هو الشرط الأول والضروري لأي تحرر للعمال ». وهكذا ربط المؤتمر النضال في سبيل السلام بالنضال في سبيل الاشتراكية، مواصلاً التقليد الذي ارسته الاممية الأولى.

ونوقشت في بعض المؤتمرات مسألة الاستعمار. ومع ان هذه المناقشات لم تتسم بطابع واسع عميق لدرجة كافية فإنها ساعدت الاممية الثانية في ان تصوغ عدة احكام هامة. واشارت المؤتمرات إلى ان السياسة الاستعمارية ناجمة عن التطور الرأسمالي. وشجب مؤتمر لندن (١٨٩٦) السياسة الاستعمارية للبلدان الرأسمالية واعلن عن الاعتراف « بحق جميع الامم التام في تقرير المصير ». وتوجه مؤتمر ١٩٠٠ بنداء إلى عمال جميع البلدان للنضال ضد السياسة الاستعمارية بكل الوسائل المتوفرة لديهم.

وهكذا اتخذت المؤتمرات الأولى للاممية الثانية قرارات حددت بصورة صائبة، في الاساس، مهمات الطبقة العاملة، وقد رفضت المواقف النظرية والسياسية للفوضويين والفوضويين السيندكاليين رفضاً حازماً، وطرد هؤلاء من

الاممية الثانية (في مؤتمر لندن ١٨٩٦) . وساعد طرد الفوضويين من الاممية على النمو المطرد للمنظمات العمالية وتنشيط نضالها في سبيل مصالح الشغيلة، وكذلك على نشر الماركسية في الحركة العمالية.

ظهور خطر الاصلاحية في احزاب الاممية الثانية

في النصف الثاني من التسعينات صارت الاصلاحية تشكل خطراً متزايداً على احزاب الاممية الثانية. وظهرت الاصلاحية باعتبارها انعكاساً لتأثير البرجوازية على الحركة العمالية. وفي فترة تحول الرأسمالية إلى امبريالية، او مع تطور الاحتكارات واشتداد التوسع الاستعماري، اتسعت الأسس الاقتصادية والاجتماعية للانتهازية الاصلاحية (نشوء الاستقراطية العمالية على حساب قسم من ارباح الاحتكارات الفاحشة). ومهد ذلك التربة لاشتداد تأثير الايديولوجية البرجوازية على القسم الفوقي من الطبقة العاملة.

كانت الاصلاحية في السياسة تعني تكيف الحركة العمالية لما ينسجم مع مصالح الرأسمالية، ونعني في الواقع التخلي عن الاهداف الثورية وعن الثورة البروليتارية واستبدال النضال في سبيل الاشتراكية بالنضال في سبيل الاصلاحات وفي سبيل التحسين الجزئي لوضع العمال مع ابقاء السلطة السياسية للبرجوازية وفي اطار نظامها الاجتماعي.

وعندما صارت الماركسية ايديولوجية سائدة في الحركة العمالية اضطرت الاصلاحية إلى التقمص بالماركسية. فانصار الاصلاحية نادوا لا بالتخلي عن الماركسية، بل « بتطويرها » و « تصحيحها » و « جعلها مطابقة للظروف المتغيرة ». اما في الواقع فكانوا يسعون إلى تحريف الماركسية واستبدال جوهرها الثوري بالاصلاحية. ولذلك كانت الاصلاحية في تلك الظروف بمثابة تحريفية. وفي تلك الفترة ظهرت السمة المميزة للاصلاحية والتحريفية، الا وهي العمل في الحركة العمالية في شكل « مجددين » وتحت قناع « التجديد »

ايضاً يعارضن التحريفيون المعاصرون الماركسية - اللينينية. فالتحريفيون في الماضي والحاضر يسترون بالاحاديث عن التطوير الخلاق للماركسية، ولكنهم في الواقع يرفضون مبادئها الجذرية واسس نظريتها وتكتيكها الثوريين. ان تهجمات التحريفيين تعبر في الواقع عن الركود في الحركة العمالية وهي مظهر لضيق الافق الوحيد الجانب ازاء حل المهام التي تواجه هذه الحركة.

في اواخر القرن التاسع عشر اخذ دعاة الآراء التحريفية الاصلاحية ينشطون بشكل متزايد في اقوى حزب من احزاب الاممية الثانية واوسعها نفوذاً، الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني. وقد لاحظ انجلس هذا الخطر في الوقت المناسب وناضل ضده بحزم. الا ان انتقادات انجلس اخفيت عن اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني وسائر احزاب الاممية الثانية.

وفي جوتنامي الانتهازية في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني شوه زعماءه اهم تعاليم انجلس بشأن الاشكال السلمية وغير السلمية للنضال الثوري، تلك التعليمات التي عرضت في مؤلفه الاخير الشهر - « مدخل » إلى كتاب ماركس « الصراع الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ حتى ١٨٥٠ ». لقد أكد انجلس انه ظهرت، بسبب تطور التكنيك الحربي، صعوبات كبيرة في اجراء معارك المتاريس في المدن باعتبارها طريقة تقليدية لتحقيق الثورة. ودعا إلى مراعاة هذه الصعوبات والتحضير بصورة ادق للمعارك المرتقبة. بيد ان هذه التعاليم الهامة اهملت لدى طبع « المدخل »، مما خلق انطباعاً وكان انجلس يرفض في الظروف الجديدة عنوماً احتمال الكفاح المسلح. وهكذا جرى تشويه التناسب الصائب بين اشكال الكفاح السلمية وغير السلمية، وشغلت مكان الصدارة التعاليم الخاصة باستخدام اشكال النضال السلمية العلنية ونحدها ايأ كانت الظروف.

ونشر نص « المدخل » المزور في السنوات التالي ايضاً (حتى عام ١٩٢٨) بمثابة « الوصية السياسية لانجلس »، واستخدمه الانتهازيون على

نطاق واسع لتبرير مبادئهم الاصلاحية والنضال ضد الماركسين الثوريين.

وكانت من اخطر الامور على الامة الثانية والحركة العمالية العالمية جمعا
آراء واحد من ابرز شخصيات الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني، نعي
ادوارد بيرنشتين الذي كان مؤسس ونظري التيار الانتهازي في الحركة العمالية -
التحريفية اليمينية. كان بيرنشتين منذ الثمانينات يروج للافكار الاصلاحية.
وبعد وفاة انجلس (١٨٩٥) اخذ يروج بتمتهى النشاط لآرائه المنافية
للماركسية. واعتباراً من اواخر ١٨٩٦ اخذ بيرنشتين ينشر سلسلة مقالات
بعنوان « قضايا الاشتراكية » حيث اعاد النظر في التعاليم الاساسية للاشتراكية
العلمية، حول الصراع الطبقي والثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا
وغيرها. وعرض هذه الآراء بتفصيل اكبر في كتابه « مبادئ الاشتراكية
ومبادئ الاشتراكية الديموقراطية » في عام ١٨٩٩.

لقد صور بيرنشتين بنحو خاطيء وحيد الجانب طابع وجوهز العمليات
الجارية في البلدان الرأسمالية. ولم يلتفت لغير التطور السريع والسلمي نسبياً
للرأسمالية في اواخر القرن التاسع عشر وترسيخ الديموقراطية البرلمانية في بعض
البلدان والنمو السريع للمنظمات العمالية وفوزها في الانتخابات وبعض
التحسن في الحالة المادية للعمال، وفي مقدمتهم العمال الفنيون، وبعض
تجارات العمال في الدفاع عن حقوقهم بواسطة القوانين البرجوازية وهلمجرا.
وانطلاقاً من ذلك استنتج بيرنشتين ان تطور الرأسمالية يسير نحو تحويلها
التدريجي إلى اشتراكية. وما دام الأمر كذلك فلا داعي للصراع الطبقي والثورة
ودكتاتورية البروليتاريا. ولذلك ينبغي السير نحو الاشتراكية بواسطة بعض
الاصلاحات والتحسينات، على اساس التعاون الطبقي مع البرجوازية.
واعلن بيرنشتين ان الهدف النهائي لا شيء، وان الحركة كل شيء. وبعبارة
اخرى دعا بيرنشتين الطبقة العاملة إلى التخلي عن النضال في سبيل الهدف
النهائي - انتصار الثورة الاشتراكية، والاكتفاء بمتطلبات الوقت الحاضر
المباشرة.

وقد واجهت آراء بيرنشتين شجياً شديداً من جانب الماركسين الثوريين.

الا ان العناصر الوسطية المسيطرة على الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني
لم ترد القطيعة مع بيرنشتين وطرده من الحزب. فلم يطرد من الحزب لا هو ولا
انصاره اثناء مؤتمر هانوفر عام ١٨٩٩ رغم ان آراءه قد رفضت. وبذلك ظلت
الظروف ملائمة لانتشار آراء بيرنشتين في الاشتراكية الديموقراطية الالمانية
والعالمية على حد سواء.

وهكذا، ظهرت نقاط ضعف خطيرة في تطور الحركة العمالية ونشاط
الامة الثانية في اواخر القرن التاسع عشر. وكان من اخطر الامور عدم الحزم
في مكافحة الآراء والافكار التحريفية في عدد من الاحزاب وفي الامة الثانية.
وتضمن بعض قرارات الامة تنازلات معينة للاصلاحية. فلم يرد ذكر الثورة
البروليتارية ولا دكتاتورية البروليتارية، ولم تطرح بصيغة دقيقة مسألة ضرورة
سحق جهاز الدولة البرجوازية. وكان عدد من شخصيات الاحزاب الاشتراكية
الديموقراطية قد بالغ في تقدير النضال البرلماني واستصغر الاشكال الأخرى
للنضال. ولم يطرح بقدر كاف من الدقة مسألة التوفيق الصائب بين هذه
الاشكال. فلم يجر على نحو صائب، مثلاً، البت في مسألة الاضراب العام
كشكل للنضال. فان مؤتمرات الامة، التي رفضت المبدأ الفوضوي
السيندكالي القائل بان الاضراب العام هو الوسيلة الرئيسية بل والوحيدة
لتصفية الرأسمالية، لم تقدم في الوقت نفسه تحديداً ماركسياً واضحاً لدور
الاضراب السياسي الجماهيري باعتباره واحدة من الطرق الفعالة لنضال
الشغيلة غير البرلماني.

ولم تحظ بالاهتمام اللازم في الامة الثانية مسائل ذات شأن كبير مثل
المسألة الزراعية وموقف الطبقة العاملة من مختلف فئات الفلاحين والتحالف
بين العمال والفلاحين باعتبار ذلك من اهم مبادئ انتصار الثورة البرجوازية.
ان كل نقاط الضعف هذه القضايا غير المحلولة في نشاط الامة الثانية
والمنظمات العمالية قد مهدت التربة لتطور الاصلاحية في الحركة العمالية،

وكانت واحداً من الاسباب التي ادت فيما بعد إلى انتصار الانتهازية في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية وإلى افلاس الاممية الثانية.

الامبريالية واشتداد الصراع بين التيارين في الحركة العمالية

شهدت بداية القرن العشرين دخول الرأسمالية مرحلة جديدة من تطورها هي المرحلة الامبريالية. واسفر الانتقال إلى عهد الامبريالية عن تغيرات كبيرة في الاقتصاد والسياسة والعلاقات الاجتماعية في البلدان الرأسمالية وفي ميدان العلاقات الدولية. وقد حلل لينين المرحلة الجديدة في تطور الرأسمالية تحليلاً شاملاً في عدد من مؤلفاته، وعلى الخصوص كتابه «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» (١٩١٩). وأشار لينين إلى ثلاث خصائص رئيسية للامبريالية هي انها ١ - رأسمالية احتكارية، ٢ - رأسمالية طفيلية او متعفنة، ٣ - رأسمالية محضرة. وقد كشف لينين في مؤلفاته عن خصائص الامبريالية هذه. وصاغ لينين السمات الرئيسية الخمس الملزمة للمرحلة الاحتكارية التي هي المرحلة العليا من الرأسمالية. وهي، اولاً، تركيز وتمركز الانتاج والرساميل، اللذان اديا إلى نشوء الاحتكارات الجبارة وسيطرتها على المجتمع. ثانياً - اندماج الرأسمال المالي والصناعي وتكوين الاوليكراتية المالية. ثالثاً - تصدير الرأسمال، خلافاً لتصدير البضائع. رابعاً - تكوين اتحادات الرأسماليين الاحتكارية الدولية التي تقسم العالم. خامساً - انهاء اقتسام العالم بين الدول الرأسمالية. وتتجلى طفيلية او تعفن الرأسمالية، بموجب تحليل لينين، أولاً - في الاتجاه نحو التعفن المميز لأي احتكار في ظل الملكية الخاصة لوسائل الانتاج. ثانياً - في ظهور فئة اصحاب الاسهم الهائلة. ثالثاً - يعتبر تصدير الرأسمال طفيلية مضاعفة. رابعاً - في الرجعية السياسية للامبريالية على طول الخط. خامساً - تصبح حفنة من «الدول الكبرى» طفيلياً على جسم مئات الملايين من ابناء الشعوب المضطهدة وتخلق فئة من البروليتاريا تتمتع بالامتيازات

وتعيش جزئياً على حساب استغلال الشعوب التابعة .

واوضح لينين كذلك ان الامبريالية هي الرأسمالية المحتضرة او هي عشية الثورة البروليتارية، وذلك لأن واقع نمو الاحتكارات هو احتضار للرأسمالية وبداية انتقالها إلى الاشتراكية، لأن الامبريالية تعقد إلى درجة لم يسبقها مثيل جميع التناقضات الرأسمالية وتدفع بالاتجاه الثوري في الحركة العمالية. مثلاً، ان اشتداد هجوم الاحتكارات على الحقوق الديمقراطية للشغيلة وعلى مستوى حياتهم قد ولد اشتداد كل تناقضات المجتمع البرجوازي وخلق الممهدات الموضوعية لتساعد النضال في سبيل الاشتراكية. لقد ازداد اضطهاد الاحتكارات لجمهرة العاملين على نحو لم يسبقه مثيل. وغدا الرأسمال الاحتكاري عدواً ليس للطبقة العاملة وحدها، بل وجميع فئات السكان الكادحة (الفلاحين والحرفيين والتجار الصغار والمستخدمين والمثقفين). وهيا ذلك امكانات ملائمة لتوسيع نطاق جبهة القوى الطبقة المناضلة ضد سيطرة الاحتكارات ولتوحيد هذه الفئات تحت قيادة الطبقة العاملة.

وكان اشتداد استغلال واستعباد البلدان المستعمرة والتابعة من قبل الدول الامبريالية قد ادى بالضرورة إلى نهوض حركة التحرر الوطني للشعوب المضطهدة. وهب للنضال ضد الامبريالية لا بروليتاريو البلدان الرأسمالية وحدهم، بل كذلك قوى العالم المستعمر المناوئة للامبريالية. وبذلك تكوّن الاساس الموضوعي لتحالف الطبقة العاملة العمالية مع حركة التحرر الوطني. وكان ذلك يعني توسيعاً جديداً اكبر لجبهة النضال ضد الامبريالية.

كان دخول العالم الرأسمالي عصر الامبريالية يعني اشتداداً كبيراً للتناقضات بين البلدان الرأسمالية الاساسية. وهذا يؤدي حتماً إلى اندلاع الحروب بينها. وادت الحروب الامبريالية إلى المزيد من يؤس الشغيلة ومصائبهم، واحتجاجهم على السياسة الاجرامية للحكومات البرجوازية واستعدادهم للنضال ضد الرأسمالية وضد الحروب الامبريالية. وإلى جانب ذلك كان لابد للحروب الامبريالية من ان تضعف مواقع بعض البلدان

الرأسمالية. وادى اشتداد جميع التناقضات الرأسمالية إلى ظهور حلقات ضعيفة في سلسلة الامبريالية. التي تعرت بصورة شديدة على الخصوص ابان الحروب.

وفي ظروف الامبريالية، التي شددت كل تناقضات الرأسمالية. واجهت الحركة العمالية العالمية مهمة اعداد وتحقيق الثورة البروليتارية باعتبارها اكبر مهمة مباشرة لها. وانتهت مرحلة التطور « السلمي » نسبياً للرأسمالية والحركة العمالية. واقترب عصر الثورات البروليتارية.

لقد اقترن دخول الرأسمالية مرحلة الامبريالية واشتداد تركيز الانتاج ونمو الاحتكارات بالتزايد السريع لتعداد الطبقة العاملة وتركزها في المؤسسات الانتاجية الكبرى. وهياً ذلك ظروفاً اكثر ملائمة لتوحيد الاحزاب والنقابات.

ورداً على تشديد نير الاحتكارات شن العمال في العديد من البلدان (انجلترا وفرنسا والمانيا وروسيا وبلجيكا وغيرها) حركة اضرابات جماهيرية. وفي سياق المعارك الاضرابية في مطلع القرن العشرين ولد شكل جديد للنضال العمال الطبقي هو الاضراب السياسي الجماهيري. وكان ذلك مظهراً لتنامي الاتجاه الثوري في الحركة العمالية العالمية وتعاضم نشاط القوى اليسارية في المنظمات العمالية في المانيا وفرنسا وبلغاريا وبلدان اخرى.

وتنامت بسرعة خصوصاً الحركة الثورية في روسيا، التي غدت طليعة القوى الثورية في العالم اجمع. وانتقل مركز الحركة الثورية العالمية إلى روسيا، التي صارت عقدة لجميع تناقضات الرأسمالية واضعف حلقة في السلسلة الامبريالية.

واتسم باهمية تاريخية عالمية لتطور الحركة الثورية في روسيا تأسيس الحزب البلشفي في روسيا، حزب العمال الجديد الطراز، حزب النضال الثوري والثورة البروليتارية.

بيد ان بداية عصر الامبريالية شهد ليس فقط اشتداد الاتجاه الثوري، بل وكذلك تزايد الانتهازية في احزاب الاممية الثانية. وفي معرض تحليل

اسباب انتشار الانتهازية في الحركة العمالية استنتج لينين بان الانتهازية ليست من بنات الصدفة وليست خطيئة ولا خطأ، وليست خيانة من جانب اشخاص معينين، بل هي نتاج اجتماعي لعصر تاريخي كامل، هو عصر الامبريالية.

وكان من المنابع الاجتماعية العامة للانتهازية في الحركة العمالية اكتمال صفوف البروليتاريا دوماً من اناس متحدرين من البرجوازية الصغيرة. وتجدد الاشارة إلى انه جرت في عصر الامبريالية، وبنتيجة اشتداد تركيز الاحتكارات ونموها، عملية الافلاس الشامل السريع جداً للمالكين الصغار الذين عجزوا عن الصمود لمزاحمة الاتحادات الاحتكارية الكبرى. واضطرت جماهير المالكين الصغار المفلسين المحرومين من وسائل العيش على التحول إلى عاملين اجراء. وانخرط هؤلاء في صفوف الطبقة العاملة وحملوا اليها ايدئولوجيتهم ونفسياتهم. و اشار لينين قائلاً: « من الطبيعي تماماً ان تتغلغل نظرة البرجوازية الصغيرة إلى العالم في صفوف الاحزاب العمالية الواسعة مراراً وتكراراً. ومن الطبيعي تماماً ان يكون الأمر كذلك وسيكون كذلك دوماً حتى تقلبات الثورة البروليتارية... ».

والاساس الاجتماعي الثاني لانتشار الانتهازية في الحركة العمالية هو الفئة العليا ذات الامتيازات من الطبقة العاملة. ففي عصر الامبريالية صارت البرجوازية في اكثر البلدان تطوراً تحصل على ارباح طائلة على حساب استغلال الشغيلة في بلدانها وشعوب المستعمرات. واستخدمت قسماً من هذه الارباح لشراء ذمم الفئة العليا من الطبقة العاملة ولتكوين مايسمى بالارستقراطية العمالية التي صارت تتمتع بالامتيازات خلافاً للقسمة الباقي من العمال. وتخلت الارستقراطية العمالية عن النضال الثوري الطبقي وسلكت طرق التعاون مع البرجوازية.

وكان ماسمي بالبيروقراطية العمالية، أي زعماء ومسؤولوا الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية والنقابات الاصلاحية وممثلو العمال في هيئات السلطة

المحلية والمركزية وغيرها، جزءاً هاماً ومحافظاً جداً من الارستقراطية العمالية التي صارت سنداً اجتماعياً أميناً للانتهازية. وبذلت البرجوازية قصارى جهدها لتشتري، مقابل « المناصب المريحة » ذمم « موظفي الحركة العمالية » هؤلاء واستخدمهم بمثابة عملاء لها في الطبقة العاملة. وقال لينين انه نضجت في البلدان الرأسمالية « فئة اجتماعية كاملة من برلماني الحركة العمالية وصحفيها وموظفيها ».

تلك هي أهم الاسباب التي ادت إلى انتشار الانتهازية في الاحزاب الاشتراكية والنقابات والتي اسفرت آخر المطاف عن افلاس الاممية الثانية. ان التحليل اللينيني لاسباب ظهور الانتهازية اليمينية وانتشارها في احزاب الاممية الثانية لا يزال ذا أهمية كبيرة في وقتنا الحاضر ايضاً. فهو يساعد على تفهم اسباب الانتشار الواسع للانتهازية اليمينية في الحركة العمالية للعديد من البلدان الرأسمالية الراقية في الظروف الراهنة.

وإلى جانب ذلك حدث في العصر الحاضر تغيرات جذية في الصراع بين الاتجاهين في الحركة العمالية. فلئن كان الاتجاه الانتهازي، في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، قد انتصر مؤقتاً في أغلبية احزاب الاممية الثانية، فاز ثورة أكتوبر قد غيرت الوضع في الحركة العمالية العالمية، شطر نمو هائل للاتجاه الثوري الذي تجلى، فيما تجلى، في تأسيس الاحزاب الشيوعية. وفي وقتنا الحاضر يحرز الاتجاه الثوري انتصارات متزايدة على الاتجاه الانتهازي، الامر الذي يدل عليه التنامي الهائل لقوى الاشتراكية والحركة العمالية الثورية ونضال التحرر الوطني وتحول الحركة الشيوعية العالمية إلى اكبر قوة سياسية في العصر الحاضر.

اللينينية هي ماركسية العصر التاريخي الجديد

لقد تطلب العصر الجديد من الطبقة العاملة واحزابها وضع استراتيجية وتكتيك جديدين للنضال يختلفان عما التزمت به الاممية الثانية، حين لم تكن الثورة البروليتارية مطروحة مباشرة في جدول اعمال الحركة العمالية. بيد ان زعماء الاممية الثانية عجزوا عن تفهم سمة العصر الجديد والمهام الجديدة. انهم وقعوا في اسر الآراء الاصلاحية فعجزوا عن قيادة نضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية، في سبيل انتصار الثورة البروليتارية.

ولقد ادى لينين المهمة التاريخية لمواصلة تطوير النظرية الثورية واستراتيجية وتكتيك الحركة العمالية العالمية. فان مساهمته عظيمة لدرجة تجعلنا على حق في تسمية هذه التعاليم بالماركسية - اللينينية.

فما هي السمات المميزة للينينية؟ ولماذا ادت مساهمة لينين في النظرية الثورية إلى جعلها تسمى باسمه بعد اسم ماركس.

اولاً - لم يكن لينين مجرد مدافع عن الماركسية ضد الانتهازين الرامية إلى تشويه جوهرها ومضمونها. ان مآثرة لينين الكبرى تتلخص في تطويره لتعاليم ماركس وتوصله على أساسها إلى أهم الاستنتاجات الجديدة، أي انه اغنى النظرية الثورية ورفعها إلى مستوى جديد نوعياً. وهو لم يقتصر على تطوير التعاليم الماركسية النظرية في الظروف التاريخية الجديدة، بل صاغ العديد من مسائل النظرية الثورية، التي لم يتسنى لمؤسسي الماركسية العظمين الا ان يجددوها بالخطوط العريضة فقط (كالتعاليم بصدد الحزب الشيوعي مثلاً).

ثانياً - كان لينين مجدداً حقيقياً في النظرية والتطبيق الثوريين. وكان يتميز بالتفهم العميق لحقيقة ان النظرية الثورية للبروليتاريا ليست معتقداً جامداً، فهي تتطور دوماً وتغتني بخبرة النضال الطبقي المتكدسة وتراعي الظروف التاريخية الجديدة للتطور الاجتماعي. وفي الوقت الذي كان الانتهازيون يحرفون الماركسية متحججين بالظروف الجديدة ونايذين جوهرها

ومضمونها الثوري، طور لينين النظرية البروليتارية وظل ملتزماً كلياً بالماركسية ومبادئها الثورية وانطلق من نهجها الثوري. لقد ارتبطت الاستنتاجات الجديدة في اللينينية بالتوارث الحقيقي وبالمنجزات السابقة للنظرية الثورية. وتفهم لينين بعمق الظروف التاريخية الجديدة، التي تميزت بنضوج الظروف للشورة الاشتراكية المظفرة، فابدى اهتماماً من الدرجة الأولى بتطوير المسائل النظرية التي وضعتها الحياة في مركز الصدارة فلتن ركز ماركس وانجلس اهتمامها الرئيسي على تحليل الحتمية الموضوعية لانتقال المجتمع ثورياً من الرأسمالية إلى الاشتراكية، كرس لينين جهوده النظرية لتعليل الطرق والاشكال الملموسة لتحقيق الشورة الاشتراكية وكذلك لتعليل دور العامل الذاتي للشورة ووضع وتطبيق التعاليم الخاصة بالحزب كقوة قيادية تنظيمية للشورة الاشتراكية.

ثالثاً - ظهرت اللينينية كتعاليم ثورية للبروليتاريا العالمية مستندة إلى الخبرة المكسدة في النضال الطبقي لعمال جميع البلدان. واستخلص لينين - شأنه شأن ماركس وانجلس - استنتاجات جديدة على اساس الممارسة التاريخية الملموسة وثبتت منها في التطبيق واستكملها كلما ظهرت خبرة عملية جديدة. وكان ينطلق في تطوير النظرية الثورية ليس فقط من ظروف ومتطلبات التطور الاجتماعي. في روسيا، بل ومن الظروف العالمية، من المهام التاريخية التي واجهت البشرية في سيرها من الرأسمالية إلى الاشتراكية. ان اللينينية هي تعاليم امنية للطبقة العاملة العالمية. وهي تعاليم شاملة لثوريي جميع البلدان، واكدت تجارب ما يزيد على نصف قرن هذه الحقيقة.

رابعاً - ان عظمة اللينينية تكمن في أنها اغنت ليس مسألة ما لوحدها ولا جزءاً ما من الايديولوجية البروليتارية الثورية، بل جميع اجزائها المكونة - الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية العلمية. في ميدان الفلسفة اسهم لينين بقسط بارز، بالدرجة الأولى عن طريق مؤلفه « المادية ومذهب النقد التجريبي » (١٩٠٨). فقد جلل فيه تحليلاً عميقاً للمنجزات الجديدة لعلم الطبيعة فطور المبادئ الجذرية للفلسفة الماركسية وخصوصاً نظرية المعرفة،

(نظرية الانعكاس، والتعاليم الخاصة بالحقيقة الموضوعية، وتعريف مقولات المادة والزمان والسببية الخ). وواصل لينين، في « الدفاتر الفلسفية » ومؤلفات اخرى تطوير التعاليم الخاصة بالديالكتيك المادي. وتفوق التقدير كذلك معالجة لينين لنظرية المادية التاريخية والتعاليم بشأن الطبقات والصراع الطبقي والدولة والثورة (مؤلفه الدولة والثورة).

وفي ميدان الاقتصاد السياسي تتلخص مساهمة لينين في تطوير نظرية ماركس بصدد الرأسمالية عموماً، وتطبيقها على ظروف روسيا خصوصاً، (تطور الرأسمالية في روسيا) ومعالجة المسألة الزراعية. بيد ان اكبر فضل للينين يتلخص في وضع النظرية العلمية بصدد الامبريالية (الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية). وساهم لينين كذلك بقسط تاريخي في تطوير الاقتصاد السياسي للاشتراكية واشيوعية وفي تعليل اهم سنن وطرق البناء الاشتراكي والشيوعي.

واسهم لينين بقسط بارز في نظرية الاشتراكية العلمية. فقد وضع نظرية الثورة الاشتراكية انطلاقاً من تحليل جوهر وخواص العصر الامبريالي الجديد. واستخلص استنتاجاً بارزاً يقول ان الثورة الاشتراكية في عصر الامبريالية لا يمكن ان تنتصر في جميع البلدان الرأسمالية في وقت واحد، بل ستنتصر بادىء الامر في عدة بلدان فقط، بل وحتى في بلد واحد على حدة. وتم استخلاص هذا الاستنتاج على اساس اكتشافاته لمفعول قانون التطور المتفاوت للرأسمالية في عصر الامبريالية.

وخلافاً لزعماء الاممية الثانية، الذين تصوروا ان الثورة الاشتراكية يمكن ان تقوم فقط في البلدان الرأسمالية الراقية، التي تشكل الطبقة العاملة اغلبية السكان فيها، اثبت لينين انه في ظروف نضوج الثورة في المنظومة الامبريالية جمعاء ستقوم الثورة الاشتراكية هناك حيث التناقضات اكثر حدة وحيث سلطة البرجوازية اكثر ضعفاً، وحيث تحظى الطبقة العاملة بالاسناد الفعال من لدن الجماهير الكادحة الأخرى، وبالدرجة الأولى الفلاحين. وبعبارة اخرى يمكن

لثورة ان تقوم كذلك في البلدان الرأسمالية الأقل تطوراً، او المتوسطة التطور. ونظراً لذلك علق لينين اهمية خاصة على التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين. ونظراً لأن الفلاحين كانوا آنذاك يشكلون قسماً كبيراً من سكان البلدان الرأسمالية اعتبر لينين هذا التحالف القوة المحركة الرئيسية للثورة الاشتراكية.

وواصل لينين تطوير افكار ماركس بصدد الثورة المتواصلة وهي الافكار التي اسدل عليها زعماء الاممية الثانية ستار النسيان. خلافاً لآراء الانتهازيين القائلة بانه يجب ان تكون بين الثورتين البرجوازية والبروليتارية فترة طويلة لتطور الرأسمالية، وضع لينين نظرية تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية. وبين ان الثورة البرجوازية الديمقراطية في عصر الامبريالية يمكن ويجب في بلدان مثل روسيا ان تتحول إلى ثورة اشتراكية. وكتب يقول: «... سنبداً بالانتقال من الثورة الديمقراطية بقدر قوتنا، قوة البروليتاريا الواعية المنظمة. اننا إلى جانب الثورة المتواصلة. ولن نتوقف في منتصف الطريق».

وأوضح لينين ان امكانية تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية تتوقف بالدرجة الأولى على ما اذا استطاعت البروليتاريا ان تزعم الثورة وان تلف حولها اوسع جماهير الشغيلة، وبالدرجة الأولى الفلاحين، وان تضفي على الثورة البرجوازية الديمقراطية طابعاً واسعاً عميقاً لدرجة كافية. وهكذا فان مسألة زعامة البروليتاريا هي اهم مسألة للثورة.

وعلق لينين اهمية كبيرة على حركة التحرر الوطني لشعوب البلدان المستعمرة والتابعة، مؤكداً ان نضال هذه الشعوب ضد الامبريالية والاستعمار يتسم بأهمية ثورية كبيرة وانه يندمج بنضال البروليتاريا العالمية في مجرى واحد مناهض للامبريالية. وتكمن مهمة الطبقة العاملة في مساعدة وتطوير النضال التحرري للشعوب المستعمرة وتعزيز تحالف الطبقة العاملة مع حركة التحرر

الوطني واستخدام الامكانيات الهائلة الكامنة في حركة التحرر الوطني لأجل تصفية السيطرة الامبريالية.

واسهم لينين بقسط كبير في تحليل الترابط بين النضال في سبيل الديمقراطية والنضال في سبيل الاشتراكية. وبين ان الديمقراطية الموجودة حتى في اكثر البلدان الرأسمالية ديمقراطية ما هي الا ديمقراطية برجوازية تخدم مصالح البرجوازية وتحد من حقوق الشغيلة وتستخدم ضد الشغيلة. الا ان البروليتاريا، كما يقول لينين، يجب ان تدافع عن هذه الديمقراطية مع ذلك، لأنها لا تستطيع ان تطور نضالها الطبقي بصورة حرة الا في ظروف الحفاظ على هذه الديمقراطية.

ومن مآثر لينين الكبيرة تطوير التعاليم الخاصة بدكتاتورية البروليتاريا، باعتبارها شكلاً جديداً للديمقراطية، الديمقراطية من أجل الشغيلة. واكد ان من المستحيل، بدون ترسيخ دكتاتورية البروليتاريا، تصفية سيطرة البرجوازية وتحقيق الثورة الاشتراكية وبناء المجتمع الاشتراكي.

واتسم بأهمية فائقة تحليل لينين نظرياً وبنائه عملياً للحزب البروليتاري ذي الطراز الجديد، الذي لا يمكن بدونه انتصار الثورة البروليتارية وبناء الاشتراكية. وخلافاً لانتهازيي الاممية الثانية، الذين حولوا الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بالتدريج إلى تنظيمات مائعة لا تملك هوية بروليتارية ولا تملك برامج ثورية واضحة، بل تضم العناصر الانتهازية غير الملتزمة بالضبط الصارم، بنى لينين حزبه على اساس المبادئ الثورية حقاً.

واكد لينين ان الحزب الثوري للطبقة العاملة قوى بوحده الايديولوجية والتنظيمية وضبطه الحزبي الصارم وصلته الوثقى بالجماهير وجماعيته في وضع وتنفيذ الخط السياسي وعدم تسامحه مع اي نوع من انواع الانتهازيين وبموقفه الخلاق ازاء قضايا نظرية الحركة العمالية واستراتيجيتها وتكتيكها.

ان معالجة لينين لنظرية واستراتيجية وتكتيك الحركة الثورية، حسب

الظروف التاريخية الجديدة، قد اتسمت بأهمية تاريخية عالمية بالنسبة للحركة الشيوعية والثورية العالمية ولتنفيذ المهمة التاريخية عملياً، مهمة انتقال المجتمع من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

ثورة ١٩٠٥ في روسيا

اتسمت ثورة ١٩٠٥ في روسيا بأهمية فائقة بالنسبة للحركة العمالية العالمية. وكانت نتيجة حتمية لاشتداد التناقضات الاجتماعية في روسيا القيصرية ولنضال الشغيلة الطبقي.

لقد تميز تطور الرأسمالية في روسيا بخصائص معينة: فقد تشابك نشوء الاتحادات الاحتكارية الكبرى في الصناعة مع وجود مخلفات شديدة للاقطاعية في الزراعة، واقرن استغلال الشغيلة من قبل الرأسماليين والاقطاعيين بالظلم السياسي للجماهير الشعبية وتعسف الحكم المطلق. وتطلبت حاجات التطور التقدمي للمجتمع ومصالح الشغيلة بالدرجة الأولى تصفية النظام القيصري وسيطرة الاقطاعيين والمخلفات الاقطاعية واحراز الحقوق والحريات الديمقراطية للشعب، اي تحقيق المهام الديمقراطية. وكانت ثورة ١٩٠٥ اول ثورة شعبية في عصر الامبرالية.

وخلافاً للثورات البرجوازية والبرجوازية الديمقراطية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في الغرب، حيث تزعمتها البرجوازية. كانت ثورة ١٩٠٥ الروسية قد تحققت على ايدي الجماهير الكادحة بزعامة الطبقة العاملة. كانت البرجوازية الروسية تخشى حركة الجماهير الشعبية والثورة وكانت تميل إلى التواطؤ مع الحكم المطلق والاقطاعيين.

بدأت الثورة في ٩ كانون الثاني ١٩٠٥، عندما اطلقت القوات القيصرية النار على المظاهرة العزلاء لعمال بطرسبورغ (عاصمة روسيا) الذين طالبوا بتحسين اوضاعهم المادية والاجتماعية العصبية. ورداً على هذا العمل

الدموي، الذي قام به الحكم المطلق، اجتاحت البلاد بأسرها موجة مظاهرات واضرابات الاحتجاج. ونشبت في عدة مدن اشتباكات مسلحة بين العمال والبوليس. وبعد المدن شملت الاضرابات الارياف. وصارت تنخرط في النضال بعض فئات السكان الأخرى، وبالدرجة الأولى الطلبة. وتحولت النضالات الثورية إلى الجيش. وكان من أهمها انتفاضة بحارة الدارعة بومكين.

وبغية الحيلولة دون استمرار تطور الثورة اصدر الحكم المطلق بياناً حول تشكيل مجلس دوما الدولة (البرلمان)، الذي يتمتع بحقوق استشارية فقط. وتلبية لدعوة البلاشفة قاطع العمال هذا المجلس وواصلوا النضال.

وبلغت الحركة الثورية نطاقاً واسعاً على الخصوص في تشرين الأول ١٩٠٥، حيث اجتاحت البلاد اضراب سياسي عام بمبادرة من عمال موسكو. وجرى الاضراب تحت شعار اسقاط الحكم المطلق ومقاطعة مجلس الدوما الاستشاري وعقد المجلس التأسيسي واقامة الجمهورية الديمقراطية.

وفي تلك الايام اخذت تشكل سوفيتات نواب العمال، التي بدأت وإلى جنين السلطة الجديدة. وكانت السوفيتات تصدر أوامرها وتوجيهاتها دون الالتفات إلى دوائر الحكومة القيصرية، وتطبق عنوة يوم العمل من ثمان ساعات وتقيم الحريات الديمقراطية. واتسم ظهور السوفيتات بأهمية تاريخية عالمية. وصارت فيما بعد اول شكل لدكتاتورية البروليتاريا المظفرة. ان ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا ومجمل خبرة الاتحاد السوفيتي اكدا كلياً القوة الحيوية للتعاليم اللينينية بشأن السوفيتات باعتبارها اوسع الهيئات للسلطة الشعبية حقاً والديمقراطية الشعبية حقاً.

وفي ظروف تصاعد الثورة اضطرت القيصرية إلى الاقدام على بعض التنازلات حيث اصدرت بياناً تتضمن وعوداً بالحريات الديمقراطية وبعقد دوما الدولة ذي المهام التشريعية. وكان ذلك انتصاراً كبيراً لنضال الشعب الثوري. ولكن المهام الرئيسية للثورة ظلت غير محلولة.

واخذ العمال بقيادة البلاشفة يتفهمون بان الوسائل السلمية وحدها غير كافية لاسقاط القيصرية. فان ذلك امر لا يمكن احرازه الا بالكفاح المسلح. وجرى في طول البلاد وعرضها التحضير للانتفاضة المسلحة. وفي كانون الأول ١٩٠٥ صارت الاضرابات السياسية، التي اجتاحت مدناً عديدة، تتحول إلى نضالات مسلحة للعمال. وكانت اكثرها شأنًا انتفاضة عمال موسكو المسلحة. بيد ان انعدام خبرة الكفاح المسلح وقلة السلاح وتشتت النضالات الثورية وضعف صلة العمال بالجنود وغير ذلك من الاسباب ادت إلى هزيمة انتفاضة العمال البطولية. ومع ان النضال استمر في عام ١٩٠٦ ايضاً ولكنه لم يضمن النصر للثورة.

ولكن جهود وتضحيات العمال والفلاحين لم تذهب سدى. فان نضالهم المتفاني لم ينسف قوى النظام القيصري والاقطاعية فحسب، بل واغنى الحركة العمالية الروسية والعالمية بخبرة جديدة للنضال الطبقي. وقال لينين ان ثورة ١٩٠٥ كانت تدريباً عاماً لثورة اكتوبر العظيم، المظفرة في ١٩١٧. وكانت ثورة ١٩٠٥ دافعاً كبيراً للحركة العمالية العالمية وتطوير النضال الطبقي. فقد قامت في العديد من بلدان اوروبا نضالات جماهيرية للشغيلة تضامناً مع عمال روسيا وفلاحيه. وفي عدد من البلدان اخذ العمال يستخدمون الاضراب السياسي الجماهيري كوسيلة للنضال. وبدأ العمال التقدميون واعضاء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاكثر وعياً يدرسون باهتمام كبير خبرة ثورة ١٩٠٥.

وبين التحليل الموضوعي لهذه الخبرة ان الثورة اكدت صواب مواقف لينين والبلاشفة الاساسية وبطلان استراتيجيات الانتهازيين وتكتيكهم. لقد اكدت الثورة صواب الفكرة اللينينية بشأن زعامة البروليتاريا في الثورة البرجوازية الديمقراطية: فان ثورة ١٩٠٥، البرجوازية الديمقراطية من حيث أهدافها، كانت بروليتارية من حيث دور الطبقة العاملة القيادي فيها ومن حيث اساليب الكفاح (النضال الاضرابي والانتفاضة المسلحة). وفي

سنوات الثورة الروسية الأولى تجلّى بوضوح خاص دور لينين كنظري وزعيم عبقرى للجماهير. ان نظرية لينين بشأن زعامة البروليتارية في الثورة الشعبية ونظريته بشأن تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية قد نبعتا من ممارسة الحركة الثورية وتأكدتا في التطبيق العملي وشقتا الطريق لسير الطبقة العاملة المظفر نحو الاهداف المنشودة.

وفي سياق الثورة استخدمت الطبقة العاملة بنجاح اسلوب النضال الطبقي المتمثل بالاضراب السياسي الجماهيري الذي لعب دوراً هاماً جداً في تعبئة الجماهير وتنويرها سياسياً وتأمين وحدة اعمالها.

وبينت الثورة ان الطبقة العاملة لا يمكن ان تقيد نفسها بالوسائل السلمية فقط، وانه لا بد لها، في ظروف معينة من الانتقال إلى وسائل الكفاح المسلح. وكشف نضال عمال روسيا عن بطلان المفاهيم الانتهازية الزاعمة بان نضال العمال المسلح ضد البرجوازية والرجعية لم يعد ممكناً.

وتجلت في سياق الثورة بوضوح الجمع بين مختلف اشكال وطرق النضال السلمية وغير السلمية، البرلمانية وغير البرلمانية. واتضح اكثر ان ليس بالامكان تأمين النجاح لنضال العمال الا بالوسائل الجماهيرية الحازمة وغير البرلمانية.

وكشفت ثورة ١٩٠٥ عن الامكانيات الثورية الهائلة الكامنة لدى الفلاحين، واكدت الافكار اللينينية بشأن ضرورة اشراك الفلاحين في النضال الثوري وضرورة التحالف المتين بين العمال والفلاحين لانتصار الثورة. وهكذا دحضت موضوعات زعماء الاممية الثانية الانتهازيين، القائلة « بان الفلاحين يشكلون جمهوراً رجعياً تماماً ». وفي الوقت الذي يشكل فيه الفلاحون قسماً كبيراً من السكان ليس فقط في البلدان الضعيفة التطور، بل وكذلك في البلدان الامبريالية، كانت لخبرة ثورة ١٩٠٥ الروسية بشأن التحالف بين العمال والفلاحين اهمية كبيرة. ولا تزال هذه الخبرة تتسم بأهميتها بالنسبة للعديد من البلدان، سيما لايزال الفلاحون يشكلون فيها قسماً غير ضئيل من السكان.

واثبتت خبرة الثورة الروسية ان انتقال قسم من الجيش إلى صف الثورة والتحالف بين العمال والجنود امر ضروري، بل ويمكن. وذلك يتطلب عملاً باسلاً نشيطاً ماهراً من قبل اعضاء حزب العمال الثوري بين الجنود والبحارة وتوضيح اهداف ومهمات النضال الثوري لهم وتخليصهم من تأثير ايدولوجية وسياسة الطبقات الحاكمة الرجعية.

وكشفت الثورة بقوة خاصة عن ضرورة الطبقة العاملة والتفافها حول الحزب المسلح بالنظرية الماركسية. وفي سياق الثورة تجل بوضوح ضرر انقسام الحركة العمالية وخطر نشاط مختلف انواع الانتهازيين (الاصلاحيين والفوضويين وغيرهم) في الحركة الثورية.

واكدت الثورة التعاليم اللينينية بصدد الحزب الثوري، باعتباره الاداة الرئيسية بيد الطبقة العاملة في النضال من أجل بلوغ اهدافها المباشرة والنهائية. فالمنظمات الحزبية بالذات هي التي عبأت الجماهير للنضال ضد الحكم المطلق وضد مخلفات الاقطاعية، وهي التي رفعت شعارات النضال واشارت إلى اتجاهه وإلى اختيار هذه الاشكال له أو تلك وإلى استبدال اشكال باخرى وهلمجرا.

واثرت ثورة ١٩٠٥ تأثيراً كبيراً على الحركة التحريرية الوطنية في البلدان التابعة للإمبريالية. وفي عدد من البلدان (ايران وتركيا والصين والمكسيك) قامت ثورات برجوازية. وفي العالم اجمع اكتسب النضال الوطني التحرري نطاقاً أوسع وصار يتطور بوتائر اسرع.

ودل ذلك كله على ان ثورة ١٩٠٥ الروسية لم تكن مجرد ظاهرة روسية محلية بل ظاهرة ذات أهمية عالمية، حيث اثرت تأثيراً كبيراً على مختلف جوانب النضال الطبقي والحركة التحريرية في مختلف بلدان العالم.

كان ممثلو التيارات المختلفة في الاممية الثانية قد قيموا باشكال متباينة أهمية الثورة الروسية فالاشتراكيون الديمقراطيون اليساريون (روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت وغيرهما) رحبوا بالثورة ترحيباً حاراً وسعوا إلى

نشر خبرتها في البلدان الأخرى. وواضحوا أهمية الاضراب السياسي الجماهيري والانتفاضة المسلحة بالنسبة لانتصار الثورة البروليتارية.

اما الانتهازيون اليمينيون فقد سعوا، على العكس، إلى التقليل من أهمية دروس ثورة ١٩٠٥. وصوروا الأمر وكأن اشكال وطرق النضال، التي استخدمت في روسيا، وبالدرجة الأولى الانتفاضة المسلحة، لا تناسب البلدان المتقدمة في اوربا، حيث يتمتع العمال، عادة، بحق الانتخاب والحريات الديمقراطية الأخرى. ودافعوا بعناد عن المبادئ الاصلاحية وروجوا فقط لاشكال النضال السلمية، العلنية، البرلمانية.

ان الأهمية التاريخية لثورة ١٩٠٥ تظل راسخة دوماً. فلكونها اثرت تأثيراً كبيراً على تصاعد النضالات الثورية للشغيلة في البلدان الرأسمالية والمستعمرة، زعزعت بالتالي نظام الرأسمالية العالمي وقربت ازمتها العامة. ان خبرة ثورة ١٩٠٥ تسلح الاجيال الجديدة من المناضلين الثوريين.

ثلاث تيارات في الحركة العمالية العالمية

ان تحول الرأسمالية إلى امبريالية وقيام ثورة ١٩٠٥ الروسية قد ساعدا على اشتداد الصراع في الاممية الثانية واحزابها. فقد اشتد التمايز في صفوفها واخذت ترتسم بوضوح متزايد تيارات ثلاثة: الانتهازي اليميني، والوسطى، والثوري اليساري.

ظل الانتهازيون اليمينيون كالسابق يروجون للايدولوجية الاصلاحية ويدفعون الحركة العمالية في طريق التخلي عن النضال الطبقي وعن الثورة البروليتارية. ودل ما سمي بـ « حادثة ميلران » على تصاعد الاتجاهات الانتهازية اليمينية في صفوف الاممية الثانية. وتتلخص هذه القضية في ان الاشتراكي الفرنسي ميلران تقبل في عام ١٨٩٠، بدون استشارة حزبه، منصب وزير في الحكومة البرجوازية. وبما زاد الطين بلة انها كانت الحكومة التي

ساهم فيها جلاد كومونة باريس الجنرال غالفيه .

واخذت قضية ميليران مكان الصدارة من اهتمام مؤتمر الامة الثانية في باريس (١٩٠٠). واتخذ المؤتمر القرار التوضيحي الذي اقترحه كاوتسكي . فمن جهة اشار هذا القرار إلى ان مساهمة الاشتراكيين في الحكومة البرجوازية « لا يمكن ان تعتبر بداية طبيعية لكسب السلطة السياسية » ، ولكنه اعترف من جهة اخرى بانها ممكنة « كخطوة استثنائية مؤقتة » . ولم يحدد القرار بوضوح الظروف التي يمكن فيها دخول الاشتراكيين الحكومة البرجوازية . وهكذا فعندما اتخذ المؤتمر قراراً غير واضح ، « مطاطياً » كما نعت فيما بعد ، اتاح للانتهازيين امكانية تبرير ميليران وسياسة « الاستيزار » .

لقد اشتد النضال ضد التحريفية في النظرية والتطبيق خاصة في مؤتمر الامة الثانية في امستردام (١٩٠٤) . وبتأثير الجناح الماركسي اليساري اتخذ المؤتمر باغلبية الاصوات قراراً يشجب التحريفية .

الا ان مواقع السيطرة في الامة الثانية كانت بيد الواسطيين ، الذي تزعمهم كارل كاوتسكي وجول غيد واوتو باور وغيرهم . كانوا قد تستروا « بالاستقامة » وظلوا ، بالاقرار ، ماركسيين تماماً . وفي بعض الاحيان كانوا يعارضون التحريفيين ، فيدافعون قولاً عن مبادئ الماركسية . ولكنهم لم يخوضوا نضالاً حازماً ضد نظرية وتطبيق الاصلاحية ولم يرغبوا في القطيعة تنظيمياً مع الانتهازيين اليمينيين ، وساعدوا بالتالي على تعزيز مواقع الانتهازيين السافرين في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية . ان موقف الواسطيين التوفيقى ازاء اليمينيين هو الذي ادى في آخر المطاف إلى انتصار الانتهازية في الاحزاب والنقابات وإلى افلاس الامة الثانية . ومع ان العناصر اليمينية منيت بالهزيمة في مؤتمر امستردام ، ومع ان الامة شجبت رسمياً منهاجهم التحريفى فيما بعد ، صار الجناح اقوى واكثر نفوذاً واثرت آراؤه تأثيراً متزايداً على الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات .

وهكذا خيم على الامة الثانية في هذه الفترة خطر جدي هو التوفيقية

مع الانتهازية . كان ماركس وانجلس و لينين قد خاضوا دوماً نضالاً حازماً ضد التوفيقية . وساعدهم ذلك في الحفاظ على الروح الثورية الكفاحية في المنظمات العمالية . ولكنه في الوقت الذي لم يؤمن فيه بعد حزب البلاشفة بقيادة لينين نفوذاً حاسماً للأفكار الثورية في الامة الثانية ، حيث انتصرت الميول التوفيقية ، سار ذلك بالامة الثانية إلى الهلاك ، إلى الافلاس المشين . وفي وقتنا الحاضر يعتبر هذا الجانب من الخبرة التاريخية للحركة العمالية العالمية ملحاً للغاية حيث تنطوي اية توفيقية او حياء ازاء الانتهازية اليمينية واليسارية في صفوف الحركة العمالية والشيوعية على عواقب وخيمة للغاية بالنسبة للحركة الثورية .

لقد خاض التيار اليساري ، الذي تزعمه في الامة لينين ولوكسمبورغ ولييكخنيت ، نضالاً نشيطاً ضد التحريفيين وضد تهادن الواسطيين معهم . بيد ان اليساريين لم يكونوا اقرباء ومتنفذين لدرجة كافية . زد على ذلك انه حتى افضل ممثلي اليساريين في الاحزاب الاوربية الغربية ، مثل روزا لوكسمبورغ قد اقترفوا اخطاء في بعض قضايا نظرية وتطبيق الحركة العمالية . فهم لم يكونوا يدركون بعد ضرورة تأسيس احزاب جديدة ثورية حقاً للطبقة العاملة وضرورة الانفصال الحازم عن اليمينيين ليس فقط من الناحية الايديولوجية ، بل ومن الناحية التنظيمية أيضاً . وكان مبدأ الحفاظ على وحدة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية يعتبر ملحاً حتى مع وجود الانتهازيين فيها . ولذلك كان اليساريون ، طوال كل سنوات وجود الامة الثانية ، يعملون مع العناصر اليمينية والوسطية في احزاب واحدة . وقيد ذلك ايديهم وحرهم من الاستقلال الضروري وجعلهم أسرى للواسطيين المسيطرين على هذه الاحزاب . وكان البلاشفة بقيادة لينين هم الذين خاضوا النضال الاكثر ثباتاً ضد الانتهازيين في الامة الثانية . وخلافاً لاحزاب الامة الثانية ادان البلاشفة التحريفيين ليس نظرياً فقط ، بل واعلنوا القطيعة مع التحريفيين الروس تنظيمياً . وانتقل إلى المواقع اليسارية في الامة الثانية كذلك الحزب الاشتراكي الديمقراطي

الصربي وحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي البلغاري (الاشتراكيون المتراصون).

أهم قرارات الامة الثانية بشأن مسائل التكتيك

لقد ساعد نضال القوى اليسارية في الامة الثانية على جعل مؤتمراتها في السنوات الأولى من القرن العشرين، خلافاً للتحريفيين، طائفة من القرارات الصائبة، التي اتسمت بأهمية ايجابية بالنسبة للحركة العمالية العالمية. مؤتمر امستردام اتخذ

وكان من اهم خطوات مؤتمر امستردام اتخاذ القرار الخاص بالاضراب العام. لقد نوقشت مسألة الاضراب العام مراراً في مؤتمرات الامة. ولكنها لم تحظ بحل شامل في السنوات الأولى من نشاط الامة. واستخدم الانتهازيون اليمينيون انتقاد « الاضراب الاقتصادي العام » الفوضوي لغرض الحط من شأن فكرة الاضراب الطبقي في مطلع القرن العشرين وخبرة المعارك الاضرابية للطبقة العاملة في روسيا طرحا بالحاج مسألة استخدام البروليتاريا للاضراب العام، إلى جانب اشكال النضال الأخرى. وبتأثير ذلك اتخذ مؤتمر الامة في عام ١٩٠٤ قراراً بتأييد الاضراب الجماهيري. وكان قرار المؤتمر هذا مكسباً جدياً للقوى اليسارية لأنه اكد لا على أهمية أشكال النضال البرلمانية، التي بالغ بها زعماء الامة طوال الوقت، بل على أهمية الاعمال الجماهيرية غير البرلمانية للطبقة العاملة.

ومن المسائل الهامة التي نوقشت في مؤتمر شتوتغارت (١٩٠٧) مسألة العلاقات المتبادلة بين الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات. ان نمو الحركة العمالية وتطور المنظمات السياسية والنقابية للطبقة العاملة وتعدد مهمات الحركة العمالية واشتداد الصراع الطبقي - كل ذلك تطلب رص صفوف الطبقة العاملة وتعزيز وحدة اعمال مختلف منظماتها، وبالدرجة الأولى الاحزاب

والنقابات. ولكن ذلك كان يعيقه نشاط الانتهازيين، الذين روجوا لشعارات « حياد » النقابات وعرقلوا التقارب بين الاحزاب العمالية والنقابات والتعاون الوثيق بينها ونضالها المشترك.

وقد عارض البلاشفة، بزعامة لينين، حياد النقابات، ودعوا إلى أوثق الصلات ووحدة الاعمال بين الاحزاب العمالية والنقابات، وإلى اضطلاع الحزب البروليتاري بالدور القيادي ازاء النقابات. وبالفعل فلئن كان الثوريون ينطلقون من فكرة زعامة البروليتاريا فان ذلك يعني انهم يسعون إلى توحيد جميع قوى الطبقة العاملة وجميع منظماتها.

وبنتيجة المناقشات العديدة، التي جرت في المؤتمر انتصرت الفكرة القائلة بضرورة التعاون الوثيق بين الاحزاب الاشتراكية والنقابات. وأشار قرار المؤتمر إلى ان نضال البروليتاريا اكثر نجاحاً كلما كانت العلاقات اوثق بين النقابات والتنظيمات الحزبية. وعلى الطبقة العاملة ان تسعى دوماً إلى اقامة وتعزيز العلاقات الوثيقة بين الحزب والنقابات. ويجب تبادل المساعدة فيما بين الحزب والنقابات. ولن تستطيع النقابات اداء واجبها في نضال البروليتاريا التحرري الا عندما يتشبع نشاطها بروح الاشتراكية.

وافرد مؤتمر كوبنهاجن (١٩١٠) مكاناً كبيراً لمسألة دور التعاونيات ومنزلتها في نضال البروليتاريا الطبقي. وفي سياق المناقشة اتضح عدم فهم من المندوبين لدور التعاونيات في المجتمع الرأسمالي. وكانت اخطاؤهم تستند إلى الفكرة الخاطئة، التي انتقدتها ماركس وانجلس في حينه، القائلة بان التعاونيات هي واحدة من الوسائل الرئيسية، ان لم تكن الوسيلة الرئيسية، لتحرير البروليتاريا. وعارض بعض المندوبين التعاون الوثيق بين الاحزاب والتعاونيات ودافعوا عن « حياد » التعاونيات ازاء الصراع الطبقي. وكانت هذه الآراء وامشالها انعكاساً لنظريات البرجوازية الصغيرة بشأن ما يسمى « بالاشتراكية التعاونية ». وعارض بحزم هذه الآراء الخاطئة الوفد الروسي برئاسة لينين وكذلك ممثلو بعض الاحزاب الأخرى، التي التزمت وجهة النظر

الماركسية بصدد هذه المسألة. وبالنسبة اتخذ قرار قدم، على حد تعبير لينين، « تحديداً صائباً من حيث الأساس لمهام التعاونيات البروليتارية ».

وأشار القرار إلى أن الهدف الرئيسي للتعاونيات هو مساعدة النضال الطبقي للبروليتاريا وتحسين ظروف حياتها. وحذر المؤتمر من المبالغة في دور التعاونيات مع مطالبة الاشتراكيين بنشاط مساهمة في الحركة التعاونية. وأكد المؤتمر أن مصالح الطبقة العاملة في نضالها ضد الرأسمال تتطلب تقوية الصلات بين التعاونيات والأحزاب الاشتراكية.

وناقشت الاممية كذلك مسألة القوميات والاستعمار، وهي المسألة التي كانت من القضايا الرئيسية في مؤتمر شتوتفارت عام ١٩٠٧. وحدث هنا صدام شديد بين الماركسيين والتحريفيين. فالتحريفي الهولندي فان كول وبعض مندوبي المؤتمر الانتهازيين الآخرين برروا الاستعمار الواقع بدلاً من شجبه بحزم ودون قيد أو شرط. وادرجت في مشروع القرار، الذي طرحته اغلبية اعضاء لجنة المسألة الاستعمارية. موضوعاً بشأن امكان « السياسة الاستعمارية الاشتراكية ». وجاء في هذه الموضوعة: « ان المؤتمر لا يشجب من حيث المبدأ ولجميع الازمان اية سياسة استعمارية. ففي ظل النظام الاشتراكي يمكن لهذه السياسة ان تخدم قضية الحضارة ». وفي معرض تحليل هذه الفكرة حاول فان كول ان يثبت في المؤتمر الزعم القائل بان المستعمرات ضرورية لتطوير الانتاج الصناعي وتحسين الحياة في الدول الاستعمارية وان السياسة الاستعمارية تستجيب لمصالح البروليتاريا الوطنية والطبقية.

وقد عارض الاشتراكيون اليساريون موقف الانتهازيين هذا بكل حزم. واتخذ المؤتمر باغلبية الاصوات القرار الذي جاء فيه « ان المؤتمر يرى ان السياسة الاستعمارية الامبريالية تؤدي في الواقع إلى الاستعباد وإلى العمل الاجباري وإلى اباداة سكان المستعمرات الاصليين. وان الرسالة الحضارية، التي اعلنها المجتمع الرأسمالي، ما هي الا واجهة للتستر على المطامع الجشعة للغزو والاستغلال. وان المجتمع الاشتراكي وحده الذي يهيء لجميع الشعوب

امكانية الاغتراف من مناهل الحضارة ». وكان هذا القرار نصراً مبيناً للقوى اليسارية.

وكانت من المسائل الرئيسية التي ناقشتها مؤتمرات الاممية الثانية في السنوات الأولى من القرن العشرين مسألة النزعة العسكرية وخطر الحرب العالمية. وكان ذلك امراً مفهوماً، لأن خطر الحرب بين البلدان الرأسمالية الاساسية غدا اكثر جلاءً وتهديداً. واشتد في صفوف الاشتراكية الديمقراطية العالمية الصراع بين التيارين الثوري والانتهازي بصدد مسألة الموقف من النزعة العسكرية والحروب. وتجلّى ذلك بوضوح خاص في مؤتمر شتوتفارت حيث طرحت اربعة مشاريع للقرارات بهذا الشأن.

وناضل الاشتراكيون الثوريون بقيادة لينين ولوكسمبورغ عن الموقف الماركسي الثوري الثابت في مسألة الحرب نضالاً عنيداً في سبيل صياغة قرار يقدم تحليلاً صائباً للنزعة العسكرية وخطر الحروب في ظل الامبريالية، بل ويسلح الطبقة العاملة في جميع البلدان بتكتيك ثوري ملموس للنضال ضد النزعة العسكرية والحروب. وتم بلوغ هذا الهدف بفضل التعديلات التي اجراها لينين ولوكسمبورغ على مشروع القرار، الذي اقترحه بيبيل. فقد قالوا، فيما قالوا: « اذا اشتد خطر الحرب فان عمال البلدان المعنية وممثلهم في البرلمان ملزمون ببذل قصارى جهدهم للحيلولة دون نشوب الحرب، وباتخاذ الاجراءات اللازمة لهذا الغرض والتي تتغير وتتشد، طبعاً، حسب اشتداد الوضع الطبقي والسياسي العام.

واذا اثرت الحرب فعلاً فهم ملزمون بالعمل على انهاءها بسرعة والسعي بكل الوسائل إلى استخدام الازمة الاقتصادية والسياسية الناجمة عن الحرب بغية ايقاظ الوعي السياسي لدى الجماهير الشعبية والتعجيل بانهايار سيطرة طبقة الرأسماليين ».

واتخذ القرار بالاجماع وبحماس شديد. وكان ذلك نصراً هاماً للقوى اليسارية في الاممية الثانية. وكان قرار شتوتفارت بشأن موقف الاشتراكيين

من النزعة العسكرية والحروب قد اكده مؤتمرا كوبنهاجن (١٩١٠) وبازل (١٩١٢).

واقر مؤتمر بازل بالاجماع البيان الموجه ضد الحرب. ودعا البيان « عمال جميع البلدان إلى مواجهة الامبريالية الرأسمالية بتضامن البروليتاريا العالمي ». وأشار البيان إلى « ان العمال يعتقدون بان اطلاق الرصاص على بعضهم البعض » من أجل منفعة الرأسماليين وفي سبيل السلالات. أو مجد الدبلوماسية السرية، انما هو جريمة ». وكان أهم جزء في البيان هو الاحكام التي ادرجت ضمن قرار مؤتمر شتوتغارت بناء على اقتراح من لينين ولوكسمبورغ. وعلى العموم استطاع البيان ان يكون مناهجاً جيداً للعمال الاممية للطبقة العاملة في جميع البلدان ضد الحرب.

بيد ان اشتداد الانتهازية في الاممية الثانية وعدم مطابقة افعال زعماء اغلبية الاحزاب لاقوالهم اديا إلى ان تظل قرارات ونداءات الاممية الثانية بصدد الحرب حبراً على ورق.

افلاس الاممية الثانية

مكانتها في التاريخ

في آب ١٩١٤ اندلع لهيب الحرب العالمية الأولى. ومع ان حكومات الدول المتحاربة اعلنت بصورة مرائية عن الدفاع عن الوطن والمصالح الوطنية، ولكن تلك في الواقع كانت حرباً امبريالية من أجل اقتسام العالم ومناطق النفوذ وموارد الخامات واسواق التصريف وميادين توظيف الراسمائل. بيد ان زعماء الاممية الثانية ايدوا هذه الحرب وايدوا حكوماتهم بدلاً من النضال ضد الحرب وضد الحكام الامبرياليين الذي اثاروها. وهكذا جرت

خيانة المثل العظمى، مثل الحركة العمالية والثورية البروليتارية وافكار الاخوة والتضامن الاممي بين شغيلة جميع البلدان. افلست الاممية الثانية كمنظمة عالمية للاحزاب العمالية والنقابات. وقدم لينين تحليلاً ماركسياً عميقاً للأسباب التي أدت إلى افلاس الاممية الثانية.

فقد قال « ان افلاس الاممية الثانية هو افلاس الانتهازية، التي نمت على تربة خصائص العصر التاريخي المنصرم (المسمى « بالسلمى ») واحرزت في السنوات الأخيرة السيطرة الفعلية في الاممية ». وكان الانتهازيون، كما أكد لينين، قد مهدوا لهذا الافلاس منذ زمان بعيد.

ان لامبدئية اغلبية زعماء الاممية في مكافحة الانتهازيين قد ادت في آخر المطاف إلى ان يصاب الكثيرون منهم بعدوى الانتهازية، بعد ان كانوا، في السنوات الأولى من نشاط الاممية، مع المواقف الماركسية الصائبة. وفي اللحظة التاريخية الحاسمة، حيث كان من الضروري تزعم نضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية، خانوا قضية العمال. وأدت خيانتهم إلى هلاك الاممية الثانية، بعد ان انتصرت فيها الانتهازية.

وفي معرض تقييم الاهمية التاريخية للاممية الثانية كتب لينين: « عندما يقال ان الاممية الثانية هلكت ومنيت بافلاس مشين ينبغي فهم ذلك بالشكل الصحيح. فهو يعني ان الذي افلس وهلك هو الانتهازية والاصلاحية واشتراكية البرجوازية الصغيرة. وذلك لأن للاممية الثانية مآثر تاريخية ولها مكسب... لا يتصل عنها العامل الواعي ابداً، الا وهو تأسيس المنظمات العمالية الجماهيرية التعاونية والنقابية والسياسية واستخدام النظام البرلماني البرجوازي وكذلك جميع مؤسسات الديمقراطية البرجوازية عموماً، وهلمجراً. وبالفعل، كانت الاممية الثانية عشية الحرب العالمية الأولى تضم ٢٧ حزباً عمالياً اشتراكياً من ٢٢ بلداً، صوت لضالحها زهاء ١٢ مليون شخص. وقادت الاممية الثانية العديد من النقابات تقود ١٩ مركزاً نقابياً وطنياً بلغ العدد الاجمالي لاعضاءها ٧,٤٠٠,٠٠٠ شخص. وكانت الحركة العمالية التعاونية

الأوروبية، التي تزعمها الاشتراكيون الديمقراطيون، تضم في عام ١٩١٤ زهاء ٣٠ ألف تعاونية استهلاكية فيها حوالي ٩ ملايين عضو. وتطورت تحت قيادة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ايضاً المنظمات النسائية والشبابية للطبقة العاملة.

وبنتيجة نشاط الاممية واحزابها نشأت، في عدد من البلدان، الصحافة الاشتراكية الجماهيرية وصدرت الادبيات الماركسية وتغلغت افكار الاشتراكية العلمية إلى فئات واسعة متزايدة من الكادحين.

وفعلت الاممية الثانية الكثير لتطوير استراتيجية وتكتيك النضال البروليتاري. وتضمنت قرايات مؤتمراتها ومؤتمرات الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية رداً على آراء الفوضويين من جهة والتحريفيين من جهة أخرى، تلك الآراء الخاطئة والضارة بالنسبة للحركة العمالية.

لقد ساعد نشاط الاممية الثانية العمال على انتزاع جملة تنازلات اقتصادية وسياسية من المستغلين: الحريات الديمقراطية وتحسين ظروف العمل والاحوال المادية وقرار قوانين العمل وهلمجرا. ولم تكن هذه التنازلات لتضفي استغلال العمال، ولكنها ساعدت على تعزيز مواقع الطبقة العاملة وتنامي الحركة العمالية. ولعبت الاممية دوراً هاماً في توحيد الفصائل الوطنية للطبقة العاملة في قوة اممية موحدة. وساعدت، بمؤتمراتها وقراراتها، على نشر افكار الاخوة والتضامن بين عمال مختلف البلدان، افكار الاممية البروليتارية.

ان افكار الاممية الثانية اليوم مادة للصراع الفكري الحاد، فالاشتراكيون اليمينيون عندما يتحدثون عن حصيلة نشاط الاممية يتلفتون عادة إلى النضال ضد الفوضويين والفوضويين السيندكاليين فقط ويلزمون الصمت بشأن جوهر نضال الماركسيين ضد التحريفيين أو يشوهون هذا الجوهر. وهم يؤكدون من بين قرارات الاممية على الجوانب التي تتناول ضرورة استخدام الطبقة العاملة للديمقراطية البرجوازية والنشاط البرلماني والمنظمات النقابية والتعاونية وغيرها، أي ما هو ممكن في اطار القانونية البرجوازية.

ويلزم ايدولوجيو الاشتراكية الديمقراطية اليمينية المعاصرة الصمت بشأن أهمية خبرة ثورة ١٩٠٥ الروسية الأولى بالنسبة للحركة العمالية العالمية ودور لينين والبلاشفة في النضال ضد الانتهازية في احزاب الاممية الثانية.

ويسدل الاشتراكيون اليمينيون جهوداً خاصة ليزيخوا من كاهل زعماء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية مسؤولية افلاس الاممية الثانية ومسؤولية خيانتهم لقضية الطبقة العاملة. ويكرر الاشتراكيون الديمقراطيون المعاصرون موضوعات كاوتسكي وغيره من زعماء الاممية الثانية، محاولين تصوير الأمر وكأن الاممية كانت عاجزة عن فعل شيء في سنوات الحرب العالمية الأولى، لأن جماهير العمال كانت واقعة - حسب زعمهم - في اسر النزعة القومية والشوفينية. وهم يرون اسباب وجوه افلاس الاممية ليس في خيانة زعمائها لقضية الثورة البرولتارية وليس في تواطؤهم مع برجوازياتهم، بل في انقطاع الصلات بين احزابها خلال سنوات الحرب واستحالة عقد جلساتها ومؤتمراتها بانتظام.

ولم جانب الآراء الانتهازية اليمينية تلاحظ في صفوف الحركة العمالية كذلك تقييمات يسارية متطرفة وانعزالية للاممية الثانية وحصيلة نشاطها. وتؤكد هذه التقييمات بصورة وحيدة الجانب على النقاط السلبية في نشاط الاممية ولا تراعي الامور الايجابية، التي قامت بها من أجل تطوير الحركة العمالية والنضال ضد الانتهازية اليمينية و«اليسارية».

ان الشيوعيين يرفضون بحزم التشويهات الاصلاحية والانعزالية على حد سواء لخبرة ونشاط الاممية الثانية. وهم اذ يقدرّون اهميتها التاريخية يأخذون بنظر الاعتبار الجوانب الايجابية والسلبية. وهذا الاسلوب وحده الذي يساعد الحركة العمالية المعاصرة على الاستفادة من تلك الخبرة في النضال من أجل مصالح الشغيلة من جهة، ومن جهة أخرى على تحاشي الاخطاء والنواقص التي ادت في حينه إلى انتصار الانتهازية في المنظمات العمالية وإلى افلاس الاممية.

وهكذا تميزت الحركة العمالية، في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، باشتداد الصراع بين تيارين على الصعيد العالمي والوطني . وبالرغم من ان نمو الانتهازية ادى إلى افلاس الامية الثانية فالحركة العمالية عموماً ارتقت درجة جديدة . وكان اهم خطوة إلى الامام في الحركة العمالية هي تأسيس الاحزاب السياسية المستقلة للطبقة العاملة وظهور أول حزب بروليتاري من طراز جديد هو حزب البلاشفة . واتسم بأهمية فائقة كذلك ظهور اللينينية . واغتنت البروليتاريا بخبرة هامة للنضال الطبقي الثوري ، وخصوصاً بخبرة ثورة ١٩٠٥ في روسيا . وادت العمليات الموضوعية، التي جرت في العالم، وتحويل الرأسمالية إلى امبريالية، إلى نضوج المقومات الضرورية لتحقيق الثورة الاشتراكية . وعززت الحرب العالمية الأولى بدورها كامل عمق التناقضات الامبريالية التنافسية . ولم يتسن للامبرياليين، خلافاً لما كانوا يأملون، ان يحولوا عن طريق الحرب دون وقوع الانفجار الثوري . ففي منتصف فترة الحرب نشأ وضع ثوري في عدد من البلدان الاوروبية . وتحول هذا الوضع إلى عدة ثورات منها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

* * *

الفصل الخامس

ثورة اكتوبر فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية

أثرت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى تأثيراً شاملاً على العالم بأسره وعلى مجرى التطور التاريخي اللاحق كله . فقد دشت عصاراً جديداً في العملية الثورية العالمية هو عصر الاشتراكية المظفرة . وكان ذلك انعطافاً جذرياً في مسار روسيا، وبداية لعصر جديد في تاريخ البشرية جمعاء . وأرست ثورة اكتوبر أساس الحضارة الجديدة، التي تولد امام أنظارنا في هيب الصراع الطبقي بلا هوادة وعلى خلفية العمل البطولي . ان وقائع التاريخ المعاصر لجميع البلدان والشعوب تؤكد التأثير الفريد الشامل لثورة اكتوبر ١٩١٧ على تطور المجتمع البشري .

الطابع الحتمي لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى

كانت ثورة اكتوبر نتيجة حتمية لمجمل التطور الماضي للعملية الثورية العالمية، لعملية نضال الجماهير، بزعامة الطبقة العاملة، في سبيل تصفية النظام الرأسمالي وبناء مجتمع جديد أرقى هو الشيوعية . وقد جاءت الثورة الاشتراكية في روسيا كنتيجة لمفعول القوانين الاساسية للتطور الاجتماعي، التي تقضى بضرورة تصفية النظام القائم على الاستغلال والاضطهاد، وضرورة الانتقال إلى اشكال أعلى للبناء الاجتماعي، قائمة على الملكية العامة لوسائل الانتاج، التي تستطيع وحدها ان تهيئ الظروف أمام القوى المنتجة

للممارسة واجبها بصورة طبيعية ولازدهار شخصية الفرد من جميع الوجوه.

كان عالم اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ينطوي على اعمق الهزات الثورية. وقد كتب انجلس إل لافارغ في عام ١٨٨٦ « ان الجمهوريين البرجوازيين في فرنسا في حالة تشبه حالة القيصر في روسيا، فهم يواجهون خطر الثورة، وهم لا يرون غير وسيلة واحدة للخلاص هي الحرب... »

واذا كنت تريدون معرفة رأيي فيجب ان يكون من غير المشكوك فيه بالنسبة لنا ان الحرب اذا اندلعت فستخاض من أجل اعاقه الثورة لا غير... »

لقد ادت الحرب العالمية الأولى في البداية إلى هبوط معين للمد الثوري. فالجماهير الشعبية في البلدان المتحاربة قد انخدعت بالدعاية الشوفينية الزائفة التي روجت « للوحدة الوطنية » في سبيل « حماية الوطن ». الا ان الواقع القاسي للكارثة العالمية سرعان ما بدد ضباب الاوهام « الوطنية » الساذجة. ان مصائب الحرب وضحاياها الهائلة وقعت كلياً على كاهل أهل الكدح. ولذلك اخذت تتعاظم لدى الطبقة العاملة بصورة متزايدة الميول الاممية والطموح إلى قطع دابر الحرب اللعينة، عن طريق توحيد جهود بروليتاريي جميع البلدان. وتجلت الخلافات العميقة كذلك في بلدان الاطراف الاستعمارية للامبريالية. وتطورت حركات التحرر الوطني عمقاً، وكان ذلك بشيراً بمواصلة التطور الحتمي لاطرها في القريب العاجل.

ودل ذلك كله على ان العالم اصبح، قبيل اكتوبر ١٩١٧، عقدة للتناقضات الحادة ومسرحاً لبدء احتضار النظام الرأسمالي. وغدت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ذلك الدافع الذي هز النظام الرأسمالي بأسره.

كانت روسيا القيصرية، بالرغم من خصائص تطورها التاريخي، بلداً رأسمالياً نموذجياً مع انه متخلف نسبياً. وفي معرض دراسة الرأسمالية الروسية أكد لينين « ان من المهم ادراك مدى تطابق السمات الاساسية لهذه العملية

المشتركة في أوروبا الغربية وفي روسيا، بالرغم من الخصائص الكبيرة لهذه الأخيرة من الناحيتين الاقتصادية وغير الاقتصادية على حد سواء ».

كانت روسيا القديمة بؤرة لجميع التناقضات الاساسية للامبريالية. فالتطور السريع للصناعة وتركزها العالي ووجود الطبقة العاملة المكافحة - كل ذلك أقرن بالعلاقات الزراعية المتخلفة وبقايا الاقطاع والقنانة والنظام القبلي الأبوي. وأقرن الاضطهاد الاجتماعي بالاضطهاد القومي: فاطرافها كانت مستعمرات فعلية للقيصرية. وقد كتب ماركس في عام ١٨٧٠: « ... يتوصل المرء إلى اعتقاد راسخ بأن ثورة اجتماعية كبرى حتمية وقرينة في روسيا ».

لقد شددت الحرب العالمية الأولى اضعافاً مضاعفة جميع التناقضات الملازمة للرأسمالية الروسية والنظام الملكي القيصري المتعفن وربطتها في عقدة واحدة مشدودة. وكانت ثورة اكتوبر العظمى بمثابة منفذ لجميع هذه التناقضات ونموذجاً لحلها الثوري.

كانت روسيا تشغل مكاناً فريداً جداً في اطار المنظومة الرأسمالية العالمية. فقد كانت وحدة مستقلة كبرى في السياسة العالمية والاقتصاد العالمي، ولكنها في الوقت ذاته بلداً تابعاً للدول الامبريالية المتقدمة. ولا يقتصر الأمر على ان هذه الدول استخدمت روسيا على نطاق واسع كمصدر للارباح الناجمة عن توظيف الرأسمال في الاقتصاد وكسوق شاسعة قريبة المنال نسبياً لتصرف بضائعها. فبسبب تخلف البنية الاجتماعية والاقتصادية بالذات اعتبر الغرب روسيا أهم احتياطي وأداة لمكافحة الثورة. ولكن انتصار الثورة وجه ضربة لا مثيل لها من حيث القوة إلى حسابات الامبريالية العالمية هذه.

لقد كشفت ثورة اكتوبر بقوة ووضوح ولأول مرة، عن القوانين العامة للثورة الاشتراكية. وتكتسب خبرتها أهمية راسخة في عصرنا الحاضر ايضاً. وطوال أكثر من نصف قرن تتأثر العملية الثورية العالمية تأثراً كبيراً بثورة

اشتراكية مظفرة. فما هي السمات ذات الالهمية الشاملة في خبرة ثورة اكتوبر، العظمى؟

اولاً - تبين خبرة اكتوبر ان الثورة تنتهي إلى النصر عندما تنضج الظروف الموضوعية لذلك. وكانت هذه الظروف، كما بينا اعلاه، متوفرة في روسيا القيصرية.

ثانياً - بينت خبرة اكتوبر ان انتصار الثورة يتطلب اعداد وتنظيم جماهير الشغيلة بالشكل الضروري لأجل المعارك الحاسمة ضد الاعداء الطبقيين. وبالفعل، وجدت في روسيا طبقة عاملة ناضجة، وهي كانت الفصلية الاكثر ثورية بين فصائل البروليتاريا العالمية، والفصلية التي استوعبت الخبرة الثورية العالمية والتي ملكت حزباً ثورياً لها مسلحاً بالنظرية الماركسية - اللينينية. وإلى جانب الطبقة العاملة تحركت اوسع الجماهير الكادحة غير البروليتارية. وغدا التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين قاعدة متينة للثورة في روسيا. وحدث، على حد تعبير لينين، اندماج الثورة البروليتارية ضد البرجوازية بالثورة الفلاحية ضد الاقطاعيين. وفي فترة تحضير وتنفيذ ثورة اكتوبر كانت الملايين من العمال والفلاحين والجنود تشكل جيشاً سياسياً موحداً للثورة. وكان تأثير الطبقة العاملة القيادي على الفلاحين قد سهل الانتقال من الثورة البرجوازية إلى الثورة الاشتراكية. وينبغي ان نضيف إلى ذلك جانباً هاماً من خبرة ثورة اكتوبر وهو اقامة التحالف بين شغيلة مختلف القوميات في روسيا في النضال ضد النير الرأسمالي والاقطاعي والقومي، الأمر الذي لعب كذلك دوراً هاماً في انتصار الثورة.

ثالثاً - بينت خبرة اكتوبر ان انتصار الثورة الاشتراكية يتطلب وجود حزب شيوعي مجرب ومسلح بالنظرية الماركسية - اللينينية وقائد وطليلة للجماهير، حزب يجيد التأثير على أغلبية الطبقة العاملة وجميع الشغيلة ويمارس جميع أشكال النضال الثوري. وعلى هذه الصورة بالذات كان حزب البلاشفة في روسيا بقيادة لينين.

رابعاً - بينت خبرة تحضير وتنفيذ ثورة اكتوبر ان الحزب يجب ان يكون مسلحاً بنظرية من اكثر النظريات ثورية وتقدمية. وهذه النظرية هي اللينينية - المرحلة الأعلى في تطور الماركسية. لقد جرى اعداد وانتصار ثورة اكتوبر تحت راية الافكار الثورية اللينينية. وغدت هذه الثورة انتصاراً للينينية.

خامساً - من الضروري ان يتقن الحزب كلياً تعلم وفن القيادة الاستراتيجية والتكتيكية وان يستكمل على الدوام استراتيجيته وتكتيكه وان يعمم ويستخدم بمهارة خبرته والخبرة العالمية للنضال الثوري.

ومن هذه الناحية كان حزب البلاشفة والطبقة العاملة في روسيا مزودين جيداً بالخبرة الثورية للبدان الاجنبية وبخبرتها الذاتية الثورية الغنية جداً. وأشار لينين إلى ان العمال والفلاحين في روسيا تخرجوا من مدرسة كبرى هي مدرسة التعليم السياسي والعمل الثوري، وخصوصاً في سياق ثورة ١٩٠٥، التي غدت بمثابة «تدريب نهائي» لثورة اكتوبر. كان حزب البلاشفة يتقن بشكل رائع جميع اساليب النضال - العلنية والسرية، السلمية وغير السلمية، الجماهيرية والبرلمانية. وكان يجيد عند الضرورة استبدال اشكال النضال بسرعة وقيادة الجماهير عبر الصعوبات إلى أهدافها. وأقتنعت الجماهير بخبرتها الخاصة بصواب سياسة البلاشفة وايدتهم. وكانت انتفاضة اكتوبر نفسها نموذجاً رائعاً للاستراتيجية والتكتيك الثوريين.

سادساً - قدمت خبرة اكتوبر دليلاً مقنعاً على ان انتقال المجتمع من الرأسمالية إلى الاشتراكية لا يمكن ان يتم الا بطريق الثورة، مهما كان الشكل الذي تتخذه. وبذلك قدمت الممارسة التاريخية جواباً على الجدل الواسع الذي أثير في الاممية الثانية في مطلع القرن العشرين حول كيفية الوصول إلى الاشتراكية: عن طريق الاصلاحات أم عن طريق الثورة. وقد أثبتت ثورة اكتوبر ما ذكره ماركس من أن اسقاط الرأسمالية غير ممكن الا عن طريق الثورة.

سابعاً - اكدت خبرة اكتوبر الفكرة العلمية للماركسية - اللينينية، القائلة بأن على الطبقة العاملة، وهي تحمل المسألة الرئيسية للثورة، مسألة السلطة، ان

تقيم دكتاتوريتها وتحطم جهاز الدولة البرجوازية وتستبدله بجهاز جديد بروليتاري، ولقد قدمت الثورة في روسيا أول شكل مظفر لدكتاتورية البروليتاريا، نعني السوفييتات التي ابتكرت بمبادرة جماهير الشغيلة الواسعة. ثامناً - أدركت البروليتاريا العالمية، استناداً إلى تجربة الثورة الاشتراكية في روسيا، ضرورة مراعاة سنة عامة أخرى: حماية الثورة، وحماية مكتسبات الاشتراكية من الإعداء الداخليين والخارجيين. لقد تحشدت ضد روسيا السوفييتية كل قوى العالم القديم. واستطاعت الجمهورية الاشتراكية الفتية، بتأسيس الجيش الأحمر الجبار وسائر هيئات الدفاع عن الثورة، أن تردع أعداء الثورة الداخليين والمتدخلين الأجانب وأن تصمد في ظروف الحصار والتخريب وتمردات الكولاك.

تاسعاً - كشفت ثورة أكتوبر عن القوة العظمى للاممية البروليتارية. فقد هب للذود عن روسيا السوفييتية عمال وشغيلة العديد من بلدان العالم، الذين نظموا حملات التضامن مع روسيا النائرة وطرحوا الشعار الكفاحي: « ارفعوا أيديكم عن روسيا السوفييتية ». وحارب الكثيرون من اللامبيين الأجانب في صفوف الجيش الأحمر، جنباً إلى جنب مع عمال روسيا وفلاحيه. ان انتصار ثورة أكتوبر هو أيضاً انتصار للاممية البروليتارية. عاشراً - قدمت ثورة أكتوبر لأول مرة في التاريخ خبرة التحويلات الاشتراكية والبناء الاشتراكي.

كانت ثورة أكتوبر ١٩١٧ تعني حدوث تغيرات جذرية في مجرى التطور التاريخي لروسيا، التي تشكل سدس الكرة الأرضية. وأدت إقامة دكتاتورية البروليتاريا إلى تغيير تام في وضع طبقات روسيا القيصرية القديمة. واصحبت البروليتاريا الطبقة السائدة، بعد الثورة، والتي التف حولها شغيلة المدن والارياف، أي الاغلبية الكبرى من أبناء الشعب. وتحول الحزب الشيوعي بعد ثورة أكتوبر إلى حزب حاكم وشرع بحل مهمات تاريخية مثل بناء الدولة السوفييتية وإعادة بناء الاقتصاد على أسس اشتراكية وتنظيم الدفاع عن

مكتسبات الثورة من الإعداء الخارجيين والداخليين وترسيخ الصلات مع بروليتاريا البلدان الأخرى وتقديم المساعدة لها في النضال ضد الظالمين.

وحلت ثورة أكتوبر الاشتراكية، فيما حلت، مهمات الثورة البرجوازية الديمقراطية. فقد صفت كلياً مخلفات الاقطاع. وكان مرسوم الارض، الذي اتخذ في ٨ تشرين الثاني ١٩١٧، قد ألغى الملكية الاقطاعية للأرض بدون أي تعويض وأحال الأراضي إلى الفلاحين. وانتقلت أغلبية الفلاحين إلى صف الثورة. وألغت السلطة السوفييتية تقسيم السكان إلى فئات وألغت كذلك إمتيازات الفئات واستحدثت نظام الجنسية الموحد للجميع وأعلنت عن حرية المعتقد وفصلت الكنيسة عن الدولة كما فصلت المدرسة عن الكنيسة. وصارت المرأة تتمتع بالمساواة الحقيقية مع الرجل في الحقوق.

واتسمت باهمية فائقة « لائحة حقوق شعوب روسيا »، التي أعلنت عن المساواة السياسية لجميع شعوب روسيا وعن حقها في تقرير المصير إلى حد تأسيس دولة مستقلة. وساعد ذلك على اجتذاب الاقليات القومية إلى صف الثورة، بعد ان كانت تتعرض لاستغلال وحشي من جانب القيصرية.

وعمدت السلطة السوفييتية، في سياق انتزاع ملكية الرأسماليين والاقطاعيين، إلى تحسين ظروف حياة الشغيلة فوراً. فقد نقلت مئات الآلاف من العوائل العمالية من الأقباء والاكوخ إلى الدور العائدة للاستغلاليين. وفتحت امام الشغيلة ابواب التعليم المجاني. وانتقلت القصور إلى الشغيلة وجرى تحويلها إلى مصحات ومتاحف ونواد وميتم. وصارت الخدمات الطبية مجانية. وتحسنت لدرجة كبيرة ظروف الحياة وصيانتها. وطبق يوم العمل من ثماني ساعات، واتخذ مرسوم الضمان الاجتماعي للشغيلة بسبب المرض وفقدان القدرة على العمل والبطالة.

لقد واجه العمل لتحويل الاقتصاد الرأسمالي إلى الاشتراكي مقاومة ضارية من جانب البرجوازية. وعن طريق فرض الرقابة العمالية على المؤسسات الانتاجية أحبطت السلطة السوفييتية التخريب البرجوازي وهيأت للعمال

أمكنانية تعلم ادارة الانتاج . وأخذت اللجان العمالية والمصنعية على عاتقها الوظائف الادارية والاقتصادية وانتزعت جميع البنوك والمعامل والمصانع والمناجم والسكك الحديدية ووسائل النقل والمواصلات من أيدي الرأسماليين والقطاعيين وغدت ملكية للشعب بأسره .

وصارت الدولة السوفييتية قاعدة جبارة للحركة التحررية العالمية . وأكتسبت خبرة ثورة اكتوبر الاشتراكية أهمية علمية . فالنموذج الروسي ، كما قال لينين ، « يبين لجميع البلدان شيئاً ما جوهرياً من مستقبلها الحتمي غير البعيد . . . واثبتت التجربة أنه يتحتم على جميع البلدان ان تفعل ما فعلته روسيا في بعض مسائل الثورة البروليتارية الجوهريّة للغاية » .

وهكذا ، كان انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى نتيجة حتمية للتطور العالمي السابق . وأصبح انتصار الثورة دليلاً لا يدحض على صواب استنتاج النظرية الماركسية اللينينية حول الحتمية التاريخية لسقوط النظام الاستغلالي عندما تنضج الظروف الاجتماعية لأجل التحويلات الاشتراكية الجذرية .

ولدى الحديث عن القوانين العامة لثورة اكتوبر لا يسعنا الا أن نأخذ بعين الاعتبار كذلك الوضع التاريخي الملموس والخواص الفريدة ، التي لازمت الثورة الاشتراكية الأولى . فقد انتصرت ثورة اكتوبر في بلد رأسمالي متخلف نسبياً . ولكن التخلف السياسي الشامل للنظام الملكي القيصري بالذات هو الذي ولد القوة الخارقة لحماس الجماهير الثوري . وأشار لينين بهذا الخصوص إلى ان بدء الثورة الاشتراكية في روسيا كان أسهل من مواصلتها واسهل من بناء الاشتراكية .

لقد بدأت ثورة اكتوبر ١٩١٧ في جو ملائم ، حيث كانت كبريات الدول الامبريالية مشغولة بالحرب فيما بينها ، مما أعاقها لبعض الوقت عن تكريس كل قواها لاختاد الثورة في روسيا . زد على ذلك ان جنود الجيوش

الاجنبية ، الذين ارهقهم الحرب ، قد توجهوا بغير رغبة إلى محاربة العمال والفلاحين الروس .

يضاف إلى ذلك ان روسيا تمتلك ظروفًا جغرافية ملائمة ، اذ ان وجود الاراضي الشاسعة قد ساعد القوى الثورية على الصمود للتدخل الاجنبي وللثور المضادة الداخلية والقيام بمناورات استراتيجية كبرى وإعادة توزيع القوى .

ولما كانت ثورة اكتوبر اول ثورة بروليتارية مظفرة فقد واجهت مقاومة مسعورة ، بخاصة من قبل الرأسمال العالمي كله . وذلك ما يفسر الطابع الضاري للحرب الاهلية ، التي اعقبت الثورة . وهذا ما يفسر ايضاً الاساليب القاسية التي اضطرت دكتاتورية البروليتاريا إلى استخدامها في روسيا ضد خصومها الطبقيين . ان هذه السمات الفريدة وغيرها من سمات ثورة اكتوبر لا يتحتم تكرارها في الثورات الاشتراكية اللاحقة . وان هذه الخصوصية لم تغير مطلقاً جوهر القوانين العامة للنضال الثوري ، تلك القوانين التي تجلت لأول مرة في خبرة ثورة اكتوبر . بيد ان اللينينية تؤكد ايضاً ضرورة مراعاة الظروف التاريخية الملموسة والخواص الوطنية للثورات في كل بلد .

نهوض الحركة العمالية والثورية في البلدان الرأسمالية

قبل ثورة اكتوبر كان تناسب القوى بين البروليتاريا والبرجوازية ، على الصعيدين الوطني والعالمي ، لصالح البرجوازية كلياً . ولكنه عندما استلمت واحدة من أكبر فصائل البروليتاريا العالمية - الطبقة العاملة الروسية - السلطة وأنشأت دولتها وشرعت ببناء المجتمع الجديد تغير تناسب القوى القديم لصالح الطبقة العاملة العالمية . وترك ذلك أثره على الصعيد الدولي وعلى الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية داخل كل دولة رأسمالية . وتحولت الصلة العضوية بين الطبقة العاملة المنتصرة في روسيا وجميع الفصائل الأخرى للحركة

العمالية الثورية إلى مصدر جديد لقوة الطبقة العاملة العالمية. وأدت الروابط
الاممية الوثقى بينها إلى جعل البرجوازية محصورة في كهاشة جبهتين: من
« المؤخرة » تهاجمها الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية، ومن « المقدمة »
يواجهها النظام الاشتراكي.

واتسم بأهمية فائقة التغير الجذري في نفسية الطبقة العاملة. فالفئات
الواسعة من الشغيلة قبل ثورة أكتوبر لم تكن واثقة من قواها، بينما لم تبخل
البرجوازية وبالأموال والوسائل لتوهن ثقة الشغيلة بنفسهم ولتوحى اليهم بانهم
لن يستطيعوا الاستغناء عن الاستغلاليين وبانهم عاجزون عن الأبداع
التاريخي المستقل، وأثبت شغيلة روسيا أن البروليتاريا تستطيع بناء الحياة
الجديدة بنجاح وكسب الطبقة العاملة العالمية الثقة بقواها الخلاقة.

وفي جميع أرجاء العالم الرأسمالي رحب البروليتاريون والتقدميون
واستبشروا بالمآثرة الثورية لشغيلة روسيا. وكان بروليتاريو المانيا والنمسا - المجر
وفرنسا وانجلترا انشط من استجاب لثورة أكتوبر. فقد كتب موريس توريز عن
موقف عمال فرنسا التقدميين من ثورة أكتوبر يقول: « لم نكتف بالتضامن مع
الثورة الروسية، بل اعتبرنا ثورة أكتوبر الاشتراكية قضية من لحمنا ودمنا، قضية
لبروليتاريا فرنسا وجميع البلدان. لقد اعتبرناها ملكاً لنا، ملكاً للحركة العمالية
العالمية جمعاء، وقد اعربنا نحن بروليتاريي فرنسا عن ثقتنا بها وعن واجبنا في
التعليم على يد لينين ».

لقد استقبلت الطبقة العاملة في العالم اجمع بشعور عميق من المشاطرة
ثورة أكتوبر الاشتراكية، وذلك لأنها كانت من صنع البروليتاريا وكانت مكسباً
لها ووليداً لحركتها، وكانت في الوقت ذاته تجسيدا لمطامحها وأمانيتها المنشودة
طوال القرون.

ومنذ الايام الأولى لثورة أكتوبر نشأ أوثق تفاعل منظم بين الطبقة العاملة
المنتصرة في روسيا وبين بروليتاريي البلدان الغربية. فالطبقة العاملة، التي
استولت على السلطة في روسيا، لم تستهدف بلوغ مقاصد وطنية فقط. ولم تسع

إلى تحرير نفسها وتحرير جميع شغيلة روسيا فقط من الاضطهاد والاستغلال.
لقد كانت تستهدف غرضاً عظيماً هو تقديم اوسع مساعدة للاشقاء الطبقيين
في الدول الأخرى.

ان الطبقة العاملة وجميع الشغيلة في العالم الرأسمالي هبوا لدعم ثورة
أكتوبر منذ الايام الأولى لقيامها. وعندما بدأ امبرياليو التحالف في خريف
١٩١٨ تدخلهم المسلح لنجدة الثورة المضادة في روسيا هب العمال الطليعيون
في العديد من البلدان الرأسمالية للذود عن ثورة أكتوبر. وكتب أعضاء حزب
العمال الاشتراكي البريطاني في بيانهم آنذاك: « انقذوا الثورة. اننا نريد لفت
انتباه جميع الاحزاب الاشتراكية، التي تكن مشاعر الود للحكومة السوفيتية في
روسيا، والتي تطمح إلى حماية الثورة العالمية في حالتها العvisية المرتبطة
بالظروف التي يواجهها الرفاق الروس... »

ايها الرفاق! هذه اخرج لحظة في تاريخ الاممية. وعلينا يتوقف انقاذ
الثورة وانقاذ أنفسنا معها، فإلى العمل! ».

وبعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ لم يكن هناك ولا بلد رأسمالي واحد لم تشتد فيه
الحركة الثورية بتأثير الثورة الاشتراكية الظافرة في روسيا. في عدد من البلدان
الرأسمالية بدأت، بتأثير ثورة أكتوبر، ثورات أخرى خاضها العمال التقدميون،
من أجل اقامة السلطة البروليتارية. وكان عمال فنلندة أول من أقام سلطتهم
بعد ثورة أكتوبر وذلك في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٨. وفي اواخر تشرين الأول
١٩١٨ اندلعت الثورة البرجوازية الديمقراطية في النمسا - المجر وأدت إلى
سقوط النظام الملكي فيها وتأسيس عدة دوك مستقلة. وفي تشرين الثاني من
العام ذاته بدأت الثورة البرجوازية الديمقراطية في المانيا. وفي كانون الأول
١٩١٨ قامت سلطة البروليتاريا في ليتوانيا ولاتفيا واستونيا. وفي ٢١ آذار
١٩١٩ تأسست الجمهورية المجرية السوفيتية، التي قامت بدعمها السلطة
السوفيتية في سلوفاكيا. وفي نيسان ١٩١٩ أعلن عن قيام جمهورية بافاريا

السوفييتية. وفي تموز ١٩٢٠ قامت السلطة السوفييتية في بولونيا ومركزها مدينة بيلوستوك.

كانت كل هذه الثورات خطوات كبيرة إلى الامام. في التطور الاجتماعي لتلك البلدان. واندلعت الثورات في كل مكان كنتيجة لاشتداد تناقضات الرأسمالية. وكشفت البروليتاريا في كل مكان، وهي تناضل بقوة محرك وقيادة رئيسية للثورة، عن طاقة عظيمة وتفانياً وثبتت بانها اكثر قوى الامة تقدمية. وفي سياق الثورات تأسست السوفييتات (المجالس) وتشكلت فصائل الحرس الاحمر والجيش الاحمر والمليشيا الثورية وهيأت المحاكم الثورية وفرضت الرقابة العمالية على المؤسسات الانتاجية. وفي عدة حالات تم تأميم الملكية الكبيرة في المدن والارياف. وأولى اهتمام كبير في تحسين الاوضاع المادية للشغيلة (اجراءات جرد وتوزيع الاغذية وتقليل البطالة وتحسين ظروف السكن للشغيلة وهلمجرا). ووضعت موضع التطبيق الحقوق الاجتماعية الاقتصادية للشغيلة والحريات الديمقراطية للشعب.

وتحققت الثورات في البلدان المختلفة باشكال مختلفة، واستخدم الشغيلة في نضالهم وسائل الكفاح المسلح والوسائل السلمية واتسم الصراع في فلندة بطابع حاد. فقد تزايد لدى شغيلة البلاد التذمر من سياسة البرجوازية الفنلندية واعلن العمال الاضرابات واقاموا المظاهرات وشكلوا فصائل الحرس الاحمر. وتعزز الجناح الثوري من الحزب الاشتراكي الديمقراطي الفنلندي، الذي ازداد عدد أعضائه إلى ١٠٠ ألف شخص.

وسعت البرجوازية الفنلندية إلى اقامة الدكتاتورية الرجعية في فلندة عن طريق انقلاب مسلح. وفي هذه الظروف أعلن العمال في ١٣ تشرين الثاني ١٩١٧ أضراباً عاماً واستولوا على السلطة في عدد من المراكز الصناعية في البلاد. الا ان الاغلبية اليمينية في قيادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الفنلندي تراجعت امام البرجوازية بحجة ان البروليتاريا الفنلندية غير مستعدة لاستلام السلطة، واصدرت توجيهاً بانهاء الاضراب في ٢٠ تشرين الثاني.

وكان التكتيك الخياني لدى الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين قد ساعد البرجوازية في ان تعمل بنشاط متزايد لاختاد الحركة البروليتارية بقوة السلاح. وفي كانون الثاني ١٩١٨ منح البرلمان الحكومة صلاحيات دكتاتورية وانتقلت فصائل الرجعية المسلحة إلى قمع الحركة الثورية بقوة السلاح.

لقد اثار هجوم الثورة المضادة مقاومة من جانب الشغيلة. في ٢٨ كانون الثاني انتقلت بروليتاريا هيلسنكي إلى الاعمال الحازمة. وكانت تلك بداية الثورة. شغلت فصائل الحرس الاحمر المراكز الحساسة في العاصمة. وانتقلت السلطة إلى أيدي الحكومة العمالية - مجلس مفوضي الشعب. ودخل المجلس أساساً ممثلو الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الديمقراطي الفنلندي. وانتصرت الثورة العمالية في القسم الجنوبي الصناعي من البلاد. وفرت الحكومة البرجوازية وتراجع الجيش إلى المناطق الشمالية التي صارت مركزاً للثورة المضادة.

وفي المانيا تميزت الثورة البرجوازية الديمقراطية بان الطبقة العاملة كانت القوة المحركة الاساسية فيها، وبانها تحققت أساساً بطرق النضال البروليتارية. فقد أعلن بحارة الاسطول الحربي في ٣ تشرين الثاني ١٩١٨ انتفاضة في كيل أيدها عمال المدينة. واجتاحت النضالات الثورية البلاد كلها بسرعة. وتشكلت في كل مكان سوفييتات نواب الجنود والعمال، وكان الاضراب العام، الذي أعلن في برلين يوم ٩ تشرين الثاني تلبية لنداء جماعة « سبارتاكوس » الثورية قد تحول إلى انتفاضة مسلحة. وسقطت الامبراطورية البرجوازية العسكرية.

كانت ثورة تشرين الثاني في المانيا ذات ميزات تاريخية كبيرة، بالرغم من انها لم تتحول إلى ثورة اشتراكية. فقد اطاحت بالنظام الملكي وأعلنت الحريات الديمقراطية البرجوازية ويوم العمل من ثمان ساعات والحق الانتخابي العام. وكانت هامة ايضاً من حيث اهميتها الأمية التي تجلت، فيما تجلت، في كونها قد أدت إلى الغاء معاهدة بريست، التي كانت عبئاً ثقيلاً على روسيا السوفييتية.

وبالرغم من هزيمة البروليتاريا في برلين حاول عمال العديد من مناطق المانيا الدفاع عن مكاسب الثورة ومواصلتها وتعميقها. وبلغ النضال الطبقي في مقاطعة بافاريا حداً لم يسبقه مثيل في ١٩ نيسان ١٩١٩ شكل العمال البافاريون، في سياق الكفاح المسلح، حكومة من الشيوعيين و « الاستقلاليين » برئاسة الشيوعي اوجني ليفيني. واعلنت الحكومة الثورية عن قيام الجمهورية البافارية السوفييتية وبعثت بتحية إلى الجمهورية في روسيا والجمهورية السوفييتية في المجر. واتخذت اجراءات نزع سلاح البرجوازية وتسليح البروليتاريا.

وبلغ النضال الثوري في المجر نطاقاً كبيراً حيث أعلنت الجمهورية في تشرين الأول ١٩١٨ وانتقلت السلطة إلى البرجوازية الليبرالية وبدأ التحضير لعقد المجلس التأسيسي ولكن اتضح ان الحكومة الجديدة لا تنوي اتخاذ الاجراءات لتحسين اوضاع الشغيلة، فبدأ العمال يشكلون السوفييتات، التي صارت تحل محل الهيئات الحكومية.

في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٨ تأسس الحزب الشيوعي المجري الذي طرح شعار « كل السلطة للسوفييتات »، وتزعم نضالات عمالية وكسب نفوذاً في العديد من السوفييتات. وقام الشيوعيون بتسليح العمال استعداداً للانتفاضة المسلحة. وكان تحت تصرفهم ٣٥ ألف بندقية. وكانت لهم مواقع قوية في الجبهة ايضاً.

وفي ٢١ آذار ١٩١٩ انتصرت الثورة الاشتراكية في المجر. كانت الثورة تتميز بان السلطة السوفييتية اقيمت بالطريق السلمي. فالبرجوازية المجرية، التي لم تكن تمتلك القوى لمواجهة الحركة الثورية المتنامية في البلاد، والتي عجزت عن مقاومة ضغط دول التحالف، سلمت السلطة إلى الاشتراكيين الديمقراطيون. وكان هؤلاء الاخرون قد اقترحوا على زعماء الحزب الشيوعي الموجودين في السجن آنذاك أن يساهموا في الحكومة. وقد اشترط الشيوعيون مساهمتهم في الحكومة بعدة مطالب أضطر الاشتراكيون الديمقراطيون إلى

الموافقة عليها. واتخذ قرار بتوحيد الحزبين الشيوعي والاشتراكي الديمقراطي. كانت العلاقات الدولية بين البلدان التي أستولت فيها البروليتاريا على السلطة قائمة على مبادئ الاممية الاشتراكية. فعقدت بين روسيا السوفييتية وجمهورية فلندة الاشتراكية العالمية أول معاهدة من نوعها في التاريخ، معاهدة بين دولتين بروليتاريتين. وقدمت روسيا السوفييتية إلى البروليتاريا الفنلندية مساعدة كبيرة بالاغذية وغيرها. وبعثت روسيا السوفييتية القمح إلى البروليتاريا الالمانية.

واتخذت روسيا السوفييتية الاجراءات لفك طوق الحصار المضروب حول المجر السوفييتية، فخصصت لهذا الغرض وحدات عسكرية من الجيش الاحمر. الا أن الوضع الداخلي والدولي المعقد للغاية بالنسبة للجمهورية الروسية الفتية، المطوقة بقوات الامبرياليين وفصائل الحرس الابيض، اعاقها عن تحقيق الأعمال المشتركة.

كان السبب الرئيسي في هزيمة اغلبية الثورات البروليتارية آنذاك هو تناسب القوى غير الملائم للبروليتاريا في العالم وداخل البلدان الرأسمالية. كانت لدى البرجوازية العالمية امكانيات واسعة لتنظيم تصدير الثورة المضادة. فالامبريالية الالمانية، مثلاً، لعبت الدور الحاسم في اخاد الثورات: الفنلندية والبافارية واللاتفية واللثوانية والاستونية. ودحرت قوات دول الوفاق (الحلفاء) الامبريالية قوات الثورات: المجرية والسلوفاكية والبولونية.

وكشفت خبرة النضال الثوري آنذاك عن ضعف العامل الذاتي ايضاً للثورة الاشتراكية في أغلبية البلدان الرأسمالية. في تلك الفترة كانت الاحزاب الشيوعية في طور التكوين ولم تستطع ان تصبح طليعة حقيقية وقائداً فعلياً لنضال الجماهير الثوري، بينما كانت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية عاجزة عن النضال الثوري.

فبعد ان أستولى زعماء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية اليمينيون، بالتعاون مع الوسطيين في المانيا، على الاغلبية في السوفييتات سعوا إلى الحيلولة

دون تحول الثورة إلى ثورة اشتراكية واعاقة اقامة دكتاتورية البروليتاريا. وخلافاً لمطالب الجماهير بشأن تطبيق شعار « كل السلطة للسوفييتات »، استفاد الاشتراكيون الديمقراطيون اليمينيون من الاغلبية التي يمتلكونها، وفي مؤتمر سوفييتات عموم المانيا سلموا السلطة إلى حكومة الانتهازيين اليمينيين ايرت وشيديان. وكان ذلك يعني تصفية السوفييتات وحل مسألة السلطة لصالح البرجوازية. وبقيادة وزير الحربية الاشتراكي الديمقراطي الالمانى نوسكه قمعت القوات الالمانية بوحشية انتفاضة العمال في برلين، في كانون الثاني ١٩١٩، وبأمر من نوسكه قتل زعماء البروليتاريا الالمانية كارل ليكنيخت وروزا لوكسمبورغ!

وفي المجر عرقل الاشتراكيون الديمقراطيون اليمينيون، الموجودون في صفوف الحزب الموحد، بكل الوسائل اقامة دكتاتورية البروليتاريا وتمسكوا بالمواقف الاستسلامية، ثم ساهموا في دحر الثورة في المرحلة الختامية.

لقد بينت خبرة اعوام ١٩١٧-١٩١٩ أن الثورة البروليتارية لا يمكن ان تنصر كذلك تحت قيادة الاحزاب التوفيقية الوسطية للطبقة العاملة. ففي المانيا كان الحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل، الذي التزم بالمواقف الوسطية، قد أيد في الواقع الزعماء اليمينيين للاشتراكية الديمقراطية حيث عارض الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين اليساريين في جميع المسائل الاساسية.

وابان نضالات البروليتاريا في برلين (كانون الثاني ١٩١٩) ازاح « الاستقلاليون » الشيوعيين من قيادة الانتفاضة، وبدلاً من الانتقال إلى الهجوم الحازم التزموا بمواقف مترددة ودخلوا في مفاوضات مع الحكومة، الأمر الذي أنعش الثورة المضادة وادى إلى هزيمة الانتفاضة. وفي بافاريا انتقل « الاستقلاليون » المساهمون مع الشيوعيين في الحكومة، إلى المواقف الرأسمالية، بعد ان اصطدموا بصعوبات وعملوا على اخراج الشيوعيين من المناصب الحكومية. وهياً ذلك للثورة المضادة امكانية البدء بهجوم المسلح على

السلطة السوفييتية، بدعم من جيش تعداده ٢٠ ألف محارب بعث به شيديان ونوسكه. وفي ١ أيار ١٩١٩ اجتاحت عصابات الثورة المضادة، بزعامة نوسكه، مدينة ميونيخ ونكلت بالعمال الثائرين تنكيلاً وحشياً.

وهكذا بينت خبرة الثورات الاشتراكية ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية لم تبرر آمال الطبقة العاملة، بل وان جناحها اليميني خان قضية الثورة البروليتارية. وانطلاقاً من خبرة الحركات الثورية في تلك الفترة كتب لينين في تشرين الأول يقول: « ان أعظم المصائب والمخاطر على اوروبا انها يكمن في انعدام الحزب الثوري فيها. فهناك حزب الخونة... وليس هناك حزب ثوري ». كان انعدام الاحزاب العمالية الثورية المتمرسه المحنكة والمتنفذة في البلدان الاوروبية نقطة الضعف الرئيسية في الحركة العمالية، التي انعكست على سير الثورات نفسه. وفي الواقع اخذت الاحزاب البروليتارية الماركسية اللينينية من الطراز الحديد تنشأ في جميع البلدان ابان الثورات نفسها. واضطرت البروليتاريا في جميع البلدان إلى ان تحل أهم مسائل الثورة، لأول مرة، وفي ظروف داخلية ودولية بمنتهى التعقيد. ولم تقدم الحياة للسلطة العمالية لا الوقت الكافي ولا الامكانيات الضرورية للعمل المستقر والادراك العميق والاستخدام الخلاق لخبرة أول ثورة اشتراكية مظفرة، الأمر الذي اسفر عن صعوبات كبيرة أمام الحل الصائب للمسائل المعقدة أصلاً، وولد قدراً غير ضئيل من الصعوبات والاختفاء والهفوات الاضافية.

كان نشاط الاحزاب والجماعات الشيوعية الفتية يعاني من نواقص واخطاء جدية. ومن الامثلة على ذلك خبرة الشيوعيين المجريين، حيث مارسوا عملاً ايجابياً هائلاً لتنفيذ التحولات الثورية في هذا البلد، ولكنهم اقترفوا بعض الاخطاء الملازمة بهذا القدر أو ذاك للثورات الأخرى. كان الخطأ الرئيسي هو استصغار الدور القيادي للحزب الماركسي اللينيني في الثورة الاشتراكية. فلدى تشكل الحزب الموحد للطبقة العاملة لم يسع الشيوعيون المجريون إلى تطهيره من الانتهازيين والوسطيين، وقدموا للاشتراكيين

الديمقراطيين أغلبية المناصب في الهيئات القيادية للحزب. وقد بالغ الشيوعيون في تقدير نفوذ الاشتراكيين الديمقراطيين واستصغروا ميل الشغيلة إلى الماركسية - اللينينية فحلوا الحزب الشيوعي فوراً.

ونظراً لحدائث الحزب الشيوعي وقلة خبرته ولنفوذ الاشتراكيين الديمقراطيين الكبير أعرب لينين عن خشيته على مصير الثورة، إذ رأى في تلك الظروف الملموسة انه لم يكن من الملائم، بالنسبة للشيوعيين آنئذ، ان يقدموا فوراً على تأسيس الحزب العمالي الموحد، بل كان يجب الاكتفاء بالتحالف مع الاشتراكيين الديمقراطيين اليساريين في اطار حكومة سوفيتية. وقال لينين: « ارى في هذا التوحيد خطراً. فقد كان الافضل تأسيس تحالف يحتفظ فيه كل من الحزبين باستقلاله. وكان الشيوعيون سيظلون امام الجماهير، على هذا الاساس، حزباً مستقلاً، وكان بوسعهم ان يضاعفوا قواهم يوماً بعد يوم، يسيروا بالامر، عند الاقتضاء، إلى حد القطيعة فيما اذا لم ينفذ الاشتراكيون الديمقراطيون واجباتهم الثورية ».

ولم ينظم نشاط منظمات القاعدة الحزبية. ولم يكن لهذه المنظمات ممثلون في ادارة المؤسسات الانتاجية المؤممة، ولا في الوحدات العسكرية. وكان تأثير الحزب على النقابات ضعيفاً حيث شن النقابيون البيروقراطيون، المعادون لدكتاتورية البروليتاريا حملة ديماغوجية تحت شعار « أقصى الاجور واقصر يوم عمل » وكانت هذه النداءات قد عرقلت لدرجة كبيرة صنع المنتجات، التي كانت البلاد بأمر الحاجة اليها.

وكانت هناك عدة أخطاء في تنظيم هيئات دكتاتورية البروليتاريا. وكان تشكيل السوفييتات من ممثلي المنظمات الجماهيرية التقليدية، التي كانت الاغلبية فيها تعود للاشتراكيين الديمقراطيين، قد هياً لهؤلاء امكانية ادخال ممثليهم اليها. وفي المؤسسات الانتاجية كانت تقود العمال نقابات خاضعة للقيادة البيروقراطيين من الاشتراكيين الديمقراطيين. ولم ينفذ طوال الوقت المرسوم القاضي بضرورة ترشيح العمال للمناصب القيادية في الجيش الاحمر.

وكان بين المفوضين كثير من الاشتراكيين الديمقراطيين، الذين لم يكونوا ممثلين للعمال الثوريين، بل تواجدوا هناك بالصدفة. وظل قسم كبير من رجال البوليس في الميليشيا الحمراء.

وفي العمل على اعادة بناء الاقتصاد على أسس اشتراكية لم يدرك الشيوعيون المجريون ضرورة وجوه المرحلة الانتقالية، التي اعتبروها قصيرة جداً. وجرى تأميم المؤسسات الانتاجية الصغيرة ولم يتحقق تزويد الحرفيين والمالكين الصغار بالخدمات، وجرى اشراكهم عنوة في التعاونيات الانتاجية. ان هذه السياسة حرمت الثورة من تأييد الفئات المتوسطة من سكان المدن.

وارتكبت اخطاء جديّة في المسألة الزراعية، التي جرى حلها ليس كقضية سياسية، بل كقضية اقتصادية صرف. ولم ينشر مرسوم الاصلاح الزراعي الا بعد اسبوعين من انتصار الثورة. ولم ينص المرسوم على توزيع الاراضي على الفلاحين، وهو ما كان الفلاحون يطمحون اليه وكان من شأنه ان يساعد على كسبهم إلى صف السلطة السوفيتية ودكتاتورية البروليتاريا، بل نص على تأميم الارض واحالتها فوراً إلى تعاونيات الفلاحين الانتاجية في وقت لم يكن هؤلاء مستعدين للانضمام إلى هذه التعاونيات وفلاحة الارض بصورة مشتركة. وقد اصبوا بخيبة أمل من سياسة الحكومة هذه، الأمر الذي استخدمته الثورة المضادة بغية اضعاف السلطة السوفيتية واسقاطها.

وكان يعتقد ان مهمة التعاونيات هي فقط تأمين الانتاج « المتواصل ». ولم يندر ان جرى تعيين مدراء المزارع السابقين مفوضين للانتاج. وفي حالات عديدة كان وجود اللجان العمالية اسماً، وكانت مبادرة الكادحين الثورية في حدها الأدنى. ولم يستطع زعماء الثورة ان يستخدموا انتزاع ملكية الأرض من أجل رفع الوعي الطبقي لدى البروليتاريا الزراعية. ولم يساعد الموقف غير الواضح ازاء المسألة الزراعية الفلاحية على ترسيخ التحالف بين الطبقات العاملة والفلاحين ولم تكن سياسة الشيوعيين المجريين ازاء الفلاحين متميزة. ولم يستطيعوا ان يؤمنوا دعم الفقراء للثورة وتحيد الفلاحين المتوسطين. ونفذت

بشكل غير ثابت ايضاً سياسة التضيق على الكولاك. وبالنتيجة لم يتحسن الفلاحون، بمن فيهم الفقراء، تحسناً كبيراً في أوضاعهم ولم يصبحوا حلفاء للطبقة العاملة في النضال من أجل دكتاتورية البروليتاريا، مما أدى إلى تضيق قاعدتها الاجتماعية.

ولكنه لا بد من أن نرى، وراء كل هذه الاخطاء والهفوات، التي ولدتها لدى الشيوعيين المجريين وغيرهم قلة خبرتهم وتعدد المهام التي واجهوها، ذلك النشاط المتنوع الهائل، الذي مارسوه بين الجماهير بغية تحقيق انتصار الثورة الاشتراكية. ولقد استفادت الطبقة العاملة العالمية من خبرة الجمهورية السوفيتية في المجر، بما فيها الايجابيات والسلبيات. فهذه الخبرة، شأنها شأن خبرة الثورات الاوربية الأخرى في ١٩١٨ - ١٩١٩، انها هي دعامة هامة للحركة الثورية العالمية في وقتنا الحاضر ايضاً.

وفي العديد من البلدان الرأسمالية لم يتحول النهوض الثوري إلى ثورة بروليتارية ولكن النضال الطبقي اتسع وأرتقى إلى درجة جديدة اعلى واكتسب سمات جديدة نوعياً. وبتأثير ثورة اكتوبر العظمى اشتد لدرجة كبيرة نضال الشغيلة في سبيل تلبية حاجاتهم الملحة وفي سبيل تحقيق المطالب الديمقراطية. وأتسم نهوض الحركة العمالية، بعد ثورة اكتوبر، بالتنوع والصبغة الجماهيرية والكفاحية والصمود بشكل لم يسبقه مثيل. واتسع نطاق الحركة الاضرابية. ففي انجلترا ساهم في الاضرابات خلال السنوات الخمس التي سبقت الحرب العالمية الأولى ١,٥ مليون شخص، بينما ساهم فيها خلال السنوات الست التي اعقبت هذه الحرب ٧ ملايين شخص. وفي فرنسا بلغت هذه النسبة حوالى ٩٠٠ الف و ٣,٢ ملايين، وفي المانيا ٢,٢ مليون و ٨,٧ ملايين، وفي ايطاليا اكثر من ٩٥٠ ألفاً و ٥ ملايين. وازداد عدد المضربين في الولايات المتحدة الأمريكية من ١,٢ مليون في عام ١٩١٧ إلى ٤,١٦ مليون في عام ١٩١٩.

وانتشرت على نطاق واسع الاضرابات العامة، التي شملت الامة

بأسرها وكذلك في هذا الفرع أو ذاك من فروع الصناعة، والمظاهرات الجماهيرية. وكان من أكبر الاضرابات اضراب عمال المانيا والنمسا - المجر الذي شارك فيه مليوناً شخصاً في كانون الثاني ١٩١٨. وفي الأول من أيار ١٩١٩ خرج إلى شوارع باريس مليون شغل، وبلغ عدد المساهمين في المظاهرات في فرنسا خلال تلك الايام ٣ ملايين شخص. وفي بريطانيا قامت في عام ١٩١٩ الاضرابات العامة لعمال السكك وعمال المناجم. وكان اضراب ٣٧٠ ألفاً من عمال صهر الفولاذ طوال اربعة أشهر واحدة من أكبر المعارك الطبقة في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي كانون الثاني ١٩١٨ قامت الاضرابات العامة في النمسا وبلاد التشيك وسلوفاكيا واليونان واسبانيا ورومانيا. وبتيجة النضال الطبقي، الذي نشب في الوضع الجديد، وحرز شغيلة عدد من البلدان، لأول مرة، اصدار تشريعات لطائفة من المطالب الاجتماعية والسياسية الهامة. وتجلت في ذلك من جهة تأثير ثورة اكتوبر، تأثير الاشتراكية التي حققت في روسيا السوفيتية مطالب اجتماعية هامة للجماهير الكادحة. فمن المعروف ان الطبقة العاملة المنظمة طرحت قبل ثورة اكتوبر بفترة طويلة مطلب يوم العمل من ثماني ساعات ومطلب الضمان الاجتماعي وغيرهما. ولكن حتى عام ١٩١٧ لم يتحقق في الواقع اي من هذه المهام. الا ان انتصار ثورة اكتوبر، التي ضمنت للطبقة العاملة في روسيا الحقوق الاجتماعية الاساسية، قد أوجد الحوافز الضرورية لدفع البروليتاريا في الغرب إلى المطالبة الحازمة بان تقدم لها ما سعت اليه طوال عشرات السنين. ومن جهة اخرى اضطرت البرجوازية إلى الموافقة على الكثير من مطالب العمال وبتأثير ثورة اكتوبر والنضال الطبقي للعمال في البلدان الرأسمالية.

في عام ١٩١٩ أقر مؤتمر مكتب العمل الدولي، الذي عقد في واشنطن، مشروع اتفاق بصدد تطبيق يوم العمل من ثماني ساعات. وفي السنوات التالية أحرز عمال فرنسا ومانيا والنمسا والمجر وبلجيكا وفنلندا أقرار قوانين لبلدائهم بشأن يوم العمل من ثماني ساعات وبشأن حق الاضراب والعقود الجماعية.

وكانت هذه القوانين جميعاً تتسم بطابع محدود للغاية، فضلاً عن انها كانت تتعرض للخرق الفظ من جانب أرباب العمل. ومع ذلك كان ظهورها انجازاً كبيراً للشغيلة.

تميل البرجوازية والاصلاحيون إلى أن ينسبوا إلى أنفسهم « فضل » الاهتمام برفع مستوى حياة الشغيلة، ساعين لغرس الاوهام الاصلاحية بين العمال. اما في الواقع فان مكاسب الطبقة العاملة في ميدان رفع مستواها المادي انما هي، بالدرجة الأولى، نتيجة لضغط الجماهير الثوري وبتأثير ثورة أكتوبر ومثال التحولات الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي ومن ثم في البلدان الاشتراكية الأخرى. وفي بعض الحالات اضطر إلى الاعتراف بذلك حتى الاشتراكيون - الديمقراطيون أنفسهم. فقد جاء في مقال في المجلة النظرية للحزب الاشتراكي البلجيكي:

« مما لا شك فيه ان الثورة الروسية في عام ١٩١٧ والنهوض العام للحركة الثورية بعد الحرب العالمية الأولى قد أرغما الرأسماليين على الاقدام على العديد من التنازلات للعمال، وهي تنازلات كان من شأنها ان تنتزع بصعوبة بالغة. ولعل الكثير منها لم يكن بالامكان انتزاعه حتى اليوم ».

لقد ظهرت مرحلة جديدة نوعياً لنضال العمال في عدد من البلدان، حيث اخذوا يطرحون شعارات تأميم الفروع الصناعية الاساسية وفرض الرقابة العمالية على المؤسسات الانتاجية والامساك بزمام الامور في المصانع والمعامل. ورداً على غلق المصانع على نطاق واسع من قبل أرباب العمل في ايطاليا احتل العمال في ميلانو عام ١٩٢٠ ٣٠٠ مؤسسة انتاجية. وأقتدى بمبادرتهم الثورية شغيلة روما وجنوه وتورينو ونابولي وغيرها من المراكز الصناعية في البلاد. وأخذ العمال على عاتقهم تنظيم الانتاج ودبروا أمور صنع المنتج بلا انقطاع ونظموا حراسة المؤسسات وأخذوا يشكلون فصائل الحرس الاحمر. وكان الاستيلاء على المصانع والمعامل، على حد تعبير لينين، دليلاً على

اقتراب المعركة الحاسمة للبروليتاريا ضد البرجوازية في ايطاليا من أجل السلطة.

وفي سياق الحركة الاضرابية في انجلترا طالب العمال بتأميم فروع الانتاج الاساسية وفرض الرقابة العمالية. وفي عدد من البلدان (النمسا ويوغسلافيا ورومانيا والنرويج) شكل العمال السوفييتات نواب العمال للنضال في سبيل تلبية حاجاتهم الملحة، ساعين إلى تنظيم حياتهم على أسس جديدة اقتداءً ببروسيا الثائرة.

لقد اثرت ثورة أكتوبر تأثيراً كبيراً على نضال العمال الزراعيين والجماهير الفلاحية، الذين غالباً ما كافحوا في وقت واحد مع شغيلة المدن. وأصبحت الحركة الفلاحية أكثر جماهيرية وتنظيماً وصار الفلاحون يستخدمون طريقة النضال البروليتارية - الاضراب. وفي فرنسا عام ١٩٢٠ شملت حركة العمال الزراعيين والمستأجرين الصغار ٤٤ محافظة. وبنتيجة النضال أحرز العمال الزراعيين زيادة الأجور، بينما أرغم المستأجرون ملاك الاراضي على توقيع عقود الاستئجار بشروط متهاودة. وفي كانون الثاني ١٩١٩ اندلعت الانتفاضة الفلاحية في بيسارابيا.

لقد اتسم نضال الشغيلة في البلدان الرأسمالية بطابع أممي وبطائفة من السمات المشتركة. فقد كان التضامن الاممي الكفاحي مع روسيا الثائرة ومع شغيلة المدن الأخرى، الذين هبوا للكفاح من أجل السلطة، جزءاً لا يتجزأ من ذلك النضال. وفي انجلترا ظهر أكثر من ٤٠٠ لجنة من لجان: « ارفعوا ايديكم عن روسيا »، وترأستها جميعاً اللجنة الوطنية. وأرغم شغيلة انجلترا الحكومة على التخلي عن سياسة التدخل السافر ضد بلاد السوفييت.

وقامت في فرنسا وبلدان رأسمالية أخرى نضالات جماهيرية للتضامن مع روسيا السوفييتية، وشارك في تلك النضالات ملايين الشغيلة. وكانت نضالات الشغيلة في بعض البلدان قد شملت السكك الحديدية والمواصلات البحرية، مما أحبط إرسال السلاح لمكافحة روسيا السوفييتية.

وجرى في عدد من البلدان جمع التبرعات لشراء المواد الطبية والاذنية، من أجل الشعب السوفييتي. واشترى الشغيلة في بلغاريا بأموالهم ٢٠٠ عربية قطار من الحبوب، التي بعثوها إلى شغيلة منطقة الفولغا.

شمل النضال الثوري قوة اجتماعية أخرى هي الجيش، الذي كان، حسب التقاليد، سنداً للأنظمة الاستغلالية وأداة لمكافحة الحركة الثورية. ولأول مرة على السعيد العالمي ساهمت جماهير واسعة من جنود وبحارة القوات المسلحة للبلدان الرأسمالية مساهمة نشيطة في الحركة الثورية. وفي نيسان ١٩١٩ أعلن البحارة والجنود الفرنسيون في سيفاستوبول وأوديسا التمرد ورفضوا إطلاق النار على العمال الروس. وفي طولون وبريست وتولوز طالب البحارة الحربيون والجنود بوقف التدخل ضد روسيا. وحدثت قلاقل في قوات المتدخلين الانجليز. وشملت الحركة الثورية القوات المسلحة التابعة للنمسا وبلغاريا ورومانيا وبلدان أخرى. وبالنتيجة اضطرت فرنسا وإنجلترا وبلدان أخرى إلى سحب قواتها من روسيا.

لقد أبدت بروليتاريا البلدان الأجنبية تضامناً كفاحياً مع شعوب البلدان الأخرى التي هبت للنضال من أجل السلطة. في تشرين الثاني ١٩١٨ قامت في كوينهاجن مظاهرة جماهيرية تأييداً للثورة الألمانية. وفي فرنسا وإيطاليا ويوغسلافيا ورومانيا والنرويج قامت إضرابات التضامن (عام ١٩١٩) مع الجمهوريتين السوفييتيتين في روسيا والمجر. وكان جميع هذه النضالات مساهمة فعالة في قضية الثورة العالمية، التي بدأت. وقد سددت هذه النضالات ضربة شديدة إلى الشوفينية وساعدت على تطوير الاممية البروليتارية وعززت الدولة البروليتارية الأولى على الصعيد الدولي.

وفي سياق النضال، تأييداً للجمهورية السوفييتية، تلاحت بشكل أوّلى مختلف فصائل الحركة العمالية في الدول الرأسمالية. وكان ذلك يعني أن ثورة أكتوبر قد قوت لدرجة كبيرة الطابع الأممي للحركة العمالية جمعاء، وساعدت على تذليل موجة القومية الشوفينية الناجمة عن خيانة زعماء الاشتراكية

الديمقراطية اليمينية في سنوات الحرب العالمية الأولى. لقد بعثت ثورة أكتوبر، بل ووسعت وعززت، الصلات الاممية الثورية بين شغيلة مختلف البلدان.

لقد كان ضغط الجماهير الثوري في العالم الرأسمالي شديداً للغاية. ولكنه لم يستطع ان يطيح بالامبريالية الأوروبية ولا العالمية. فقد تركت أثراً سلبياً في ذلك عفوية نضالات الشغيلة و «ميوعة الطرق والاهداف». وكان مبعث ذلك قلة تنظيم ووعي جماهير العمال وانعدام الاحزاب الماركسية - اللينينية الصامدة وخيانة الزعماء الاشتراكيين الديمقراطيين.

تأثير ثورة أكتوبر على تطور حركة التحرر الوطني والحركة العمالية في بلدان الشرق

أدت ثورة أكتوبر إلى تغيرات هائلة في حركة التحرر الوطني. فقدفتحت أول ثغرة كبيرة في النظام الامبريالي، نظام اضطهاد الشعوب. وانهارت واحدة من اكبر الامبراطوريات الاستعمارية - امبراطورية القيصرية الروسية. وعرضت ثورة أكتوبر في التطبيق العملي مثلاً للسياسة البروليتارية الجديدة ازاء حركة التحرر الوطني. في أول مرسوم للدولة السوفييتية - مرسوم السلام - شجبت السلطة البروليتارية الجديدة بحزم ضم البلدان الصغيرة أو الضعيفة بالعنف إلى الدول الكبيرة أو القوية، بدون تعبير واضح دقيق وطوعي عن موافقة ورغبة شعوبها. وبذلك جرى شجب النظام البريري للنير الاستعماري الذي خلقتة الامبريالية.

في كانون الثاني ١٩١٨ أقرت الحكومة السوفييتية «لائحة حقوق الشعب الكادح والمستغل»، التي كتبها لينين والتي اعلنت عن «... القطيعة التامة مع السياسة البريرية للمتمدّن البرجوازي، الذي بنى رفاه الاستغلاليين لدى أمم مختارة قليلة على حساب استعباد مئات الملايين من السكان الكادحين

في آسيا والمستعمرات عموماً والبلدان الصغيرة ». وتنفيذاً لهذه اللائحة أعلنت الحكومة السوفيتية عن الغاء جميع المعاهدات الجائرة، التي كانت القيصرية قد فوضتها على البلدان الآسيوية.

واذ اعتُقت ثورة أكتوبر الأمم المضطهدة في روسيا القيصرية حفزت بالتالي النشاط التحرري ضد الامبريالية. وإلى جانب ذلك قدمت مثلاً للتطور السريع للمستعمرات السابقة، ومثالاً لحل أعقد القضايا القومية غير المحلولة في ظل الرأسمالية. وعجل ذلك بسرعة أكبر في عمليات التحرر الوطني وبدأت بعد ثورة أكتوبر في أزمة الامبريالية الاستعمارية، التي أدت إلى انهيارها تحت ضربات ثورات التحرر الوطني.

كان انتصار شعوب روسيا على القيصرية قد ساعد على زيادة الوعي الوطني لدى الشعوب المستعمرة وفهمها للامكانية الفعلية لاحتراز النصر على المستعمرين. وخلقت ثورة أكتوبر في شخص الدولة السوفيتية قاعدة لجميع الحركات والقوى المناهضة للامبريالية.

كانت افكار أكتوبر التحريرية والسياسة الخارجية والداخلية لأول دولة اشتراكية في العالم حافزاً حث الملايين من جماهير الشعوب، التي اضطهدتها الامبريالية، على النضال. واجتاحت موجة النضالات التحررية الوطنية العديد من البلدان الآسيوية الافريقية، التي كانت تسيطر عليها الامبريالية.

وفي الصين كانت « حركة ٤ أيار ١٩١٩ » بشيراً للثورة المناهضة للامبريالية والاقطاع. وقد بدأت بنضالات طلبية بكين ضد قرار مؤتمر باريس السلمي عام ١٩١٩، الذي ابقى على الوضع شبه الاستعماري في الصين. وتحولت حركة ٤ أيار ١٩١٩ إلى حركة شعبية شاملة ضد الامبريالية والاقطاع.

وبتأثير ثورة أكتوبر اندلعت الانتفاضة الشعبية في كوريا في آذار ١٩١٩. وهب الشعب الكوري للنضال ضد الغزاة اليابانيين وفي سبيل الاستقلال الوطني. وقامت الانتفاضة تحت شعار: « فليعيش الاستقلال » و « ليسقط الامبرياليون اليابانيون ». وكشف ذلك عن الامكانات الثورية

الكبيرة لدى الشعب الكوري وساعد ممثلي الشعب التقدميين على الانتباه إلى ضرورة النضال المنظم وتأسيس حزب ثوري.

وفي عام ١٩٢١ انتصرت الثورة الشعبية في منغوليا. ودحرت الجيوش الشعبية المنغولية ووحدات القوات السوفيتية بصورة مشتركة القوات المسلحة للثورة المضادة وعززت انتصار السلطة الشعبية. وفي ١٩٢٤ أعلن عن تأسيس الجمهورية الشعبية في منغوليا. وبالاكتفاء على مساعدة الاتحاد السوفيتي قدم الشعب المنغولي خبرة الانتقال من مرحلة التطور ما قبل الرأسمال إلى الاشتراكية بدون المرور بالرأسمالية.

وبتأثير مباشر من ثورة أكتوبر قامت نضالات ثورية جماهيرية للشعب الهندي في ١٩١٩ - ١٩٢٢. وكانت الاحداث في البنجاب في نيسان ١٩١٩ بداية الحركة التحررية الوطنية الجبارة المناهضة للانجليز. في ١٣ نيسان ١٩١٩ أصدر الجنرال البريطاني داي امره باطلاق النار على الناس المتجمهرين في اجتماع حاشد في ساحة جاليا نغالا باخ في (امريتسار). وقتل أكثر من ألف شخص، بمن فيهم الكثير من النساء والاطفال. وجرح أكثر من ألفي شخص. ورداً على ذلك اندلعت الانتفاضة في البنجاب ضد التعسف البريطاني. فقد نظم العمال والحرفيون والبرجوازية الصغيرة والمثقفون والفلاحون هجوماً على دوائر البوليس ودوائر البريد والدوائر الحكومية.

وبينت النضالات في البنجاب والمناطق الأخرى في الهند أن الشعب الهندي غير راض عن طرق النضال السلبية، التي كان يدعو إليها حزب البرجوازية الوطنية - المؤتمر الوطني. واتقنت الجماهير الشعبية بنجاح أشكالاً جديدة للنضال مثل الاضراب العام وحملات الاحتجاجات السياسية وعدم التعاون مع السلطات الاستعمارية والامتناع عن دفع الضرائب وغيرها.

وشملت الحركة الجماهيرية المناهضة للامبريالية في تلك السنوات سوريا ولبنان، حيث اتسمت الحركة القدائية بنطاق واسع، إلى جانب أشكال النضال الأخرى. وفي ١٩١٨ - ١٩٢٤ تصاعد النضال الوطني الثوري في

مصر. ففي آذار ١٩١٩ اتخذ هذا النضال شكل الانتفاضة المسلحة.

في عام ١٩١٩ أحرزت افغانستان استقلالها. وفي ١٩١٩ - ١٩٢٢ نشبت حرب الشعب التركي الوطنية التحررية (الثورة الكمالية). وفي سياق هذه الحرب حلت مهام برجوازية وطنية. وبدعم من أول دولة اشتراكية ذاتت تركيا عن استقلالها. وفي ١٩٢٠ - ١٩٢١ اندلع الكفاح الوطني المسلح، المناهض للامبريالية في ايران. وكان نضال شعوب افغانستان وتركيا وايران قد نسف سيطرة الامبريالية في بلدان الشرق الأدنى.

وقدمت روسيا السوفيتية مساعدة ملموسة تفوق التقدير إلى حركة التحرر الوطني. فبناءً على طلب حكومتي منغوليا وتركيا قدم لهذين البلدين دعم مباشر في نضالهما ضد الامبريالية والثورة المضادة الداخلية. وقال لينين للسفير السوفيتي، الذي توجه آنذاك إلى تركيا: « بوسعنا ان نساعد تركيا رغم فقرنا فقراء. فالامر الرئيسي هو احترام الشعب... وعلينا ان نتصادق مع الشعب ». وقدمت مساعدة كبيرة كذلك إلى الشعب الصيني في نضاله الثوري. وفي السنوات التالية ناضلت بروليتاريا الغرب بنشاط للدفاع عن حق الشعوب المستعمرة في الحرية والاستقلال.

وكان من السهات الجديدة لحركة التحرر في البلدان المستعمرة والتابعة تطوّر الحركة العمالية وتحولها إلى قوة هامة للنضال ضد الامبريالية. وحتى قيام ثورة اكتوبر كانت الطبقة العاملة في بلدان آسيا وأفريقيا قليلة العدد. في الهند، مثلاً، بلغ عدد بروليتاريي المعامل والمصانع مع عوائلهم ثلاثة ملايين شخص، أي ١٪ فقط من سكان البلاد البالغ عددهم ٣٠٠ مليون نسمة. وفي مصر بلغ عدد البروليتاريا ٦٤٠ ألفاً، وفي الصين حوالي ٣ ملايين، وفي تركيا ١٠٠ ألف. ولم تكن لدى الطبقة العاملة في البلدان المستعمرة نقاباتها وأحزابها السياسية، وكانت هذه الطبقة واقعة تحت تأثير الآراء والافكار البرجوازية والبتى برجوازية. وكانت الاغلبية الساحقة من الطبقة العاملة مكونة من عمال يعملون في المؤسسات الحرفية وشبه الحرفية الصغيرة.

وأثرت ثورة اكتوبر تأثيراً كبيراً جداً على الطبقة العاملة والحركة العمالية في البلدان المستعمرة والتابعة. وساعدت على نهوض الحركة الجماهيرية وتنامي الوعي الطبقي وتنظيم البروليتاريا، وغرست في اذهان العمال الثقة بقواهم والايان بان نضالهم يمكن ان يتكلل بالنجاح.

وتجلى ذلك في نهوض الحركة الاضرابية في ١٩١٨ - ١٩٢٢. فخلال اضرابات تلك السنوات طرح العمال ليس فقط المطالب الاقتصادية، بل والمطالب السياسية أيضاً. واتسمت الاضرابات بطابع كفاحي وتحولت إلى اضرابات عامة نشبت خلالها في حالات غير نادرة معارك المتاريس والاشتباكات المسلحة مع البوليس (كما حدث مثلاً في مصر في آذار ١٩١٩). وكانت من الظواهر الجديدة اضرابات تضامن عمال فرع صناعي معين مع العمال المضربين في فرع آخر، أو اضرابات تضامن عمال مدينة ما مع العمال المضربين في مدينة اخرى. وليس نادراً ان امتزجت اضرابات العمال بنضالات الفلاحين في الأرياف المتاخمة للمدن وبنضالات الطلبة والشبيبة في المدن.

وفي عدد من البلدان (الهند والصين ومصر والفليين) قامت نضالات سياسية صرف للعمال: اضرابات عمال السنج في بومباي بمناسبة زيارة أمير ويلز إلى الهند في أواخر ١٩٢١ بمناسبة نشر مشروع الاتفاقية الانكلومصرية، التي نصت على بقاء القوات البريطانية في منطقة قناة السويس، والاضراب المناوئ للامبريالية في شنغهاي في يونيو ١٩١٩، الذي ساهم فيه ٧٠ ألف شخص، واضراب عمال المطابع في الفليين عام ١٩٢٠ احتجاجاً على نشر صحف مانيلا مقالات أهانت كرامة سكان الفيلين الوطنية وهلمجرا.

وكان ظهور الحركة النقابية من نتائج تأثير ثورة اكتوبر على الحركة العمالية في البلدان المستعمرة والتابعة. في عام ١٩٢١ تأسس إتحاد العمل العام في مصر، الذي ضم ١٠٠ نقابة فيها ٦٠ ألف عضو. وفي عام ١٩٢٠ تأسس المؤتمر الهندي العام للنقابات، الذي ضم ٦٤ منظمة نقابية بلغ عدد اعضائها ١٤٠ ألف شخص. وفي الصين ظهرت الحركة النقابية المنظمة في عام

١٩٢٠. وفي مطلع عام ١٩٢٢ عقد في كانتون المؤتمر الأول لنقابات عموم الصين، الذي مثلت فيه ١٠٠ نقابة تضم زهاء ٣٠٠ ألف عامل. وفي اندونيسيا تأسس اتحاد نقابات «وحدة الحركة العمالية». وفي عام ١٩٢٠ كان الاتحاد يضم ٢٢ نقابة عدد اعضائها ٧٢ ألف شخص. وكانت تلك أولى خطوات الحركة النقابية وأولى محاولات اعضاء طابع التنظيم والصيغة الطبقية على نضال العمال.

وكان ظهور وترسخ الاحزاب الشيوعية ايضاً نتيجة طبيعية لنهوض النضال التحرري الوطني وتأثير أفكار وممارسة ثورة اكتوبر وتطور الحركة العمالية في البلدان المستعمرة والتابعة. وأرسى ثورة اكتوبر بداية نشر أفكار الاشتراكية في بلدان الشرق. ودل تأسيس الاحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة والتابعة على بداية مرحلة جديدة اعلى في تطور الحركة التحررية والحركة العمالية. وإلى جانب ذلك تميزت الاحزاب الشيوعية في بلدان الشرق بميزة خاصة. فقد كانت من حيث قوامها الاجتماعي، فلاحية لدرجة كبيرة. وكان من الضروري تكيف النظرية الشيوعية والتكتيك الشيوعي للظروف الخاصة في بلدان الشرق وللمهام الخاصة التي تواجه هذه الاحزاب.

وقد دل الاتساع المنقطع النظير لحركة التحرر الوطني في جميع البلدان المستعمرة والتابعة وطابعها الجماهيري وتنوع أشكال النضال وتصميم الجماهير الشعبية بشكل لا سابق له على الكفاح حتى النصر - دل كل ذلك على أن ثورة اكتوبر دشنت أزمة نظام الامبريالية الاستعماري والمرحلة الجديدة نوعياً للنضال التحرري الوطني. الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية.

لقد استيقظت مئات الملايين من سكان آسيا على الحياة الجديدة. وكتب لينين يقول: «ان استيقاظ آسيا وبداية نضال بروليتارية أوروبا الطليعية من أجل السلطة يعنيان مرحلة جديدة من التاريخ العالمي بدأت في مطلع القرن العشرين. وكسبت الطبقة العاملة، المناضلة في سبيل الاشتراكية، حليفاً في

شعوب المستعمرات والبلدان التابعة. وصارت حركة التحرر الوطني تتحول من حركة محلية مشتتة إلى قوة عالمية حقاً شملت كافة ارجاء المعمورة.

تحول الحركة الشيوعية إلى قوة عالمية حقاً

ودشنت ثورة اكتوبر العظمى كذلك مرحلة جديدة مبدئياً في تطور الحركة الشيوعية العالمية، وبين انتصار هذه الثورة بشكل مقنع للطبقة العاملة العالمية مدى أهمية التنظيم الثوري الكفاحي لها، نعني الطليعية المتمسكة بالمبادئ الماركسية اللينينية حقاً، كما بينت مدى ضرورة الحزب من الطراز الجديد، الحزب اللينيني المرتبط ارتباطاً وثيقاً مع الجماهير والمناضل بثبات في سبيل مصالحها، بالنسبة للحركة العمالية العالمية. واصبح مثال الحزب الشيوعي السوفيتي ونموذج العمل الذي عرضه مناراً يهتدى به العمال المتقدمون في جميع البلدان.

كانت عملية تأسيس الاحزاب الشيوعية نتيجة لتطور الظروف الداخلية في البلدان الرأسمالية، وليس للتدخل من الخارج كما يزعم الايديولوجيون البرجوازيون. على أن ثورة اكتوبر عجلت في تكوين هذه الاحزاب. بعد تشرين أول ١٩١٧ أخذ الوعي والنشاط الثوري لدى الجماهير في انتعاش متسارع في شتى البلدان، كما أخذت تتكون الجماعات الجديدة، الماركسية - اللينينية، ضمن الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية القديمة أو بمعزل عنها. وكان من بين هذه الجماعات «اتحاد سبارتاكوس» في المانيا و «لجنة بعث الصلات الدولية» في فرنسا و «اورذيني نوفو» في ايطاليا وغيرها. كانت تسميات هذه الجماعات وأهدافها الملموسة متباينة، شأن تباين وزنها السياسي ولكن واقم ظهورها وتطورها كان حدثاً مشهوداً، فقد كانت تلك اللبنة في بنية الاحزاب الشيوعية المرتقبة.

وغدا شكلاً فريداً وهاماً جداً لتنظيم الأميين اللينينيين ما سمي

بالجماعات الشيوعية الأجنبية في روسيا، وهي التي تكونت بين أسرى الحرب السابقين وجنود التدخل الأجنبية، الذين أنتقلوا إلى جانب ثورة أكتوبر ومن العمال الأجانب والخ. ولقد مارست الجماعات الشيوعية الأجنبية نشاطاً واسعاً بين الأسرى وبين جنود قوات التدخلين. وساهمت مساهمة كبيرة في النشاط العالمي للألمانيين. وفيما بعد انضم أعضاؤها، كقاعدة عامة، إلى الأحزاب الشيوعية المعنية.

في ١٩١٧ - ١٩٢٠ تشكلت وعملت في روسيا السوفيتية الجماعات التالية لدى الحزب الشيوعي (البلشفي) : الجماعة المجرية والجماعة الرومانية والجماعة الألمانية، والجماعة اليوغسلافية، التي انفصلت عنها فيما بعد الجماعة البلغارية. ثم ظهرت الجماعة التشيكوسلوفاكية، والجماعة الانكلو- فرنسية التي سرعان ما انقسمت إلى الجماعة الفرنسية والجماعة الانكليزية (وتحولت هذه الأخيرة إلى الجماعة الانكلو- أمريكية)، وكذلك الجماعة الإيطالية. وكان كل هذه الجماعات الشيوعية الأجنبية منضوية تحت لواء الاتحاد المركزي للجماعات الأجنبية لدى الحزب الشيوعي (البلشفي). وكان الثوري المجري بيللا كون أول رئيس للاتحاد المركزي المذكور.

وبالإضافة إلى هذه الجماعات عملت في روسيا منظمات غفيرة للشيوعيين البولونيين والفنلنديين ومنظمة «والعدالة» التي ضمت ثوريين من أصل إيراني وجماعة الشيوعيين الأتراك. ثم تكون اتحاد العمال الصينيين في عموم روسيا، وهو الاتحاد الذي أخذت تتكون منه الجماعات الشيوعية الصينية في عام ١٩٢٠.

وأسست الجماعات الشيوعية الأجنبية جرائدها ومجلاتها (وعددها حوالي ١٥٩). وصدرت هذه الجرائد والمجلات في الفترة ١٩١٧ - ١٩٢٠ باللغات المجرية والبولونية والألمانية والتشيكية والسلوفاكية والرومانية والفرنسية والفنلندية والبلغارية والانكليزية والصينية والفارسية وبلغات شعوب

يوغسلافيا. وبالإضافة إلى ذلك صدرت منشورات باللغات اليابانية والعربية والتركية وغيرها.

وفي السنوات الأولى بعد ثورة أكتوبر نشأت الأحزاب الشيوعية في عدة بلدان فقط. ففي عام ١٩١٨ كانت الأحزاب الشيوعية موجودة في ألمانيا والسويد والارجنتين وفلندة والنمسا والمجر واليونان وبولونيا. وتقوى الجناح الثوري في الأحزاب الاشتراكية في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وبلغاريا وسويسرا والنرويج والدانمرك. وكان ذلك دليلاً على تزايد الامكانيات لتأسيس الأحزاب الشيوعية في أغلبية البلدان الرأسمالية.

وحتى كانون الثاني ١٩١٩ كان الوضع في الحركة العمالية الأوروبية وفي العالم أجمع يسمح بطرح مسألة توحيد الأحزاب الشيوعية وكل الأحزاب والجماعات اليسارية الأهمية في منظمة شيوعية عالمية جديدة. وفي مطلع آذار ١٩١٩ تأسست اللجنة الشيوعية الثالثة (الكومنترن) في المؤتمر الشيوعي العالمي، الذي عقد بزعامة لينين.

كان تأسيس الكومنترن، المسلح بأفكار الماركسية اللينينية، بأفكار ثورة أكتوبر، حافزاً حاسماً لتأسيس الأحزاب الشيوعية في العالم أجمع ولزيادة عددها ونفوذها. ونشأت في عام ١٩١٩ ستة أحزاب شيوعية (في بلغاريا والدانمارك وفلسطين، والمكسيك والولايات المتحدة الأمريكية ويوغسلافيا)، ونشأت في عام ١٩٢٠ تسعة أحزاب شيوعية (في أستراليا وبريطانيا ومصر واندونيسيا وإيران وإسبانيا وتركيا وأوروغواي وفرنسا)، ونشأت في عام ١٩٢١ اثنا عشر حزباً (في بلجيكا وإيطاليا وكندا والصين ولوكسمبورغ ومنغوليا ونيوزيلندة والبرتغال ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا وأميركا الجنوبية).

وحتى مطلع عام ١٩٢٢ بلغ عدد الأحزاب الشيوعية في العالم ٣٧ حزباً. لقد غدت ثورة أكتوبر مهد الحركة الشيوعية العالمية المعاصرة. وأشار تولياتي إلى « ان طليعة الحركة العمالية اخذت، اعتباراً من عام ١٩١٧، وبتأثير بلاد الاشتراكية المظفرة، تتظم في أحزاب شيوعية استهدفت مهمة قيادة نضال

جماهير الشغيلة بهدف تحقيق النظام الاجتماعي الجديد وانتصار الاشتراكية في العالم اجمع » .

وفي السنوات الأولى بعد ثورة أكتوبر لم تكن الاحزاب الشيوعية، كما اشار لينين، قد مارست القيادة الفعلية لأغلبية الطبقة العاملة . وكان ذلك امراً طبيعياً . فالاحزاب، المتشكلة حديثاً، كانت فتية ولم تكن كوادرها تملك الخبرة والمعارف اللازمة . يضاف إلى ذلك ان هذه الاحزاب، التي ظهر قسم كبير منها على أساس المنظمات الاشتراكية الديمقراطية، ظلت ترزح تحت عبء المخلفات الاصلاحية وتعاني من مرض « اليسارية » الطفولي . وقدمت إليها الاممية الشيوعية والحزب الشيوعي السوفييتي مساعدة فعالة، بهدف تعزيزها فكرياً وتنظيماً، بما في ذلك استيعاب خبرة ثورة أكتوبر، الأمر الذي ساعد على تحويل الحركة الشيوعية العالمية لاحقاً إلى أكبر قوة سياسية متنفذة في عصرنا .

ثورة أكتوبر بداية عصر جديد في التاريخ العالمي

ان تأثير ثورة أكتوبر المباشر لا يقتصر على التطور العالمي في زمانها . فهي تتسم بأهمية تشمل العصر كله . وبانتصار ثورة أكتوبر بدأ عهد جديد في التاريخ العالمي، بدأ عصر تاريخي جديد هو عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية، والصراع بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين، والثورات الاشتراكية والتحررية الوطنية، وانهيار الامبريالية وتصفية النظام الاستعماري، وانتقال شعوب جديدة متزايدة إلى طريق الاشتراكية، وانتصار الاشتراكية والشيوعية على نطاق العالم اجمع .

واعلن (غاس هول) بمناسبة الذكرى الخمسين لثورة أكتوبر قائلاً :
« لقد افتتحت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عصراً جديداً في التاريخ العالمي هو عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية . ومن اهم السمات الملازمة لهذا العصر واقع ان الطبقة العاملة العالمية والمنظومة الاشتراكية العالمية

تشغلان مكان الصدارة فيه ولا يمكن فهم اية ظاهرة اجتماعية كبيرة في العالم بعد ١٩١٧ بعزل عن تأثير الاشتراكية العالمية على تطور البشرية جمعاء » .

لقد جسدت ثورة أكتوبر بشكل تام القوانين الاساسية للتطور الاجتماعي، التي تحدد المسيرة الحثيثة للتقدم الاجتماعي، وليس ذلك وحسب، بل اثرت ثورة أكتوبر على هذه السنن تأثيراً عميقاً وحفزت مفعولها اللاحق، ووئدت إلى جانب ذلك سنناً جديدة تساعد على التعجيل بالتقدم لدرجة اكبر .

واسفرت ثورة أكتوبر، كما تدل الخبرة التاريخية، عن اعمق التغيرات في نفس سنن التطور الاجتماعي . وهذه التغيرات بالذات هي مبعث التطورات الجديدة في العملية الثورية العالمية جمعاء، وهي التي بدلت طابعها وظروف انطلاقتها .

اولاً - كان العالم كله يعيش، قبل ثورة أكتوبر، حسب سنن المجتمع الرأسمالي، التي حددت السير العام للتطور العالمي . وبعد انتصار ثورة أكتوبر ظهرت، إلى جانب الرأسمالية، المنظومة الاشتراكية الجديدة . فالاتحاد السوفييتي ثم البلدان الاشتراكية الأخرى، صارت تعيش ليس بموجب قوانين الرأسمالية، بل حسب السنن الداخلية لاسلوب الانتاج الجديد الاشتراكي . علماً بان دور هذه السنن الاشتراكية في تزايد مطرد، وان ميدان مفعولها يتسع ويتعمق بقدر نجاحات الاشتراكية العالمية .

ثانياً - بتأثير انتصار ثورة أكتوبر حدثت تغيرات جذرية في الرأسمالية نفسها فبعد ان فقدت الرأسمالية الاحتكار العالمي السياسي ثم الاقتصادي لم تعد قادرة على البقاء بنفس الشكل الذي كانت عليه قبل ثورة أكتوبر . ولقد اشار لينين في حينه إلى ان قوانين تطور الرأسمالية يمكن ان تتكيف بتأثير مختلف الملابس .

ان ظهور النظام الاشتراكي الجديد يعني تضيق مجال مفعول العديد من سنن النظام الرأسمالي .

ثالثاً - كان لابد للصراع بين الاشتراكية والرأسمالية، على الصعيد العالمي، والذي غدا محوراً للتطور العالمي بأسره، ان يؤدي إلى ظهور سنن جديدة تحدد التعامل بين النظامين الاجتماعيين. علماً بأن تأثير الاشتراكية على التطور العالمي يزداد باستمرار. بينما يتضاءل تأثير الرأسمالية على الدوام. وبالنتيجة تهيأت للعملية الثورية العالمية امكانيات اضافية جديدة للتطور. ولئن كانت التناقضات الاجتماعية الاساسية الكامنة في صلب العملية الثورية، قبل ثورة اكتوبر، تتلخص اساساً في التناقض بين العمل والرأسمال، وكذلك بين البلدان الاستعمارية والمستعمرات، فان تطور العملية الثورية بعد ١٩٧١ صار، بالاضافة إلى ذلك، مشروطاً بتناقض اساسي جديد هو التناقض بين الاشتراكية والرأسمالية.

كانت العملية الثورية العالمية قبل ثورة اكتوبر ممثلة في رافدين رئيسيين هما الطبقة العاملة العالمية، وبدرجة اقل، حركة التحرر الوطني. وبنتيجة ثورة اكتوبر ظهر رافد جديد للعملية الثورية هو المنظومة الاشتراكية. وتحول العمل البناء للشعوب، التي سلكت طريق الاشتراكية، إلى العامل الرئيسي في استمرار تعمق ازمة الرأسمالية. وغدا الاتحاد السوفييتي، ثم بلدان الاسرة الاشتراكية، من جهة قوة حاسمة لمواجهة الامبريالية العالمية، ومن جهة أخرى، قاعدة مادية للعملية الثورية العالمية، السمة المميزة للعصر ما بعد ثورة اكتوبر كله.

لقد قطعت العملية الثورية العالمية، بعد ثورة اكتوبر، ثلاث مراحل اساسية. امتدت المرحلة الأولى من ١٩٧١ حتى ١٩٣٩، واتسمت بانتصار الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، وبدء المرحلة الأولى من الازمة العامة للرأسمالية، ونضال الطبقة العاملة في بلدان الرأسمالية ضد الحرب العالمية الجديدة وضد الفاشية ودفاعاً عن الاتحاد السوفييتي دون التدخل الامبريالي وفي سبيل حقوقها الاقتصادية والسياسية، وازمة نظام الامبريالية الاستعماري وبداية ثورات التحرر الوطني في بلدان الشرق، وظهور وتطور

الاحزاب الشيوعية وتحول الحركة الشيوعية إلى قوة عالمية. وبنتيجة هذه المرحلة توطدت الاشتراكية في بلد واحد وتهيأت ممهّدات انتصار الثورات الاشتراكية في بلدان أخرى.

وقد تميزت المرحلة الثانية (١٩٣٩ - اواسط الخمسينات) بالاشتباكات الحاسمة بين قوى الاشتراكية وقوى الرأسمالية، ابان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وبعدها، خلال «الحرب الباردة». وبنتيجة الحرب العالمية الثانية منيت بالهزيمة القوى الامبريالية المعاصرة الاشد رجعية، أي الفاشية، بينما احرزت الاشتراكية، الممثلة بالاتحاد السوفييتي، نصراً مبنياً. وكان ذلك من بواعث الثورات الديمقراطية الشعبية والاشتراكية في عدد من بلدان اوربا وآسيا، مما وفر المقومات لنشوء المنظومة الاشتراكية العالمية. وبنى في الاتحاد السوفييتي المجتمع الاشتراكي المتطور وانشئت اسس الاشتراكية في بلدان الديمقراطية الشعبية. وفي اطار الاسرة الاشتراكية تم تأمين انتصار الاشتراكية كلياً. ودخل العالم الرأسمالي المرحلة الثانية من ازمته العامة. واحرزت الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية انتصارات كبيرة في النضال من أجل مصالحها الحيوية وفي سبيل الديمقراطية والسلام والحرية. ومن جراء اندلاع ثورات التحرر الوطني بدأ انهيار نظام الامبريالية الاستعماري. وازداد لدرجة كبيرة جداً نفوذ وهيبة الحركة الشيوعية العالمية. واندجت قوى العصر الحاضر الثورية الثلاث في رافد واحد جبار يحطم النظام الرأسمالي خطوة فخطوة. وفي هذه المرحلة تهيأت الظروف للتغير الجذري في تناسب القوى العالمية لصالح الاشتراكية ولما يلحق الضرر بالرأسمالية.

وتتميز المرحلة الثالثة (النصف الثاني من الخمسينات حتى اليوم)، أي المرحلة الراهنة، بتحول المنظومة الاشتراكية العالمية تدريجياً إلى العامل الحاسم للتطور العالمي، واستمرار ضعف الرأسمالية، التي تمر بالمرحلة الثالثة من ازمته العامة، ونهوض النضال الطبقي للبروليتاريا والحركات الديمقراطية في البلدان الرأسمالية، والانتصارات الجديدة للثورات الديمقراطية والاشتراكية. وشرع

الاتحاد السوفييتي ببناء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية، بينما شرعت اغلبية البلدان الاشتراكية الأخرى ببناء المجتمع الاشتراكي المتطور. وبنتيجة ثورات التحرر الوطني انهار نظام الامبريالية الاستعماري، واختارت عدة بلدان متحررة اتجاه التطور الاشتراكي وتحول الحركة المناهضة للامبريالية لدى شعوب المستعمرات السابقة تحولاً متزايداً إلى النضال في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي التام. وهياً تناسب القوى الجدد في العالم امكانية درء الحرب العالمية وساعد على الانتقال من « الحرب الباردة » إلى الانفراج الدولي. وتحولت الحركة الشيوعية العالمية إلى أكبر قوة سياسية متنفذة في عصرنا.

لم يسر تطور العملية الثورية العالمية بعد ثورة اكتوبر في خط مستقيم. فقد صادف في طريقه تعرجات وطفرات إلى الامام وتراجعات. ويعود ذلك إلى العمليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العميقة وإلى السنن المتنوعة للتطور الاجتماعي. فالامبريالية لا تسلم مواقعها بدون معركة، وهي تقاوم مقاومة نشيطة. « بيد ان الاتجاه الرئيسي لتطور البشرية التقدمي، الذي رسمته ثورة اكتوبر، قد ترسخ على نحو وطيء: وان مضمونه الرئيسي واتجاهه الرئيسي وخصائصه الرئيسية تحددها الآن المنظومة الاشتراكية العالمية والقوى المناضلة ضد الامبريالية وفي سبيل اعادة بناء المجتمع على اسس اشتراكية - كما جاء في موضوعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي بمناسبة الذكرى الخمسينية لثورة اكتوبر. ان العالم يسير دون رجعة في طريق الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

ان مسألة الأهمية التاريخية العالمية لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وتأثيرها على التطور العالمي وعلى مجمل العملية الثورية ليست ابداً مسألة ذات طابع اكااديمي صرف. فهي قضية يدور حولها صراع ايديولوجي وسياسي طاحن. وقد قال بريجنيف، في تقريره عن الذكرى الخمسينية لثورة اكتوبر: « ان احداث الماضي تثير مواقف متباينة ازاءها. في البعض منها لا يمكن ان نرى غير صفحات من التاريخ، بالرغم من انها صفحات هامة ذات عبر.

والبعض الآخر يظل حتى بعد عقود من السنين بمثابة جزء من يومنا الحاضر ويحظى ليس باهتمام المؤرخين فقط، بل واهتمام جميع الذين يساهمون في الصراع السياسي في ايامنا هذه. ومن هذه الاحداث بالذات ثورة اكتوبر.

من المعروف ان الايديولوجيين البرجوازيين يدافعون حتى الآن عن الموضوعة القائلة بان ثورة اكتوبر كانت من بنات الصدفة وكانت نتيجة « لتلاقي المالبسات قضاء وقدر ». فقد زعم البروفسور شايبرو استاذ العلوم السياسية في جامعة لندن، في مقالة بعنوان « مسألة الثورة الروسية غير المحلولة » ان انتصار ثورة اكتوبر كان ظاهرة من قبيل الصدفة وناجمة عن العوامل الذاتية فقط - « اصرار البلاشفة » و « الخلافات في صف الليبراليين » و « ضعف الحكومة المؤقتة ». وعلى اساس مثل هذه المزاعم يخلص ايديولوجيو البرجوازية إلى « استنتاج » يقول: ان منجزات ثورة اكتوبر عابرة غير ثابتة، وان النظام الجديد سيختفي من سطح الارض عاجلاً ام عاجلاً.

ثم ان قضايا ثورة اكتوبر هي مادة للنقاش داخل الحركة العمالية. فمن المعروف ان الزعماء الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين عرضوا، منذ اليوم الثاني لثورة اكتوبر، موضوعات شبيهة جداً، من حيث الجوهر، بآراء الايديولوجيين البرجوازيين. فقد تحدث الاشتراكي الديمقراطي الالمانى الكبير شيديمان، في مذكراته عن كيفية مناقشة حصيلة ثورة اكتوبر، في الاوساط القيادية للاشتراكية الديمقراطية العالمية. لقد بعثت هذه الاوساط إلى روسيا السوفييتية واحداً من زعماء الاشتراكية الديمقراطية الدانمركية، وهو بورغبرغ، لكي يتفقد سير الامور ويحدد موقف الاشتراكية الديمقراطية من الثورة الروسية. وعندما عاد بورغبرغ من عاصمة روسيا الثائرة اعرب عن استنتاجه بان الثورة الروسية نجمت عن الظلم العنيف، الذي مارسه النظام القيصري، وبانها غير مرتبطة بالعمليات الموضوعية، التي تستدعي اجراء تحويلات اجتماعية جذرية. واتفق زعماء الاصلاحية الآخرون مع هذا الاشتراكي الديمقراطي في موقفه هذا اتفاقاً تاماً.

واليوم يتهم على منجزات ثورة أكتوبر ليس الايديولوجيون البرجوازيون والاصلاحيون وحدهم، بل وكذلك ايديولوجيو جماعة ماوتسي تونغ. فهم يزعمون بأن عملية تطور المجتمع الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى تؤدي إلى « البرجزة » و « بعث الرأسمالية »، وبذلك يرفضون حتمية الطريق الذي شقته ثورة أكتوبر امام الشعوب.

على ان الحياة دحضت بسطوع اختلاقات النظريين الاشتراكيين اليمينيين ومزاعم ايديولوجي الماوية على حد سواء. ان مجمل سير التطور التاريخي يؤكد بان الطريق، الذي شقته ثورة أكتوبر، هو الطريق الصائب الوحيد لجميع البلدان. وطوال نصف قرن ونيف سلكت هذا الطريق شعوب تشكل اكثر من ثلث البشرية. وقد احرزت هذه الشعوب نجاحات باهرة في بناء الحياة الجديدة. وتتوق الآن إلى المثال الأعلى، الذي ابدعته ثورة أكتوبر، شعوب جديدة متزايدة في جميع القارات. وان قوة مثل وطن الثورة الاشتراكية المظفرة، بالنسبة لهذه الشعوب، منار المستقبل الذي لا يخجو.

ان ثورة أكتوبر ماثرة عظيمة للشعب السوفييتي، وهي كذلك ملك مشترك للحركة الشيوعية والثورية جمعاء وتجسيد لمطامح البشرية الازلية إلى المثل العليا، مثل السلام والعمل والحرية والمساواة والاخوة والسعادة لجميع الشعوب. وتحت راية هذه المثل اجتازت الحركة الثورية العالمية طريقاً طويلاً. وبالرغم من الصعوبات الكثيرة، التي لاتزال قائمة ستنصر قضية ثورة أكتوبر في العالم اجمع.

* * *

الفصل السادس

تأسيس الامة الشيوعية. وضع استراتيجية وتكتيك

الحركة الشيوعية العالمية في

١٩٢٨ - ١٩١٩

تأسيس الامة الشيوعية. مبادئها الفكرية والتنظيمية

كان افلاس النظرية الثانية وخيانة العديد من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية لمصالح الطبقة العاملة وقضية الثورة قد اضعف لدرجة كبيرة جداً قوى الحركة العمالية العالمية واوجد اعنف ازمة فيها، في وقت دعت الضرورة إلى رفع مستوى نشاط الطبقة العاملة في سنى الحرب العالمية، وكانت امكانات النشاط الثوري الناجح في نمو مطرد، وفي وقت كان مستقبل البشرية جمعاء يتوقف إلى حد كبير على استثمار هذه الامكانات وقد طرحت الحياة نفسها فكرة تأسيس احزاب ثورية للطبقة العاملة، بدلاً من الاحزاب الانتهازية، وتأسيس منظمة ثورية عالمية جديدة لبروليتاريا جميع البلدان، بدلاً من الامة الثانية المفلسة.

وكان لينين وبلاشفة روسيا اكثر المناضلين حزماً وثباتاً في سبيل تأسيس احزاب جديدة للطبقة العاملة في سبيل تأسيس الامة الثورية للعمال. وكانت فكرة تأسيس امية جديدة قد طرحت، لأول مرة، في بيان اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، الذي كتبه لينين في تشرين الثاني ١٩١٤. وفي سنوات الحرب العالمية الأولى بذل لينين وبلاشفة جهوداً

هائلة لرص صفوف جميع القوى الثورية حقاً للطبقة العاملة في مختلف البلدان. وسعوا إلى ذلك في لندن وبيرن عام ١٩١٥ وفي المؤتمرين الاشتراكيين العالميين في زيميروالد (ايلول ١٩١٥) وكيوتال (١٩١٦).

ولكن في البداية لم تفهم ضرورة تأسيس احزاب جديدة للطبقة العاملة ولم تؤيد فكرة تأسيس الامة الثالثة الا مجموعات غير كبيرة من الاعميين اليساريين.

وبعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى تغير الوضع لدرجة كبيرة: فقد اخذت افكار حزب البلاشفة، افكار اللينينية، تنتشر بسرعة في الحركة العمالية العالمية. وساعد النهوض الجبار الذي بدأ في الحركة الثورية وحركة التحرر الوطني في العالم اجمع على ميلاد احزاب بروليتارية من طراز جديد وعجل في نضوج المهدات الفعلية لتأسيس الامة الثالثة.

كانت متطلبات الحركة الثورية العالمية، وخصوصاً في ظروف الهجوم الذي بدأ ضد الرأسمالية، والخبرة التاريخية للتضامن البروليتاري العالمي (الامة الاولى والثانية) وتوحيد الجهود العالمية للامبريالية ضد روسيا السوفيتية وضد الحركات الثورية في البلدان الأخرى - كل ذلك امل على الطبقة العاملة وطلبتها الشيوعية ضرورة تعزيز تلاحمها على الصعيد العالمي. ثم ان الاحزاب الشيوعية الفتية التي تأسست توات كانت ضعيفة وقليلة الخبرة ولم تستطع ان تحل بنجاح تلك المهمات الجبارة، التي طرحها التاريخ عليها. وفي هذه الظروف كان افضل شكل لحل مهمة تعزيز الاحزاب الشيوعية فكرياً وتنظيمياً ووضع استراتيجية وتكتيك صائبين لها هو توحيدها في منظمة شيوعية عالمية مترابطة. وكانت مثل هذه المنظمة مدعوة إلى تربية وفولدة الاحزاب البروليتارية الجديدة الطراز واعدادها للنضال الناجح في سبيل انتصار الثورة البروليتارية العالمية.

ولذلك قام حزب البلاشفة بخطوات عملية نحو تأسيس الامة الجديدة. ففي كانون الثاني ١٩١٨ عقد في بتروغراد أول اجتماع عالمي

للشيوعيين والاشتراكيين اليساريين، وقرر الاجتماع عقد مؤتمر للاحزاب والمنظمات العمالية اليسارية. وفي كانون الثاني ١٩١٩ عقد في موسكو الاجتماع العالمي الثاني، الذي أقر بالاجماع اقتراح لينين بعقد المؤتمر التأسيسي للامة الثالثة في القريب العاجل.

وفي الوقت الذي كانت الحركة الشيوعية فيه تنمو في العالم اجمع، وكانت مسألة تنظيم مركز للحركة الثورية العالمية في محط الانظار، عمل زعماء الامة الثانية على اعاقه تأسيس الكومنترن. ولهذا الغرض عقدوا مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية اليمينية في بيرن (٣ - ١٠ شباط ١٩١٩) واعلنوا عن تشكيل امية بيرن.

بيد ان ذلك لم يستطع الحيلولة دون تأسيس الامة الشيوعية. وعقد المؤتمر الأول للكومنترن في آذار ١٩١٩ في موسكو، وساهم في اعماله ٥٢ مندوباً عن ٣٥ منظمة في ٢١ بلداً. وكان من بين المساهمين في المؤتمر ممثلون عن الاحزاب الشيوعية في روسيا والمانيا والنمسا والمجر وفلندة وبلدان اخرى، وكذلك عدد من الجماعات الشيوعية والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية. وكان اهم قرار للمؤتمر الأول هو القرار الخاص بتأسيس الامة الشيوعية. وهكذا تكمل بالنجاح نضال لينين والبلاشفة وجميع العناصر الثورية حقاً في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية من أجل تأسيس الامة الجديدة، الثالثة.

وكان من النقاط الرئيسية في جدول اعمال المؤتمر الأول مناقشة واقرار منهاج المنظمة الشيوعية العالمية. وتضمن المنهاج تقييماً للعصر الجديد، الذي بدأ بعد انتصار ثورة اكتوبر باعتباره عصر « تفكك وانهار النظام الرأسمالي العالمي بأسره » وعصر « الثورة البروليتارية الشيوعية ». وصار هذا التقييم اللينيني للعصر الجديد قاعدة نظرية حددت الكومنترن على أساسها مهمات البروليتاريا واحزابها الثورية ووضعت استراتيجيتها وتكتيكها في النضال.

وأشار المنهاج إلى حتمية الثورة البروليتارية وحلول الاشتراكية محل الرأسمالية. وأكد ان اقامة دكتاتورية البروليتاريا صارت مهمة مباشرة في العديد

من البلدان الرأسمالية، وإن إقامة سلطة العمال ليست عملاً بسيطاً لاستبدال حكومة بأخرى، بل هي تعني تحطيم جهاز الدولة البرجوازي القديم وإنشاء نظام الدولة البروليتاري الجديد.

وجاء في المنهاج أن دكتاتورية البروليتاريا ليست هدفاً بذاتها، بل هي وسيلة لتحرير الطبقة العاملة والشغيلة جميعاً من كل أنواع الاضطهاد والاستغلال. وإن أقرب هدف اقتصادي للبروليتاريا هو تصفية سيطرة الملكية الخاصة للاقطاعيين والرأسماليين وإحالة ادوات الانتاج ووسائله الأساسية إلى العمال.

ودعا المنهاج إلى إقامة تحالف الطبقة العاملة مع افقر الفلاحين والفئات شبه البروليتارية من سكان المدن والارياف وإلى إقامة صلات وثيقة بين الحركة العمالية في البلدان المتطورة اقتصادياً وبين حركة التحرر الوطني للشعوب المضطهدة وإلى تعزيز التحالف الاخوي والمساعدة المتبادلة بين الجمهوريات الاشتراكية.

وهكذا حدد المنهاج الوجه السياسي للاممية الثالثة باعتبارها منظمة ماركسية - لينينية ثورية عالمية.

واتسمت باهمية فائقة للكونمترن وللحركة الشيوعية جمعاء مناقشة المؤتمر الأول لموضوعا وتقرير لينين « بصدد الديمقراطية البرجوازية ودكتاتورية البروليتاريا ». فلغرض مواجهة النهوض الثوري الجبار، الذي ولدته ثورة اكتوبر، شددت البرجوازية وعملاؤها في الحركة العمالية التهجعات على دكتاتورية البروليتاريا دفاعاً عن الديمقراطية البرجوازية. علماً بان حماة النظام الرأسمالي استعانوا بمفهوم « الديمقراطية عموماً » و « الدكتاتورية عموماً ». وفضح لينين بطلان طرح المسألة على هذا النحو غير الطبقي. فالديمقراطية البرجوازية. كما بين لينين، تخدم مصالح الاستغلاليين، وهي اداة لقمع الطبقة العاملة وجاهير الشغيلة على يد حفنة من الرأسماليين. وفي الوقت ذاته علل لينين من كل الوجوه الرأي القائل بان دكتاتورية البروليتاريا وشكل دولتها

في روسيا - السلطة السوفييتية - هما ارقى شكل الديمقراطية، الديمقراطية البروليتارية.

ولقد ساعدت مناقشة مسألة الديمقراطية البرجوازية ودكتاتورية البروليتاريا على تخليص الشغيلة من تأثير الايديولوجية الاصلاحية وعززت لديهم الثقة بضرورة النضال ضد سيطرة البرجوازية، من أجل سلطة الطبقة العاملة. وأشار القرار الذي اتخذته بصدد تقرير لينين، إلى أن مهمة الاحزاب الشيوعية تتلخص في أن تبين لجاهير الطبقة العاملة الواسعة ضرورة الديمقراطية البروليتارية الجديدة، في أن تنشر وتنظم السوفييتات بين العمال والجنود والبحارة والعمال الزراعيين الفقراء وتكسب اغلبية شيوعية ثابتة في السوفييتات. وهكذا فإن هذا القرار وجه الشيوعيين نحو تنظيم النضال المباشر في سبيل دكتاتورية البروليتاريا. وروعت فيه عبر ودروس الماضي. وكانت موضوعات لينين كذلك رداً على تشبث كاوتسكي بالديمقراطية البرجوازية.

لقد أقر النظام الداخلي الأول للكونمترن في المؤتمر الثاني عام ١٩٢٠، وحدد النظام اهداف الكونمترن وبنيته واسسه التنظيمية. واستند تنظيم الكونمترن إلى مبدأ المركزية الديمقراطية. وبموجب النظام الداخلي بنيت الكونمترن باعتبارها اتحاداً للاحزاب الشيوعية والمنظمات الأخرى المتصلة بها (الاممية النقابية الحمراء) وائمة الشبيبة الشيوعية والخ). وكانت هذه جميعاً فروعاً للكونمترن. وكانت هيئته العليا هي المؤتمر العالمي الذي يعقد مرة كل عام. وكان المؤتمر العالمي مخولاً بحق وضع برنامج الكونمترن ومناقشة وحل اهم المسائل البرنامجية والتكتيكية وتحديد عدد الاصوات المقررة وانتخاب الهيئة القيادية للكونمترن - اللجنة التنفيذية وكانت هذه اللجنة تتكون من ممثلي عدد من الاحزاب الشقيقة. فبناء على قرار المؤتمر الأول ضمت اللجنة التنفيذية ممثلي الاحزاب الشيوعية في روسيا الاتحادية والمانيا والنمسا والمجر وبلدان البلقان وسويسرا والبلدان الاسكندنافية وكانت اللجنة التنفيذية للكونمترن هيئة جماعية للاحزاب الشيوعية. وكانت اغلبية اعضاء اللجنة ممثلين عن

الاحزاب الشيوعية في بلدان العالم الرأسمالي.

لقد مارست اللجنة التنفيذية ادارة مجمل عمل الكومنترن في الفترة بين مؤتمرات. وكانت تصدر مجلة « الاممية الشيوعية » وتنشر النداءات وتصدر التوجيهات إلى فروع الاممية وكان بوسعها ان تؤسس في مختلف البلدان مكاتبها الادارية وغيرها من المكاتب المساعدة. وكان النظام الداخلي يلزم جميع فروع الكومنترن بواجب طبع جميع قرارات مؤتمرات الكومنترن ولجنتها التنفيذية. وحدد النظام الداخلي الأول للكومنترن المبادئ الاساسية فقط للمركزية الديمقراطية وكذلك وظائف مؤتمر الكومنترن ولجنتها التنفيذية. وقد جرى ايضاح هذه المبادئ في النظاميين الداخليين اللذين اقترهما الكومنترن في ١٩٢٤ و ١٩٢٨.

ونوقشت في المؤتمر الثاني للكومنترن كذلك مسألة هوية الاحزاب التي يمكن ان تنضم إلى الكومنترن. واستحسن المؤتمر القرار الخاص بشروط الانتساب إلى الكومنترن (الشروط ال ٢١)، وهو القرار الذي وضع لينين مسودته. تضمن هذا القرار الشروط الاساسية التي ينبغي ان تتوفر في الحزب المنتسب إلى الاممية الشيوعية.

وهذه الشروط هي: الاعتراف بدكتاتورية البروليتاريا، باعتبارها المبدأ النظري والعملي الرئيسي للماركسية، القطيعة التامة مع الاصلاحيين والوسطيين وطردهم من صفوف الاحزاب، التوفيق بين طرق النضال العلنية والسرية، العمل المنتظم في الريف والجيش والنقابات والبرلمان، اقامة الديمقراطية باعتبارها المبدأ التنظيمي الرئيسي للحزب، التزام الحزب بقرارات مؤتمرات ودورات الكومنترن وهيئاته القيادية، دعم كل جمهورية اشتراكية. كانت « الشروط ال ٢١ » أساساً تنظيمياً وسياسياً لنشاط الكومنترن وفروعها. وكان اقرارها قد أصبح عائقاً امام تسرب الانتهازيين اليمينيين والوسطيين إلى الكومنترن.

وفي الوقت ذاته لم تضع هذه الشروط اية عراقيل امام الاحزاب

والمنظمات الثورية حقاً للطبقة العاملة. وبالعكس، كان هدفها هو جعل الكومنترن تضم القوى الكفاحية الثورية في العالم اجمع. وقد راعت الكومنترن في النظام الداخلي وفي الشروط ال ٢١ الخبرة التي جمعتها المنظمات العمالية العالمية، بما فيها الاممية الأولى والاممية الثانية. لقد راعت كل ما هو ايجابي واستكملته طبقاً للظروف الجديدة، وألقت جانباً كل ما هو سلبي. واصبحت الاممية الشيوعية منظمة عالمية حقاً. وصارت منذ لحظة تأسيسها منظمة ليس فقط لبروليتاريا الدول الرأسمالية، بل كذلك للجماهير الشغيلة في البلدان المستعمرة والتابعة. ففي المؤتمر الأول للكومنترن حضر شيوعيون من تركيا وايران والصين وكوريا.

كتاب لينين (مرض « اليسارية » الطفولي في الشيوعية)

لقد ساعد تأسيس الكومنترن على استمرار نمو وتعزيز الاحزاب الشيوعية بيد ان الاحزاب الشيوعية وتعززها فكرياً وتنظيماً ظلاً متخلفين عن المهات الضخمة التي كان يتأتى عليها حلها.

ومما زاد من تعقيدات الوضع انه كان للانتهازيين اليمينيين والايديولوجية والسياسة الاصلاحيتين نفوذ كبير في صفوف الحركة العمالية، بما فيها بعض الاحزاب التي انتسبت إلى الاممية الشيوعية. وفي ظروف النهوض الثوري اخذ بعض الشخصيات ذوي الميول الاصلاحية في الحزب الاشتراكي الايطالي والحزب الاشتراكي الفرنسي والحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني المستقل وبعض الاحزاب الأخرى يموهون آراءهم ويعلنون عن اعترافهم بمبادئ الاممية سعيًا منهم إلى التسرب إلى صفوفها. وكان ذلك اتجاهاً وسطياً

اعلن انصاره بالاقوال تأييدهم للثورة ولكنهم في الواقع طبقوا سياسة انتهازية كالسابق.

ومن جهة اخرى ظهر في الحركة الشيوعية تيار الشيوعيين « اليساريين » الذين عارضوا الانضباط الصارم في الحزب ورفضوا العمل في النقابات الاصلاحية والتعاونيات وانكروا ضرورة استخدام البرلمان للنضال في سبيل مصالح الطبقة العاملة. وتطلبت مهمات النضال الثوري ردعاً حازماً للانتهازية وتعزيزاً فكرياً وتنظيماً للحركة الشيوعية العالمية ووضع استراتيجية وتكتيك صائبين للحزب الشيوعية.

واتسم باهمية بالغة لحل هذه المهمات كتاب لينين (مرض « اليسارية » الطفولي في الشيوعية)، الذي صدر في صيف ١٩٢٠، لقد أكد لينين في هذا الكتاب ان اكبر خطر على الحركة العمالية هو الخطر الناجم عن الانتهازية اليمينية والاصلاحية والتحريفية. وأشار في الوقت ذاته إلى ظهور خطر آخر في الاحزاب الشيوعية الفتية يتمثل بالجماعات « اليسارية »، التي تنكر ارتباطاً جميع الاشكال القديمة لنضال الطبقة العاملة وتحاول تصوير تكتيكها وكأنه تكتيك ثوري.

لقد صور انصار الشيوعية « اليسارية » انفسهم بمثابة الاتجاه الأكثر ثورية في الحركة الشيوعية العالمية. اما في الواقع فان الشيوعية « اليسارية » تستند، كما بين لينين، إلى الثورية المزعومة. « فاليساريون » كانوا يستترون بالعبارات والنداءات الطنانة على عدم فهمهم للنظرية الماركسية - اللينينية والاستراتيجية وتكتيك النضال الثوري. انهم لم يفهموا ان انتصار الثورة البروليتارية يتطلب ظروفاً موضوعية وذاتية ملائمة. كما لم يفهموا دور الحزب البروليتاري الجديد الطراز. وقد اتضح ضعفهم وانعزالهم عن الجماهير

وعجزهم عن قيادتها وخوفهم من الصعوبات الناجمة عن النضال من أجل اكسب الجماهير. لقد كانت الشيوعية « اليسارية » مظهرًا للجمود العقائدي والانعزالية في الظروف الملموسة آنذاك.

ولم يكتف لينين في كتابه هذا بتبيان بطلان وضرر مواقف الشيوعيين « اليساريين »، بل كشف بصورة عميقة عن الجذور الاجتماعية، التي نجم عنها هذا التيار في صفوف الاحزاب الشيوعية والمنظمات العمالية الأخرى. وأشار لينين إلى ان آراء الشيوعيين « اليساريين » هي مظهر لايدولوجية، وسياسة للبرجوازية الصغيرة في الحركة العمالية، وهي انعكاس لثورية البرجوازية الصغيرة.

وأكد لينين بان المالك الصغير، الذي يحل به الخراب تحت ضغط الرأسمالي الكبير، قادر احياناً على الانتقال إلى المواقف الثورية. ولكن بما انه عاجز عن النضال المرير الصامد الطويل الأمد فهو يطمح إلى ازالة ظلم البرجوازية الكبيرة وبضربة واحدة. وهو لا يتفهم الظروف الفعلية للنضال الطبقي وقوانين الثورة، ويريد ان يحل جميع القضايا انطلاقاً من رغباته ومطامحه الذاتية فقط. وذلك هو مصدر ميل هؤلاء الثوريين البتي برجوازيين إلى العبارات الثورية الطنانة وإلى الشعارات الثورية المتطرفة والنزعة المغامرة.

لقد كانت الشيوعية « اليسارية » انعكاساً لهذه المواقف الثورية المتطرفة لدى العناصر البتي برجوازية في صفوف الطبقة العاملة. وفي تلك الفترة بدت الشيوعية « اليسارية » بمثابة (مرض طفولي) هو مرض نمو الحركة الشيوعية. ولكن لينين حذر من ان هذا المرض يمكن ان يقود الشيوعيين، اذا لم يقهر، إلى عواقب وخيمة جداً وإلى الانفصال عن الجماهير وإلى النزعة المغامرة. وفي معرض فضح الشيوعيين « اليساريين » علل لينين وطور المسائل

الجذرية لنظرية وتطبيق الحركة الشيوعية. وانطلاقاً من خبرة البلاشفة والحركة العمالية بين لينين ان للثورة البروليتارية، اينما قامت، سمات وسنن عامة. وكان اهم هدف لكتاب لينين هذا هو اطلاع جميع الاحزاب الشيوعية على الخبرة الغنية جداً للشيوعيين الروس وعلى استراتيجيتهم وتكتيكهم وعلى « ما يصلح للاستخدام العام وما يتسم بأهمية عامة وما هو الزامي للجميع في تاريخ البلشفية وفي تكتيكها الراهن ».

ان الحزب الشيوعي السوفييتي، الذي نشأ في عام ١٩٠٣ على أساس الماركسية الصلدة، قد قام بنشاط واسع متعدد الجوانب لا مثيل له في تاريخ الاحزاب والحركات السياسية من حيث غنى الخبرة الثورية المكسدة. وقد قال باليروتولياني ان التاريخ لا يعرف حزباً آخر « لديه مثل تلك الخبرة الثورية، التي قادت الشيوعيين الروس إلى انتصار ثورة اكتوبر ».

وفي معرض الحديث عن خلاصة العمل الذي مارسه البلاشفة بين لينين ان حزبنا نبا وتصلب بالدرجة الأولى في النضال ضد العدو الرئيسي في الحركة العمالية، ضد الانتهازية اليمينية، ضد المناشفة. وتقوى الحزب البلشفي كذلك في النضال ضد « ثورية » البرجوازية الصغيرة شبه الفوضوية وضد الانتهازيين « اليساريين »، الذين دفعوا الحزب إلى طريق الانعزالية والانفصال عن الجماهير.

ويؤكد لينين في كتابه هذا ان الشرط الرئيسي لانتصار الطبقة العاملة هو وجود الطليعة الكفاحية ذات الضبط المتين، نعني الحزب الثوري المسترشد بالنظرية الماركسية الخلاقة. ويجب ان يكون هذا الحزب مثلاً في الصمود والانضباط والصلابة والثبات ووحدة الارادة. ويجب ان يخوض النضال ببسالة وحزم ضد النذيين يسعون إلى تشويش صفوفه، وضد مظاهر التهور

البرجوازي وعدم الالتزام بالانضباط.

ويبين لينين بامثلة من تاريخ حزب البلاشفة ان انتصارات الحزب قد امنها صواب القيادة السياسية والاستراتيجية والتكتيك الحكيمين ووحدة الصفوف الحزبية والصلة الوثقى مع الجماهير. وهذا بالذات هو ما ادى إلى انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى.

ويقدم زعيم البروليتاريا العالمية تحليلاً عميقاً مفصلاً للخبرة التاريخية العالمية للثورة الاشتراكية في روسيا السوفيتية. ويركز لينين في هذه الخبرة على السمات الاساسية، التي تتميز بأهمية عالمية، وليس وطنية معزولة ولا روسية صرف. وهذه السمات الالزامية لجميع البلدان هي: دكتاتورية البروليتاريا كطريق إلى المجتمع الجديد اللاطقي، وتحالف البروليتاريا مع جماهير الفلاحين الكادحة كشرط لانتصار الثورة وبناء الحياة الجديدة، والدور القيادي للحزب الشيوعي في النضال من أجل دكتاتورية البروليتاريا والتحويل الثوري للمجتمع. وقال لينين: « ... يبين النموذج الروسي لجميع البلدان شيئاً جوهرياً جداً عن مستقبلها الحتمي غير البعيد ».

وإلى جانب ذلك أكد لينين ان النضال البروليتاري في كل بلد على حدة يتميز بخصائصه الملموسة. ولذلك لا يجوز بأي حال من الاحوال الاستسناخ الجامد لتكتيك الاحزاب الشيوعية في مختلف البلدان وفي مختلف الظروف. ويوصي لينين، باصرار، بدراسة الخصائص المحلية لكل بلد وفحصها باصرار واخذها بنظر الاعتبار. « فالامم جميعاً ستصل إلى الاشتراكية حتماً، كما قال لينين، ولكن كل أمة ستحمل سبها الخاصة في السير إلى هذا الشكل أو ذاك من أشكال الديمقراطية وإلى هذا الشكل أو ذاك من أشكال دكتاتورية البروليتاريا وإلى هذه الوتيرة أو تلك من وتائر التحويلات الاشتراكية لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية ».

وخلافاً للنظرة الذاتية لدى الشيوعيين « اليساريين »، الذين كانوا

يعتقدون بإمكان البدء بالثورة في أية لحظة وفي أي وضع، بجهود حفنة من الثوريين، بين لينين أن الثورة لا تقوم إلا عندما يرفض المحكومون في المجتمع العيش على الطراز القديم ويكونون على استعداد للانخراط في المعركة من أجل تغيير الانظمة القديمة، وحيث تستخدم الازمة العامة وتشمل الامة بأسرها وجميع طبقاتها المستغلة والاستغلالية. فالثورة المظفرة مستحيلة بدون أزمة تشمل الامة بأسرها، ذلك هو قانون الثورة. وكانت هذه الاحكام الليثينية موجهة ضد مبادئ « اليساريين » المغامرة حول « تصدير » الثورة.

ووجه لينين في كتابه هذا جل اهتمامه إلى معالجة مسائل استراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية. وخصص جملة مبادئ عامة للاستراتيجية والتكتيك وبين أن السياسة الحزبية هي علم وفن، وأن الحزب الشيوعي يجب أن يتضلع بجميع اشكال النضال ويمتلك ناصية فن استبدال احد أشكال النضال بآخر.

ودعا لينين الاحزاب الشيوعية إلى البحث عن الاشكال الملموسة في النضال شطر الثورة البروليتارية والانتقال إليها وفي توجيه الجماهير طبقاً لتجربتها السياسية. والقى الاضواء بالتفصيل على مسائل تكتيك الشيوعيين ازاء النقابات الاصلاحية والبرلمانات البرجوازية والاتفاقات والتحالفات مع الاحزاب والمنظمات الأخرى.

ويعرض المؤلف اللينيني العبقري هذا الاهمية الكبيرة، التي تكتسبها مهمة كسب الجماهير وتعزيز الصلات معها بالنسبة لكل حزب شيوعي. وأكد لينين أن على الحزب أن يمارس العمل بين الجماهير عبر مختلف المنظمات لكي يستطيع مواكبة آراء واتجاهات الجماهير والاستجابة لمطالبها وقيادتها.

وفي معرض الكشف عن الاخطاء الانعزالية لدى الشيوعيين « اليساريين »، الذين رفضوا العمل في النقابات بحجة كونها رجعية، كتب لينين: « ينبغي التفاني في العمل لاتقان مختلف اساليب النضال ولتذليل كل المصاعب، لتنشيط الدعاية بصورة منتظمة ودؤوبة مثابرة وصبورة في المؤسسات

والجمعيات والاتحادات، التي يوجد فيها جمهور بروليتاري أو شبه بروليتاري، مهما كانت مغرقة في الرجعية ». ان التخلي عن العمل في المؤسسات والاتحادات يؤدي إلى انزوال الحزب عن الجماهير ويؤدي، في الواقع، إلى هلاك الحزب، وذلك لأنه لا يمكن أن يوجد بدون الصلة الوثيقة الحية مع الجماهير.

وأوضح لينين باصرار أن النقابات في الغرب هي منظمات جماهيرية للطبقة العاملة رغم أنها واقعة، لجملة اسباب، في أسر الاصلاحية. وينبغي النضال بانتظام ضد الانتهازية في النقابات، تلك الانتهازية التي هي انعكاس لميول « الارستقراطية العمالية » ونتيجة لقيادة الزعماء الاصلاحيين والرجعيين لتلك النقابات.

واستناداً إلى الامثلة الملموسة من تاريخ الحزب البلشفي بين لينين مدى أهمية العمل في النقابات بالنسبة للشيوعيين بغية تقوية الصلات مع الجماهير. وكتب يقول: « ... ان مهمة الشيوعيين هي اتقان العمل لاقناع المتخلفين ورفع مستواهم، وليس التنصل عنهم بشعارات صبيانية مفتعلة و « يسارية ».

وقال لينين: طبيعي أن من الاسهل على المرء أن يكون « مفرطاً في الثورة » وأن لا يعمل في النقابات الرجعية ولايساهم في البرلمانات البرجوازية. ... الخ، ولكن ذلك يعني التخلي عن النضال في سبيل كسب الجماهير والانفصال عن أولئك الذين يتوجب على طليعة الطبقة العاملة أن تقودهم، والذين لا يمكن بدونهم تحقيق أي نصر جدي في النضال من أجل الاشتراكية.

ان العمل بين الجماهير يتطلب من الشيوعيين القدرة على أن يكونوا مرنين في مسائل التكتيك، كما يتطلب التضلع بفن السياسة والفهم الصائب لمهامهم التاريخية. وفي عام ١٩٢١ أوضح لينين، في مسودة الموضوعات « حول

دور ومهام النقابات في ظروف السياسة الاقتصادية الجديدة»، مفهوم
« الصلة مع الجماهير »:

العيش مع الجماهير

معرفة كل شيء

فهم الجماهير

القدرة على التقرب منها

كسب ثقتها المطلقة

عدم انفصال القادة عن الجماهير المقلدة، والطليعة عن مجمل جيش
العمل...

عدم التزلف إلى الجماهير، وعدم الانفصال عنها.

تبين هذه السطور اللينينية الموجزة. المعبرة. مدى أهمية العمل النشط
بين الجماهير وتربيتها وتنظيمها بالنسبة للشيوعي. لقد أصبحت توجيهات لينين
هذه وصية ومرشداً للعمل بالنسبة للأحزاب الشيوعية والعمالية، التي تمارس
عملاً نشيطاً بين الجماهير، بما في ذلك بين النقابات في شتى الاقطار. وانطلاقاً
من الوضع الملموس ترسم الأحزاب الشيوعية وتطبق تكتيكها، كما علمها
لينين، بغية رفع المستوى العام للوعي البروليتاري والثورية والقدرة على
النضال وعلى تحقيق النصر.

لقد انتقد لينين بشدة « اليساريين » الألمان والهولنديين، الذين اجابوا
بالنفي على مسألة المساهمة في البرلمانات البرجوازية. وكتب يقول « ان المساهمة
في الانتخابات البرلمانية وفي النضال من منبر البرلمان الزامية لحزب البروليتاريا
الثورية... ». وعلمنا استخدام الانتخابات النيابية ومنبر البرلمان على
الطريقة الثورية - الشيوعية لصالح الطبقة العاملة.

وعلمنا ان الشيوعيين، اذ ييغون المبدئية في النضال الايديولوجي وفي
الدود عن مواقعهم الفكرية وعدم التسامح مع الايديولوجية البرجوازية،
عليهم في الوقت ذاته ان يطبقوا سياسة مرنة وان يتقنوا الدخول في عركات مع

مخالفهم في الرأي واقامة التحالفات والمساومات والعمل المشترك معهم. ويعيد
لينين إلى الأذهان في كتابه « مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية » طائفة من
المساومات العملية والاتفاقات المؤقتة، التي اقامها البلاشفة مع الاحزاب
الأخرى، بما فيها احزاب برجوازية. وأكد لينين مدى أهمية الحفاظ على نقاوة
الرأية الثورية الكفاحية وصيانة الاخلاص للماركسية ولقضية الاشتراكية عبر
كل المساومات والاتفاقات.

لقد لعب مؤلف لينين هذا دوراً خاسماً في دحر « اليسارية » في الحركة
الشيوعية العالمية. فتحت رأية الافكار، التي طرحها لينين في هذا الكتاب،
جرت اعمال عدة مؤتمرات للكونغرس وللأحزاب الشيوعية. لقد كان لينين
ولا يزال اهم مرجع في استراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية.

الف لينين كتابه « مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية » قبل فترة قصيرة
من انعقاد المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية. وبسبب تفتح الحركة الثورية في عدد
من البلدان تأتي على مؤتمر الكونغرس أن ينظر في المسائل الناضجة لاستراتيجية
وتكتيك الأحزاب الشيوعية. ولعب مؤلف لينين هذا دوراً بارزاً في مساعدة
الأحزاب على رسم سياسة مبدئية مرنة. مع مراعاة الظروف الملموسة في كل
بلد، وعلى تربية الكوادر الحزبية الناضجة نظرياً والمتمرسه سياسياً.

وبالاستفادة من افكار هذا الكتاب ترعرع وتربى جيل كامل من
الشيوعيين وزعماء الأحزاب الشيوعية والعمالية. وتعلموا منه فن القيادة
السياسية. واليكم تقييم واحد من ابرز شخصيات الحركة الشيوعية العالمية
المعاصرة. وهو موريس توريز، لأهمية مؤلفات لينين:

« ... انني، شأني شأن جميع المناضلين في جيلي، مدين للينين بامور
كثيرة لا نهاية لها. فان افكاره مفهومة للشعب دوماً بالرغم من عمقها. وغالباً
ما قرأت للرفاق جهاراً مؤلفيه « الدولة والثورة » و « مرض اليسارية الطفولي في
الشيوعية ». وكان رفاقي يستمعون باهتمام دوماً ويقولون: « ما افضل ذلك، وما
اوضحه وبسطه ».

فلو اننا لم ندرس لينين فكيف نستطيع ان نذل جميع الصعاب والعراقيل التي نواجهها نحو الاشتراكية؟

في عام ١٩٢٠ صدر كتاب لينين هذا باللغة الانجليزية في لندن ونيويورك وبألمانية في لايبزيغ وبرلين وهامبورغ، وبالفرنسية في باريس، وبالإيطالية في ميلانو وجاء في المنشور، الذي وزعه الحزب الشيوعي البريطاني عام ١٩٢٠، ان مؤلف لينين «مرض اليسارية الطفولي» يوضح الكثير من الامور ويساعد عملياً على الاتجاه نحو الوحدة التي يطمح اليها الجميع اشد طموح.

وتوجه شيوعيو جميع البلدان بالامتنان إلى لينين على كتابه العبقري هذا. وكتب ياكوت ايكارت، سكرتير احدى المنظمات المحلية للحزب الشيوعي الألماني إلى لينين في عام ١٩٢١ يقول: «اني واثق من انك، بخبرتك الغنية، ستساعدنا بنصيححتك، التي نقدرها رفيع التقدير على ادراك الوضع الراهن».

معالجة الكومنترن لاستراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية في ظروف المد الثوري

كانت، المسائل التي تناوها لينين في هذا الكتاب، تشغل مكان الصدارة من انتباه المؤتمر الثاني للكومنترن (تموز- آب ١٩٢٠). كان المؤتمر الثاني يتسم بطابع تمثيلي عالمي. فقد ساهم في اعماله ٢١٧ مندوباً عن ٦٧ منظمة (الاحزاب الشيوعية والاحزاب الاشتراكية والنقابات ومنظمات الشبيبة) من ٣٧ بلداً. وحضر المؤتمر ممثلو الحزب الاشتراكي في اسبانيا والحزب الاشتراكي في فرنسا والحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني المستقل. وكان هؤلاء يتمتعون بصوت استشاري.

ان المؤتمر الثاني يشغل مكانة هامة خاصة في وضع برنامج الكومنترن.

واستراتيجية وتكتيكه وتنظيمه. وجرت كل اعمال هذا المؤتمر في صراع طاحن بين الماركسيين - اللينينيين وبين الاصلاحيين والوسطيين والفوضويين السيندكاليين واليساريين المتطرفين.

وابدى المؤتمر اهتماماً كبيراً بمسألة دور الحزب الثوري في نضال البروليتاريا الطبقي. وهذا امر مفهوم. فالكومنترن. خلافاً لانتهازيي الاممية الثانية، الذين عولوا اساساً على العملية العفوية لتطور الحركة العمالية، علقت اهمية فائقة على الحزب الثوري وعلى العامل الذاتي في الثورة.

كان لينين والكومنترن يقصدان بالعامل الذاتي قدرة الطبقة العاملة وطليعتها على الاعمال الواعية الحازمة ضد النظام القائم وعلى الاتيان بالبطولات وتقديم التضحيات في سبيل احراز النصر التام. ويعود للحزب الثوري الدور الحاسم في العامل الذاتي. فعلى قوة الحزب ونفوذه وقدرته بالذات يتوقف لدرجة كبيرة نجاح نضال العمال وجميع الشغيلة.

لقد بينت خبرة النضال الثوري في العديد من البلدان ان الظروف الموضوعية للثورة الاشتراكية قد نضجت على العموم في العالم الرأسمالي. ولكن بسبب ضعف العامل الذاتي في هذه البلدان قبل كل شيء انتصرت هذه الثورة في روسيا فقط. ولذلك بالذات طرحت الاممية الشيوعية في مكان الصدارة من نشاطها تطوير وتعزيز العامل الذاتي للثورة، وبالدرجة الأولى تعزيز قوة ونفوذ الاحزاب الشيوعية إلى اقصى حد باعتبارها العنصر الأهم في هذا الصدد.

واشار المؤتمر الثاني للاممية إلى ان البروليتاريا يجب ان تمتلك حزباً ثورياً لكي تؤدي رسالتها التاريخية بنجاح. ولقد عارض ممثلو الجماعات الفوضوية ضرورة وجود الحزب الشيوعي معتردين بان البروليتاريا يجب ان تمتلك منظمات نقابية فقط. وكشف لينين وبعض المندوبين الآخرين عن خطأ هذا الموقف. وورد في قرار المؤتمر «بصدد دور الحزب الشيوعي في الثورة البروليتارية» رفض حازم للرأي الزاعم بان الطبقة العاملة يمكن ان تحقق الثورة بدون حزب شيوعي.

وابدى المؤتمر اهتماماً كبيراً بمناقشة مسائل تكتيك الحزب (حول العمل في النقابات وحول النزعة البرلمانية وانضمام الحزب الشيوعي البريطاني إلى حزب العمال). وقد عارض الفوضويون السيندكاليون و « الشيوعيون اليساريون » في المؤتمر موقف لينين بشأن هذه المسائل .

فقد اعترض « اليساريون » على عمل الشيوعيين في النقابات الاصلاحية ونادوا بتأسيس نقابات « ثورية » « خالصة » . وكان من شأن ذلك ان يؤدي إلى عزل الشيوعيين عن الجماهير ورفض المؤتمر آراء « اليساريين » واقرب الموقف اللينيني . وأكد القرار، الذي اتخذته المؤتمر بعنوان « الحركة النقابية ولجان المعامل والمصانع والاهمية الثالثة » ، ان من اهم مهمات الشيوعيين العمل في النقابات الاصلاحية وكسب اغلبية العمال النقابيين إلى جانبهم . وكان ذلك ذا أهمية فائقة بالنسبة لنجاح النضال اليومي للطبقة العاملة وبالنسبة لقضية الثورة البروليتارية على حد سواء .

لقد رد المؤتمر على الشيوعي « اليساري » الايطالي بورديغي وانصاره ، الذين عارضوا مساهمة الشيوعيين في النضال البرلماني . وأكد رسمياً في القرار المعنون « الحزب الشيوعي والعمل البرلماني » ، ان على الاحزاب الشيوعية ان تستخدم العمل في البرلمان كشكل من اشكال نشاطها لتعزيز الصلات مع الجماهير وللنضال في سبيل الاهداف المباشرة والنهائية للطبقة العاملة . وهكذا وجه المؤتمر الكومنترن والاحزاب الشيوعية نحو ممارسة العمل والتنظيم الدؤوب بين الجماهير وسدد الضربة إلى آراء الشيوعيين « اليساريين » الانعزالية وردع السياسة الانتهازية اليمينية ازاء العمل الجماهيري للحزب .

وابدى مؤتمر الكومنترن الثاني اهتماماً كبيراً بقضية زعامة البروليتاريا في النضال الثوري وقضية حلفاء الطبقة العاملة . ولأول مرة ناقش الكومنترن بالتفصيل المسألة الزراعية ومسألة القوميات والاستعمار واتخذت قراراً منهنياً بشأنها . وكان لينين هو الذي كتب مسودتي الموضوعات بشأن كلتا المسألتين . كانت نقطة الانطلاق في القرار الخاص بالمسألة الزراعية هي الافكار

الماركسية - اللينينية بصدد التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين وزعامة البروليتاريا في الثورة . وقدم المؤتمر تعليلاً عميقاً لتكتيك الاحزاب الشيوعية ازاء مختلف فئات سكان الارياف ورفض الموضوعة الاشتراكية الديمقراطية بشأن « رجعية الفلاحين . واوصى الكومنترن الشيوعيين باجتذاب السكان الكادحين في الريف (البروليتاريا الزراعية وشبه البروليتاريا والفلاحين الصغار) إلى جانب الطبقة العاملة وجعل الفلاحين المتوسطين محايدين كخطوة أولى وخوض النضال ضد الفلاحين الكبار وتحقيق تحرير الجماهير الكادحة من تأثيرهم الفكري والسياسي . وطرح القرار مطلب المصادرة الفورية دون قيد او شرط لجميع اراضي الاقطاعيين والملاك الكبار وتسليم قسم منها بشكل ملكية إلى الفلاحين ، الذين لا يملكون ارضاً أو يملكون قطعاً صغيرة ، ورسم السياسة اللاحقة للدولة البروليتارية بصدد المسألة الزراعية .

واتسمت باهمية كبيرة كذلك مناقشة مسألة القوميات والاستعمار . وكان حجر الزاوية في سياسة الكومنترن بصدد هذه المسألة هي الفكرة الخاصة بالتقارب بين البروليتاريا والجماهير الكادحة في جميع الامم والبلدان المستعمرة التابعة بغية النضال الثوري المشترك ضد الامبريالية . ورفض المؤتمر الآراء الانعزالية لدى بعض المندوبين ، الذين عارضوا بين حركة التحرر الوطني وبين النضال الطبقي للبروليتاريا في البلدان الرأسمالية معتبرين ان الامبريالية مستقط فقط تحت ضربات النضال التحرري لشعوب المستعمرات والبلدان التابعة . ودعا الكومنترن إلى تحالف وثيق بين الحركة العمالية العالمية وبين النضال التحرري الوطني للشعوب التابعة . وفي الظروف الملموسة لتلك المرحلة كان من شأن التحالف بين هاتين الحركتين ان يغدو مثمراً بالدرجة الأولى كتتحالف بين جميع حركات التحرر الوطني وبين روسيا السوفيتية .

وابدى الكومنترن اهتماماً كبيراً بمسألة موقف الشيوعيين من الحركة الديمقراطية البرجوازية او الحركة الوطنية الثورية في البلدان الضعيفة التطور . وخلافاً لمواقف الانعزاليين اعرب المؤتمر الثاني عن تأييده لهاتين الحركتين . وكان

من منجزات المؤتمر الهامة استحسان الافكار اللينينية حول آفاق تطور البلدان الضعيفة التطور كلما تحررت من النير الاستعماري. وايد المؤتمر فكرة لينين بصدد امكانية انتقال الشعوب المتحررة في البلدان الضعيفة التطور إلى الاشتراكية بدون المرور بمرحلة التطور الرأسمالية.

كانت جميع المسائل التي ناقشها المؤتمر الثاني ذات ارتباط بالمهمة العامة، مهمة اعداد الطبقة العاملة وحزبها الثوري وحلفائها للثورة البروليتارية، لانتصار دكتاتورية البروليتاريا.

نضال الكومنترن في سبيل كسب الجماهير وفي سبيل الجبهة العمالية الموحدة

(١٩٢١ - ١٩٢٣)

اعتباراً من النصف الثاني من عام ١٩٢٠ حدث ركود معين في تطور الحركة الثورية العالمية. فقد سعت البرجوازية بكل الوسائل إلى تذليل الازمة الثورية، والانتقال إلى الهجوم على الطبقة العاملة. وكان الازمة الاقتصادية في ١٩٢٠ - ١٩٢١ قد عززت مواقع الرجعية الامبريالية في عدد من البلدان. وفي خريف ١٩٢٠ دحرت احركة عمال ايطاليا الرامية إلى « الاستيلاء على المعامل ». وقمعت الاوساط الحاكمة في المانيا نضالات العمال في آذار ١٩٢١. وفي ذات الوقت مني بهزيمة خطيرة عمال المناجم وغيرهم من قصائل الطبقة العاملة في انجلترا.

وكان اهم سبب لهزائم واخفاقات الحركة العمالية والثورية في ١٩١٨ - ١٩٢٣ هو الانقسام في صفوف البروليتاريا. وبالإضافة إلى الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين لعب التوفيقيون (الوسطيون) دوراً نشيطاً في شق الطبقة العاملة. ففي ٢٢ شباط ١٩٢١ عقد زعماء الوسطيين مؤتمراً لأحد عشر حزباً اشتراكياً في فيينا، حيث تأسست امية فيينا او « الامية الثانية

والنصف ». وكان تأسيس هذه الامية قد عمق الانشقاق في صفوف الطبقة العاملة لدرجة اكبر واضعف قواها. وفي هذه الظروف اتسم باهمية خاصة لنضال الشيوعيين في سبيل كسب الجماهير وفي سبيل وحدة الطبقة العاملة ووحدة اعمالها. واولى الكومنترن والاحزاب الشيوعية اهتماماً من الدرجة الأولى بالنضال في سبيل حل هذه المهمات.

وابدى المؤتمر الثالث للكومنترن (حزيران - تموز ١٩٢١) اهتماماً كبيراً بهذه المسائل. وساهم في اعمال هذا المؤتمر ٦٠٥ مندوبين عن ٥٨ بلداً ومنطقة في العالم. ولم يكن قوام المندوبين متجانساً. فان ممثلي عدد من الاحزاب ظلوا كالسابق متمسكين بمواقف « الشيوعية اليسارية » ودعوا إلى « الهجوم الثوري الفوري » بالرغم من الظروف غير الملائمة. وقد عقد ذلك كله عمل المؤتمر لرسم خط تكتيكي موحد للحركة الشيوعية العالمية.

وفي صراع شديد مع « اليساريين » اشار المؤتمر إلى هزيمة البروليتاريا مؤقتاً في المعارك الثورية ابان ١٩١٨ - ١٩٢١ واوصى الاحزاب الشيوعية بتشديد النضال في سبيل كسب الجماهير وكسب اغلبية البروليتاريا باعتبار ذلك للنضال مهمة رئيسية.

وكان تدقيق وتطوير النهج الاستراتيجي للكومنترن على هذا النحو قد تطلبا ردعاً حازماً لانصار « اليسارية » المتطرفة. وقد عارض لينين في خطابه دفاعاً عن تكتيك الكومنترن، انصار « نظرية الهجوم » اليسارية المتطرفة الذين تجاهلوا الظروف الواقعية وطرحوا شعارات مغامرة خاطئة. واعلن ان الشيوعيين لا يمكن ان يتجادلوا في مسألة احتمال الهجوم الثوري عموماً. فالفرضية تتلخص فيما اذا كان الاستعداد لهذا الهجوم تاماً أم لا. وبين لينين ان الحركة الشيوعية يجب ان تقوم بعمل واسع لتأمين النجاح. وان الخطوة الأولى في اعداد الهجوم الثوري هي تأسيس حزب شيوعي حقيقي وعلان القطيعة مع الانتهازية والخطوة الثانية هي تعلم التحضير للثورة. واهم شرط في حل هذه المهمة هو كسب الجماهير إلى جانب الحزب الشيوعي. وقال لينين: « اذا

انتقلت إلى جانبنا، إبان النضال نفسه، أغلبية الشغيلة - ليس أغلبية العمال فقط، بل أغلبية جميع المضطهدين والمستغلين - عند ذاك سنتنصر حقاً ».

وأولى المؤتمر الثالث اهتماماً كبيراً نحو المسألة النقابية، وشجب حياد الحركة النقابية. وخلال عمل المؤتمر الثالث للكومنترن عقد المؤتمر الأول للاممية النقابية الحمراء (٣-١٩ تموز ١٩٢١)، الذي حضره ٣٨٠ مندوباً عن ٤١ دولة. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تعزز الجناح اليساري في الحركة النقابية بتأثير ثورة أكتوبر وأخذت تنشأن منظمات نقابية يسارية. وفي الوقت ذاته أخذ الاصلاحيون يفصلون العمال الثوريين من النقابات، وأسسوا ائمة امستردام النقابية الاصلاحية. وفي هذه الظروف قررت النقابات اليسارية الاتحاد في مركز عالمي موحد والتصدي لنشاط الانتهازين الرامي إلى ضرب الجناح اليساري في الحركة النقابية. واتخذ المؤتمر العالمي للنقابات المهنية والانتاجية الثورية قراراً بتأسيس الاممية النقابية الحمراء. ووضع برنامج وتكتيك هذه الاممية على اساس التعاليم اللينينية بشأن النقابات.

وبعد المؤتمر الثالث ركز لينين واللجنة التنفيذية للكومنترن الجهود على وضع تكتيك الجبهة العمالية الموحدة. ففي ظروف اشتداد هجوم الرأسمال وتزايد خطر الفاشية لم يكن من الصواب الانتظار إلى حين كسب الشيوعيين الجماهير وردع البرجوازية والرجعية بل كان من الضروري وضع تكتيك يساعد على تنظيم الجماهير، قبل كسبها إلى جانب الاحزاب الشيوعية، للنضال ضد هجوم الرأسمال والفاشية. وكان هذا التكتيك وحدة نشاط العمال المتتمين إلى مختلف المنظمات السياسية والنقابية. ولم يكن تكتيك الجبهة الموحدة ليعني تحلّي الاحزاب الشيوعية عن كسب الجماهير إلى جانبها. ولكنه في الوقت ذاته لم يكن مضاهياً كلياً لنضال الاحزاب الشيوعية في سبيل كسب الجماهير.

في كانون الأول ١٩٢١ اقرت اللجنة التنفيذية للكومنترن الموضوعات المضافة: « بصدد الجبهة العمالية الموحدة »، وهي الموضوعات التي زودت الاحزاب الشيوعية بالمبادئ الاساسية لتطبيق تكتيك الجبهة الموحدة. وكانت

قضايا النضال في سبيل وحدة الطبقة العاملة، لردع هجوم الرجعية الفاشية، تشغل مركز الصدارة من اهتمام المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية (اواخر عام ١٩٢٢).

وجرت مناقشة هذه المسألة في النضال ضد المواقف الخاطئة لعدد من المندوبين « اليساريين ». فان بعض مندوبي المؤتمر قدموا تفسيراً خاطئاً لتكتيك الجبهة الموحدة مع انهم لم يرفضوه كلياً. بل عارضوا بعض عناصره وشككوا، في الواقع، في جدوى النضال من أجل الجبهة الموحدة. لقد حصر « اليساريين » مهمة تكتيك الجبهة الموحدة في كسب أغلبية الطبقة العاملة.

وطرحوا تكتيك الوحدة « من الاسفل » فقط بغية معارضته الموقف اللينيني القائل بان على الشيوعيين ان يسعوا إلى توحيد العمال « من الاسفل » وإلى الاتفاق « من الأعلى » مع قيادة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات الاصلاحية. وانطلق « اليساريين » من فكرة ان الاشتراكية الديمقراطية اليمينية هي الجناح « اليسار » للثورة المضادة الأمر الذي ينفي امكان التحالف معهم. وكان ذلك ناجماً عن عدم فهم هؤلاء تكتيك الجبهة الموحدة مما يدفع الاحزاب الشيوعية إلى طريق الانعزالية.

وكانت المسألة الثانية لتكتيك الجبهة الموحدة، التي اثارته جدلاً كبيراً في المؤتمر، هي موقف الشيوعيين من قضية الحكومة العمالية. كانت فكرة الحكومة العمالية تستند إلى التعاليم اللينينية بشأن الاشكال الانتقالية للسلطة في نضال جماهير الشغيلة ضد الطبقات الاستغلالية في المراحل السابقة لاقامة دكتاتورية البروليتاريا. وبالرغم من انحسار المد الثوري كان بوسع النضال الناجح في سبيل الجبهة الموحدة ان يطرح على جماهير الشغيلة مسألة تشكيل حكومة الجبهة الموحدة على اساس التعاون بين الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين. وبما ان الاشتراكيين الديمقراطيين كانوا ضد دكتاتورية البروليتاريا، وبما ان الشيوعيين لم يكونوا اقوياء ومنفذين لدرجة تكفي لاقامة

هذه الدكتاتورية فقد ظهرت فكرة تشكيل حكومة انتقالية وسطية تسمى بالحكومة العمالية.

بيد ان الكتلة « اليسارية » لمندوبي المؤتمر قد انطلقت تارة من مواقف الانكار الشام لفكرة الحكومة العمالية وتارة من الخلط بينها وبين دكتاتورية البروليتارية. ورفضت المعارضة « اليسارية » الاجراءات الانتقالية للنضال في سبيل الاشتراكية وطالبت بالسير بطريق مستقيم إلى دكتاتورية البروليتاريا. وكان ذلك موقفاً انعزالياً انتقده لينين نقداً شديداً في كتابه « مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية » لقد ادركت اغلبية مندوبي المؤتمر بشكل صائب اهمية شعار الحكومة العمالية وتصدت آراء الكتلة « اليسارية » الخاطئة.

وورد في الموضوعات، التي اقرها المؤتمر بعنوان « تكتيك الاممية الشيوعية » تحديد للمفاهيم الاساسية لسياسة الجبهة الموحدة. وجاء في الموضوعات: « ان تكتيك الجبهة الموحدة ليس الا اقتراحاً من الشيوعيين لخوض النضال المشترك مع جميع العمال المنتمين إلى احزاب او كتل أخرى ومع العمال الاحزابيين من أجل الدفاع عن المصالح الحيوية الاساسية للطبقة العاملة ضد البرجوازية.

واشارت الموضوعات إلى ان تكتيك الجبهة الموحدة يبني « من الاسفل » على أساس وحدة الجماهير العمالية. علماً بأن الشيوعيين يعتقدون بإمكان المفاوضات مع زعماء المنظمات الاشتراكية الديمقراطية واطلاع الجماهير دوماً على سير هذه المفاوضات. وأكد المؤتمر ان تكتيك الجبهة العمالية الموحدة يستهدف احراز نتائج تنظيمية وليس دعائية فقط. واقترحت الموضوعات العمل على تأسيس تنظيمات الجبهة الموحدة بشكل لجان العمال والمصانع وهيئات الرقابة ولجان العمل وهلمجرا.

وحذر المؤتمر بحزم الاحزاب الشيوعية من انه يجب ان لا يتعرض استقلالها الفكري والتنظيمي اثناء تطبيق تكتيك الجبهة الموحدة، كما حذر من اقتصار الجبهة الموحدة على اتفاق الزعماء اثناء الحملات الانتخابية. ولفتت

الموضوعات انظار الشيوعيين إلى ضرورة استخدام مختلف اشكال النضال طبقاً للظروف الملموسة في مختلف البلدان اثناء تطبيق الجبهة العمالية الموحدة. و اشار المؤتمر إلى أهمية تكتيك الجبهة الموحدة بالنسبة لكسب اغلبية الشغيلة إلى جانب الشيوعيين وبالنسبة لتثقيف وتربية الجماهير بصورة ثورية لأجل تأمين انتصار الثورة الاشتراكية.

وحيد المؤتمر شعار الحكومة العمالية (او العمالية الفلاحية) . ويمكن ان تظهر هذه الحكومة في مجرى نضال الجماهير وتعتمد على هيئات العمال الكفاحية في البلاد. وإلى جانب ذلك لم يستبعد المؤتمر احتمال تشيل الحكومات العمالية على اساس برلماني. وحددت الموضوعات مهام الحكومة العمالية (تسليح البروليتاريا ونزع سلاح منظمات الثورة البرجوازية وفرض الرقابة على الانتاج الخ) . وحدد كذلك شروط مساهمة الشيوعيين في الحكومة العمالية وهي الاستقلال التام للاحزاب الشيوعية والرقابة الصارمة من جانب الحزب على الشيوعيين الاعضاء في الحكومة والصلة الوثقى بين الشيوعيين المساهمين في الحكومة وبين منظمات الجماهير الثورية. وتجلى في جميع هذه المفاهيم اسلوب الكومنترن الخلاق في وضع تكتيك الجبهة الموحدة.

لقد اتسم نشاط الاممية الشيوعية في ١٩١٩ - ١٩٢٣ باهمية فائقة بالنسبة للحركة الشيوعية وتعزيزها فكرياً وتنظيماً. وفي تلك السنوات عالجت وهي تناضل ضد الانتهازيين اليمينيين و « اليساريين »، اهم مبادئ الاستراتيجية والتكتيك الثوريين للطبقة العاملة، وهي المبادئ التي تعتبر اعظم ثروة للحركة الشيوعية والعمالية والتحررية العالمية في وقتنا الحاضر.

الحركة الثورية والكومنترن في سنوات الاستقرار النسبي للرأسمالية (١٩٢٤ - ١٩٢٨)

قـبـيل عام ١٩٢٤ انتهت مرحلة النهوض الثوري . واستطاعت البرجوازية ان تنقذ النظام البرجوازي في جميع البلدان ما عدا روسيا . وكان انحسار المد الثوري وتعزيز مواقع البرجوازية النسبي الموقت اشارة إلى حلول مرحلة الاستقرار النسبي للرأسمالية ، وهو الاستقرار الذي استمر حتى بداية الازمة الاقتصادية العالمية في عام ١٩٢٩ .

لقد اثرت ظروف الاستقرار الجزئي للرأسمالية تأثيراً كبيراً على النضال الطبقي للبروليتاريا في البلدان الرأسمالية . قد حدث على العموم ركود في نشاط الحركة العمالية ، التي انتقلت من المعارك الهجومية إلى المعارك الدفاعية ، ولكن هذه السنوات ، خلافاً لمزاعم الايديولوجيين البرجوازيين والاصلاحيين ، لم تكن ابدأ مرحلة « الوفاق الطبقي » و (التعاون بين العمل والرأسمال) و « الرخاء العام » وهلمجرا .

كان استقرار الرأسمال جزئياً وموقتاً . فقد خففت لأمد قصير جداً حدة التناقضات الطبقة وصراع الدول الامبريالية على الصعيد العالمي بعض الشيء . ولكنه لم يستطع ان يزيل التناقضات الاساسية للمجتمع الرأسمالي والاسباب الرئيسية للصراع الطبقي والصدامات الاجتماعية والقومية الحادة . وقد اثبت التاريخ انه عاجز عن ذلك .

وكانت نجاحات الشعب السوفييتي في بعث وتطوير الاقتصاد الوطني وفي تحقيق خطط اعادة بناء المجتمع على أسس اشتراكية اهم عامل نسف ثبات استقرار الرأسمالية . لقد اتسمت هذه النجاحات باهمية عالمية فائقة اذ اثبتت ضرورة وامكانية تصفية الرأسمالية وبناء الاشتراكية .

وبالرغم من الركود المعين بلغ نضال الطبقة العاملة في بعض البلدان نطاقاً واسعاً احياناً . وكانت اضرابات العمال العامة ، دفاعاً عن مصالحهم ،

واحداً من مظاهر هذا النضال . وكان من اكبر النضالات الاضرابية للطبقة العاملة في تلك الفترة الاضراب العام الذي قام به في بريطانيا عام ١٩٢٦ . بدأ هذا الاضراب في ٤ ايار وساهم فيه زهاء خمسة ملايين شخص ، واكتسب صفة سياسية . وهبت البروليتاريا العالمية لتأييده . واصدر الكومنترن نداءاً لمساعدة البروليتاريا الانجليزية . وقدمت خبرة هذا الاضراب درساً قيماً للبروليتاريا في ظروف النهوض العام للنضال ضد أرباب العمل ، ان يعززوا تضامنهم ووحدة صفوفهم ويرفضوا السياسة التوفيقية للزعماء الاصلاحيين . وإلى جانب النضال الاضرابي في البلدان الرأسمالية لم تتوقف حركة الدفاع عن الديمقراطية ، وخصوصاً بسبب تزايد خطر الفاشية . لقد اشتد النضال ضد الفاشية خاصة في ايطاليا ، حيث تسلم الفاشيون السلطة في عام ١٩٢٢ . وتزعم الحزب الشيوعي الايطالي الحركة المناهضة للفاشية . وحدث اشتباك كبير بين قوى الديمقراطية والرجعية في نيسان ١٩٢٤ بمناسبة الانتخابات النيابية . واقترح الشيوعيون على الاحزاب اليسارية توحيد الجهود والقيام باعمال حازمة للحيلولة دون ترسخ الدكتاتورية الفاشية . بيد ان الانقسام في الطبقة العاملة وانعدام الجبهة الموحدة بين الاحزاب العمالية والقوى الكاثوليكية اليسارية ساعدا الفاشيين على تثبيت سلطتهم في ايطاليا . ولم يتوقف الصراع بين قوى الديمقراطية والرجعية في البلدان الأخرى أيضاً . وفي بعض الحالات تحول هذا الصراع إلى نضال موجه ضد النظام البرجوازي له . وكان من مظاهر ذلك المعارك المسلحة التي خاضتها البروليتاريا النمساوية عا ١٩٢٧ .

لقد دلت خبرة المعارك الطبقة في فرنسا وانجلترا وايطاليا والنمسا والبلدان الرأسمالية الأخرى على ان استقرار الرأسمالية لم يكن متيناً . وإن الطبقة العاملة لم تفقد قدرتها على الأعمال الحازمة دفاعاً عن مصالحها . ولكن هذه الاحداث كشفت في الوقت ذاته عن ضعف الطبقة العاملة وانعدام الوحدة في صفوفها وانتشار الآراء والميول الاصلاحية والانعزالية على نطاق واسع بينها .

ولم تكن الاحزاب الشيوعية قوية لدرجة كافية من الناحية التنظيمية والفكرية - النظرية بحيث تستطيع قهر الانتهازية في الحركة العمالية.

ودل على عدم متانة الاستقرار الرأسمالي وطابعه النسبي - الجزئي كذلك اتساع النضال التحرري الوطني في البلدان المستعمرة والتابعة. لقد شمل هذا النضال الصين والهند واندونيسيا وبلدان العالم العربي واميركا اللاتينية. وكانت ثورة التحرر الوطني في الصين ١٩٢٥ - ١٩٢٧ صفحة بارزة في سجل معارك شعوب البلدان المستعمرة والتابعة آنذاك.

كان النضال من أجل التحرر الوطني من حيث طابعه مناهضاً للامبريالية والاقطاعية. وساهمت فيها فئات واسعة من سكان البلدان المضطهدة: الطبقة العاملة والفلاحون والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية والمثقفون والطلبة وممثلو الاوساط الوطنية العسكرية وكذلك بعض العناصر الاقطاعية ذات الميول المعادية للامبريالية. وفي فترة الاستقرار الجزئي للرأسمالية لم تستطع حركة التحرر الوطني ان تحوز نجاحات حاسمة. وتتلخص اسباب ذلك فيما يلي:

اولاً - كانت كفة ميزات القوى الامبريالية هي الراجحة. وعملت الدول الامبريالية بصورة مكشوفة ضد الثورة الصينية وقمعت الانتفاضات في اندونيسيا وسوريا ومراكش ومارست التكتيل القاسي ضد المساهمين في حركة التحرر الوطني في الهند والبلدان الأخرى.

ثانياً - منيت الحركة المناهضة للامبريالية بهزيمة نتيجة لضعف البرجوازية وجبنها وخيانتها السافرة. وتحمل ذلك بوضوح خاص في الصين.

ثالثاً - كانت نقطة ضعف نضال الشعوب المضطهدة ضد الامبريالية هي انعدام الحركة العمالية الناضجة والاحزاب الشيوعية الجماهيرية القادرة على ان تنزع نضال الجماهير الشعبية وتقوده وتوجهه في الاتجاه اللازم.

لقد ركزت الكومنترن جهودها على النضال في سبيل تعزيز الاحزاب الشيوعية فكرياً وتنظيمياً. وكانت هذه المسألة موضع عناية المؤتمر الخامس

للكومنترن (حزيران - تموز ١٩٢٤) الذي طرح شعار بلشفة فروع الاممية الشيوعية. ووضحت قرارات المؤتمر ان البلشفة تعني ان كل حزب ماركسي - لينيني يجب ان يكون جماهيرياً وان يتقن فن القيادة الاستراتيجية والتكتيكية وان يخلص للماركسية الثورية وللثورة البروليتارية وان يكون حزباً مركزياً متراصاً يطبق الانتقاد والانتقاد الذاتي لتلافي اخطائه. وكان يجب ان يبنى كامل نشاط الاحزاب الشيوعية على أساس خلايا المعامل والمصانع. وعلى الشيوعيين ان يعملوا بنشاط داخل النقابات وبين الفلاحين وفي حركة التحرر الوطني.

وعلى أساس قرارات المؤتمر الخامس ساعدة اللجنة التنفيذية للكونمترن احزاباً شيوعية كثيرة في اعادة تنظيم عملها. وعقدت اللجنة التنفيذية عدة دورات بين المؤتمرين الخامس والسادس للكونمترن نوقشت فيها اهم قضايا نظرية وتكتيك الحركة الشيوعية العالمية وتعزيز الاحزاب الشيوعية فكرياً وتنظيمياً.

وفي فترة الاستقرار الجزئي للرأسمالية، حيث شددت البرجوازية الهجوم على الطبقة العاملة وسعت إلى حرمان العمال من المكاسب التي تسنى لها احرارها في سنوات المد الثوري، علق الكومنترن اهمية خاصة على وحدة الحركة العمالية على الصعيدين الوطني والعالمي.

واضطرت الكومنترن واحزابها، سعياً لحل هذه المهمة، إلى خوض نضال صعب ضد الانتهازيين اليمينيين و « اليساريين » على حد سواء. وشن نضال شديد ضد العناصر اليسارية المتطرفة في المؤتمر الخامس ايضاً. وكانت العناصر « اليسارية » تتصور ان ازمة ١٩٢٣ الثورية في المانيا وبلغاريا وبولونيا تدل على بداية عصر جديد للثورة. ولذلك اقترحت التخلي عن تكتيك الجبهة العمالية الموحدة في البلدان الرأسمالية وعن تكتيك الجبهة المناهضة للامبريالية في البلدان التابعة وخوض النضال المباشر من أجل اقامة دكتاتورية البروليتاريا في البلدان الرأسمالية. وعارضت كتلة « اليساريين » في المؤتمر السياسة اللينينية بشأن الجبهة الموحدة. واعلن « اليساريون » ان تكتيك الجبهة الموحدة لم يبرر

نفسه وانه ينبغي التخلي عنه . وفي احسن الاحوال يمكن اعتباره مناورة ووسيلة لتحريك وتعبئة الجماهير . واقترح زينوفييف ، رئيس الكومنترن آنذاك ، توجيه ضربة الشيوعيين الرئيسية إلى الاشتراكية الديمقراطية ، وخصوصاً جناحها اليساري . وخلافاً لتوجيهات المؤتمر الرابع للكومنترن دافع زينوفييف عن الفكرة القائلة بأن الحكومة العمالية الفلاحية ما هي الا « اسم مستعار » لدكتاتورية البروليتاريا .

وعارض عدد من المندوبين هذه الآراء الانعزالية . وأشارت قرارات المؤتمر إلى ضرورة تطبيق تكتيك الجبهة العمالية الموحدة من الاسفل ومن الأعلى سواء بسواء . وإلى جانب ذلك تضمنت الموضوعات بشأن التكتيك تنازلات « لليساريين » فقد فسر شعار الحكومة العمالية الفلاحية وكأنه شعار الهجوم المباشر على دكتاتورية البرجوازية ، ونعتت الاشتراكية الديمقراطية بانها جناح للفاشية . وكانت هذه التعاريف تتسم بطابع انعزالي ، الأمر الذي كان من شأنه الاضرار بالجهود الرامية إلى توحيد الصفوف العمالية .

واتسم نضال الاممية وفروعها ، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي السوفييتي ، ضد التروتسكية ، باهمية فائقة لتطور وتعزيز الحركة الشيوعية والعالمية والتحررية العالمية . فقد عارض تروتسكي وانصاره الخط العام للكومنترن وطالبوا باعادة النظر في التقييمات والاستنتاجات الاساسية بشأن آفاق تطور العملية الثورية العالمية .

وكانت المسألة الرئيسية ، التي نشب الصراع بشأنها مع التروتسكية ، هي مسألة امكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد . فقد تمحجج تروتسكي وانصاره بالتخلف الاقتصادي والتكتيكي للاتحاد السوفييتي والتطويق الرأسمالي ، فعارضوا التعاليم اللينينية بشأن امكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد . وكان تروتسكي يرى انه لا يمكن بناء الاشتراكية في روسيا بدون تلقي الدعم على صعيد الدولة من البروليتاريا الاوروبية الغربية المظفرة . وأكد تروتسكي بأن انتصار الثورة على النطاق العالمي هو وحده الذي يمكن ان ينقذ السلطة

البروليتارية في الاتحاد السوفييتي من « الانحلال » .

كان تروتسكي وانصاره يتسترون على موقفهم الاستسلامي المناهض للينينية بالعبارات الثورية الطنانة . فقد اقترحوا التخلي عن بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي وتوجيه كل قوى الشعب السوفييتي نحو « تحقيق الثورة العالمية » . وكانوا يعتقدون ان المخرج من الصعوبات هو في « دفع » الثورة العالمية بصورة مفتعلة وبكل الوسائل ، بما فيها اشعال نيران الحرب .

واشتد في الحزب الشيوعي السوفييتي والكومنترن وفروعه نضال حازم ضد آراء تروتسكي وانصاره المناهية للينينية والخطرة على بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي وعلى تطور الحركة الثورية العالمية . وفي عام ١٩٢٧ فصل تروتسكي من الحزب الشيوعي السوفييتي ومن الكومنترن .

ويشغل المؤتمر السادس للكومنترن ، الذي عقد من ١٧ حزيران إلى ١ أيلول ١٩٢٨ ، مكانة هامة في النضال من أجل تعزيز الاحزاب الشيوعية فكرياً وتنظيمياً . واتسم برنامج الكومنترن ، الذي اقره هذا المؤتمر ، باهمية فائقة بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية . وتضمن هذا البرنامج تحليلاً عميقاً لسنن تطور المنظومة الرأسمالية العالمية والنظام الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي الذي يجابهها . وعمم البرنامج الخبرة العالمية الغنية جداً للنضال الثوري في البلدان الرأسمالية والتابعة وكذلك نضال الشعب السوفييتي في سبيل دكتاتورية البروليتاريا وبناء الاشتراكية .

ومن الأمور الاساسية في البرنامج الاستنتاج القائل بحتمية انهيار الرأسمالية ثورياً وانتصار الشيوعية في العالم أجمع . والهدف النهائي للبروليتاريا ، كما اشار البرنامج ، هو استبدال الاقتصاد الرأسمالي العالمي بنظام الشيوعية العالمي . وبلاستناد إلى التعاليم الماركسية - اللينينية عن الثورة الاشتراكية قدم البرنامج تحليلاً لآفاق وطرق تطور الثورات واشكالها في البلدان المختلفة (البروليتارية والبرجوازية الديمقراطية والتحررية الوطنية) . وأكد البرنامج الاهمية العالمية للاتحاد السوفييتي كمعقل للحركة الثورية العالمية . وكان برنامج

الكومنترن اهم وثيقة فكرية نظرية سلحت الاحزاب الشيوعية بالتحليل العلمي العميق لآفاق تطور الثورة العالمية.

في عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ وضع الكومنترن تكتيكاً جديداً اطلق عليه اسم « طبقة ضد طبقة »، وأكدت الدورة التاسعة للجنة التنفيذية للكومنترن (٩ - ٢٥ شباط ١٩٢٨) حيوية هذا التكتيك. ويتلخص في توحيد جميع القوى وجميع فصائل الطبقة العاملة للنضال ضد البرجوازية. الا ان بعض الاحزاب الشيوعية فهمه بشكل خاطيء مما دفعه إلى مواقف انعزالية فيما يخص اقامة العلاقات والتعاون مع الفئات الديمقراطية من البرجوازية الصغيرة، بهدف تحقيق جبهة موحدة واسعة ضد خطر الفاشية والحرب. ومع ذلك تقع المسؤولية الرئيسية عن الانقسام في صفوف البروليتاريا العالمية على الاصلحيين، الذين رفضوا طوال الوقت وحدة الاعمال مع الشيوعيين، ومارسوا، عندما تسلموا السلطة، قمع نضالات العمال بقسوة لا تقل عن قسوة الحكومات البرجوازية. واثار ذلك كله استياء هائلا بين العمال وشدد من مظاهر الانعزالية في الكومنترن والاحزاب الشيوعية.

وبعد ان استنتج المؤتمر السادس للكومنترن اقتراب مرحلة جديدة من المعارك الثورية استحسن تكتيك « طبقة ضد طبقة »، وهو التكتيك الذي وجهه الاحزاب الشيوعية نحو التحضير لاحتمال ظهور ازمة اجتماعية سياسية حادة في العالم الرأسمالي ونص على تشديد النضال ضد الاصلحية والاشتراكية الديمقراطية. وكانت نقطة الضعف في هذا التكتيك انه استصغر خطر الفاشية وكان مبعداً فقط لآفاق الثورة البروليتارية.

وابدت الكومنترن اهتماماً كبيراً بالحركات التحررية الثورية في البلدان المستعمرة والتابعة، وعملت دوماً على دعم هذه الحركات في بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية.

وشغلت قضايا الثورة الصينية مكانة خاصة في الكومنترن. وبمبادرة من الكومنترن نظمت حملة جبارة تحت شعار « ارفعوا ايديكم عن الصين »، للدفاع عن الثورة الصينية ضد تدخل الدول الامبريالية. وكانت هذه الحملة، التي بدأت في الاتحاد السوفيتي، قد شملت العديد من بلدان العالم وقدمت مساعدة كبيرة للقوى الثورية في الصين.

ومن شواهد الاهتمام الكبير، الذي ابدته الكومنترن بحركة التحرر الوطني، عقد المؤتمر العالمي الواسع المناهض للامبريالية في بروكسل في شباط ١٩٢٧. وأكد القرار، الذي اتخذ المؤتمر، ضرورة تعزيز التحالف بين الطبقة العاملة وحركة التحرر الوطني وتأييد مطالب القوى الثورية في الصين والهند وسورية والبلدان الأخرى في النضال ضد الاستعمار. واتخذ المؤتمر قراراً بتأسيس رابطة النضال ضد الامبريالية وضد الاضطهاد الاستعماري وفي سبيل التحرر الوطني.

وقد لاحظ المؤتمر السادس للكومنترن خيانة البرجوازية الوطنية في كل من الصين والهند لقضية التحرر الوطني. واستخلص من ذلك استنتاجاً خاطئاً اذ عم هذه التجربة معتقداً بان دور البرجوازية الوطنية في الكفاح ضد الامبريالية قد انتهى على الصعيد الدولي.

وهكذا بذلت الامة الشيوعية في سنوات الاستقرار الجزئي للرأسمالية جهوداً كبيرة لتعزيز الاحزاب الشيوعية فكرياً وتنظيمياً. وفي هذه السنوات ترعرعت في الاحزاب الشيوعية الكوادر القيادية المتمرسه. وظهرت الاحزاب صفوفها من التروتسكيين والعناصر الانتهازية الأخرى. وقطعت الحركة الشيوعية اشواطاً جديدة في تطورها.

لقد صاغ الكومنترن في برنامجه المهات الاساسية للحركة الشيوعية وسبل تحقيقها، بصورة صحيحة. بيد ان هذا البرنامج لم يخل من بعض الصيغ والتقدير الخاطئة، وخصوصاً عدم التمييز بالقدر الكافي بين الاشتراكية

وبين الفاشية . وأثر ذلك سلباً على نضال الاحزاب الشيوعية . ولكنه لا يمكن ان يقلل من أهمية النشاط الواسع الذي مارسته الكومنترن في تلك السنوات وهي تناضل في سبيل مصالح العمال والشغيلة كافة .

* * *

نضال الكومنترن ضد هجوم الفاشية وخطر الحرب (١٩٢٩ - ١٩٣٩)

الاهمية التاريخية لخبرة الجبهة الشعبية التغيرات في تناسب القوى على الصعيد العالمي والمهمات الجديدة للحركة الشيوعية العالمية

حدثت في الثلاثينات تغيرات هامة في تناسب القوى العالمية، وذلك قبل كل شيء بسبب انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي وحلول الازمة الاقتصادية في العالم الرأسمالي . ففي الوقت الذي كانت الازمة الاقتصادية تنخر كيان البلدان الرأسمالية نفذ الشعب السوفييتي بنجاح، تحت قيادة الحزب الشيوعي، الخطة الخمسية الأولى وشرع بتنفيذ الخطة الثانية . ونتيجة ذلك تم، نحو أواسط الثلاثينات، تأمين انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي . وكان ذلك ماثرة عظيمة وحدثاً تاريخياً عالمياً جليلاً تغدو ثورة أكتوبر الاشتراكية . وبانتصار الاشتراكية تحول الاتحاد السوفييتي إلى دولة اشتراكية صناعية - غولخوزية جبارة وإلى معقل منيع للحركة الثورية العالمية . واثرت نجاحات الاتحاد السوفييتي تأثيراً ثورياً على جماهير الشغيلة في البلدان الرأسمالية وخلقت لديها الثقة بقواها واقنعتها بضرورة وامكان تصفية الرأسمالية وبناء الاشتراكية .

وفي الوقت ذاته اثارت منجزات الاتحاد السوفيتي لدى جميع القوى الرجعية المزيد من الحقد والكراهية ازاء دكتاتورية البروليتاريا. فالامبراليون في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية والمانيا واليابان والبلدان الأخرى كانوا يحلمون بتحطيم الاتحاد السوفيتي ويستعدون على قدم وساق لهجوم جديد عليه. وانيط دور القبضة الضاربة ضد الاتحاد السوفيتي بالفاشية الالمانية. ودل ذلك كله على ان التناقض الرئيسي بين العالم الرأسمالي والعالم الاشتراكي اشتد لدرجة اكبر.

كانت نوايا القوى الامبريالية العدوانية ضد الاتحاد السوفيتي قد تزايدت بسبب الازمة الاقتصادية العالمية التي نهشت البلدان الرأسمالية في اعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣. وتجلت الازمة بعمق خاص في قلعة الرأسمالية - الولايات المتحدة الاميركية. وعرقلت الازمة الانتاج الصناعي والزراعة والتجارة. وانخفض مستوى الانتاج الصناعي في العالم الرأسمالي بمعدل ٣٦٪. وبلغ التداول في التجارة العالمية ثلثي ما كان عليه. وادت الازمة إلى تدهور اوضاع الجماهير الكادحة تدهوراً شديداً. وانخفضت اجور العمال والمستخدمين في العديد من البلدان إلى ٤٠ - ٦٠٪. يبلغ عدد العاطلين كلياً عن العمل في العالم الرأسمالي عام ١٩٣٣ ٣٠ مليون شخص. وادت الازمة إلى افلاس جماهير الفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية المتوسطة. وتضررت لدرجة كبيرة من الازمة ملايين الناس من ابناء شعوب البلدان التابعة والمستعمرة.

وهكذا ادت الازمة الاقتصادية إلى اشتداد جميع تناقضات العالم الرأسمالي لدرجة كبيرة. وجرت في العديد من البلدان الرأسمالية معارك اضرابية كبرى وقامت حركة جبهة للعاطلين عن العمل والفلاحين والمزارعين، الذين اصابهم الدمار. وانخرطت في النضال السياسي النشيط البرجوازية الصغيرة من سكان المدن.

وتفيد معطيات فوستر انه حدثت في ١٥ بلداً من البلدان الرأسمالية

الكبيرة في ١٩٢٩ - ١٩٣٢ ١٨٧٩٤ اضراباً ساهم فيه ٨٥١٥ الف شخص. واخذ يتكون وضع ثوري في العديد من البلدان الرأسمالية (المانيا، النمسا، وغيرها) في سنوات الازمة. وصارت البرجوازية الامبريالية تواجه صعوبة متزايدة في مواصلة حكمها بالطرق البرجوازية الديمقراطية والبرلمانية. وتدهور كذلك نفوذ الاشتراكيين الديمقراطيين - سند السيطرة البرجوازية في الطبقة العاملة. وتزايد إلى درجة لم يسبقها مثيل النشاط الثوري للجماهير الشغيلة الواسعة. وسعت الاحزاب الشيوعية والكومنترن إلى تزعم حركة الجماهير الثورية.

وساعدت الازمة الاقتصادية على اشتداد حركة التحرر الوطني من جديد. فقد استمر النضال الثوري التحرري الوطني في الصين. وقامت في الهند حملة جديدة من العصيان المدني. وتحولت الحركة الجبهة المناهضة للامبريالية في كوبا إلى اضراب عام وانتفاضة.

الا ان الحركة في هذه المرحلة لم تؤد إلى الثورات ولا إلى الهجوم الثوري على الرأسمالية، مثلما حدث في اواخر الحرب العالمية الأولى. لقد زجت الامبريالية بقوة رجعية جديدة هي الفاشية لقمع الحركة الثورية. وخيم خطر تصفية النظام البرجوازي الديمقراطي في البلدان الرأسمالية. ودل نمو الفاشية على ضعف الطبقة العاملة التي شوشتها السياسة الانقسامية للاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين، كما دل على ضعف البرجوازية نفسها، حيث عجزت عن الاحتفاظ بسلطتها بالاساليب الديمقراطية البرجوازية. وشكلت الفاشية، بواسطة الديباغوجية الاجتماعية، قاعدة جماهيرية لنفسها بين فئات البرجوازية الصغيرة.

كان من اكثر انواع الفاشية رجعية النازية الالمانية، التي تسترت باسم « الاشتراكية القومية ». وفي الواقع لم تكن لها اية صلة بالاشتراكية ولا بالدفاع عن المصالح القومية. كان استيلاء الفاشيين على السلطة في المانيا قد بين للشعوب جميعاً الجوهر للفاشية. لقد ابادت السلطة الفاشية في السجون

ومعسكرات الاعتقال افضل ممثلي الطبقة العاملة. ودمر الفاشيون النقابات والتعاونيات وجميع المنظمات العمالية والديمقراطية العلنية. وحرّموا العمال من أبسط الحقوق الاجتماعية. وتحولت ألمانيا إلى دولة مغرقة في الرجعية وإلى البؤرة الرئيسية للحرب العالمية. وأصبحت الفاشية الألمانية القوة الضاربة للثورة المضادة العالمية. وكانت الفاشية على دست الحكم تمثل دكتاتورية ابراهيمية سافرة لأكثر عناصر الرأسمالي المالي رجعية وشوفينية وامبريالية.

وتميّزت الفاشية بسياسة الشوفينية الوحشية وتفاقم النزعة العسكرية والتحضير لحرب عالمية جديدة. وادت الازمة الاقتصادية العالمية إلى اشتداد الصراع بين الدول الامبريالية في السوق العالمية. وبدأت حرب اقتصادية طاحنة بينها. حرب تحولت إلى صراع من أجل إعادة اقتسام العالم. وكان الامبرياليون متجهين إلى حل تناقضات النظام الرأسمالي عن طريق حرب عالمية جديدة. وصار سباق التسلح يجري على قدم وساق في جميع البلدان الرأسمالية. وفي ألمانيا واليابان وإيطاليا تحول الاقتصاد إلى طريق التحضير للحرب. واشتدت الدعاية الشوفينية والعنصرية لدرجة كبيرة.

كانت الامبريالية اليابانية هي المبادرة إلى إعادة اقتسام العالم من جديد. ففي عام ١٩٣١ بدأت اليابان عدوانها على الصين. ووجهت باجراءاتها ضربات إلى مواقع الامبريالية البريطانية والاميركية في الشرق الأقصى. إلا أن المشغلين الرئيسيين لنيان الحرب العالمية الجديدة هم الفاشيون الألمان. الذين طرحوا في جدول العمل مسألة تغيير الحدود الأوروبية عن طريق الحرب. وكانت خططهم تقضي بغزو جزء من أراضي فرنسا وتقسيم تشيكوسلوفاكيا والحقاق النمسا ودحر واستعباد الاتحاد السوفيتي والاستيلاء على المستعمرات وهلمجرا. ولعبت دوراً غير ضئيل في اشعال نيران الحرب العالمية كذلك الامبريالية الإيطالية، التي بدأت عملياتها الحربية في اثيوبيا عام ١٩٣٥. أما الامبرياليون البريطانيون والاميركان فقد شجعوا ودعموا بكل الوسائل الفاشيين الألمان وقدموا لهم مساعدة مالية هائلة وغيرها من اشكال المساعدة.

سعيًا لتوجيه عدوان ألمانيا نحو الشرق، نحو الاتحاد السوفيتي. وفي الوقت ذاته استمرت في التآزم التناقضات الانكلو اميركية وكذلك التناقضات بين بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية وفرنسا من جهة، وألمانيا واليابان وإيطاليا من جهة أخرى. وخلق ذلك كله عدم الاستقرار في العالم وأدى إلى اندلاع لهيب الحرب العالمية الثانية.

وفي ظروف الازمة الاقتصادية العالمية وهجوم الفاشية وتحضير الامبرياليين للحرب العالمية واجهت الحركة العمالية والشيوعية العالمية مهام تاريخية جديدة. وكان من الضروري توحيد جهود الطبقة العاملة وجميع قوى السلام التقدمية للدفاع عن الحريات الديمقراطية والحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة والعمل على دحر الفاشية.

وفي سنوات الازمة الاقتصادية سعت الكومنترن إلى تنظيم نضال البروليتاريا بزعماء الاحزاب الشيوعية ضد هجوم الرأسمال. وفي الدورة الحادية عشرة التي عقدتها اللجنة التنفيذية للكومنترن في ربيع ١٩٣١، قدم تحليل للازمة الاقتصادية والمد الثوري المتزايد. وأوضح الدورة للاحزاب الشيوعية تحلف نشاطها عن النضالات الثورية واقترحت تشديد النضال في سبيل كسب الجماهير وعبرت الدورة عن طموح الشيوعيين إلى صد هجوم الرأسمال. وفي الوقت ذاته بالغت هذه القرارات في وتائر تصاعد الازمة الثورية. وانطلاقاً من ذلك حددت الدورة نهج النضال ضد اشكال دكتاتورية الرأسمال، بما في ذلك الديمقراطية البرجوازية دون الانتباه إلى ضرورة التركيز ضد الفاشية.

وفي السنوات الأولى للازمة الاقتصادية سددت الكومنترن ضربة قاضية إلى حملة الميول التحريفية اليمينية في صفوف الاحزاب الشيوعية. ففي الحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) تم دحر كتلة بوخارين المنحرفة اليمينية. وقدمت الكومنترن مساعدة في مكافحة التكتلين في الاحزاب الشيوعية في بولونيا والنمسا والمجر وبلغاريا ورومانيا واليونان وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا.

واسبانيا. وبالنتيجة تعززت القيادة الماركسية - اللينينية في العديد من الاحزاب الشيوعية، مما ساعد هذه الاحزاب على وضع خط سياسي صائب وتشديد نضالها ضد الرجعية والنزعة العسكرية.

بيد ان الوضع الجديد والمهام الجديدة التي ظهرت في سنوات الازمة الاقتصادية لم تحظ فوراً بتفهم جميع الشيوعيين، فقد ظن بعض الشيوعيين انه تتكون في العالم ظروف ملائمة لهجوم ثوري جديد على الرأسمالية، ظروف شبيهة بالتي كانت موجودة في السنوات الأولى بعد ثورة أكتوبر. ولذلك تصوروا ان النضال في سبيل دكتاتورية البروليتاريا والسوفييتات يطرح من جديد على اعتباره المهمة القريبة المباشرة للاحزاب الشيوعية. وفي المانيا، مثلاً، حيث تعاظم خطر الفاشية لدرجة كبيرة، طرح الشيوعيون كالسابق شعار « النضال في سبيل ألمانيا السوفييتية ١٩٣٠ ». وكان بوسع هذا الشعار ان يربص فقط صفوف الطليعة الثورية البروليتاريا، ولكنه ما كان بوسعه ان يوجد الفئات الديمقراطية الواسعة للشعب الالمانى لأجل النضال ضد الفاشية. ولم يكن يتناسب والمهام والظروف الملموسة لذلك الوقت. ولقد تأخر شيوعيو المانيا وكذلك البلدان الأخرى بعض الشيء في طرح استراتيجية وتكتيك جديدين.

وتجلى ذلك أيضاً في نشاط اللجنة التنفيذية للكونغرس. ففي خريف ١٩٣٤ استعرضت الدورة الثانية عشرة للجنة حصيلة نضال البروليتاريا الطبقي في سنوات الازمة الاقتصادية ووضحت للاحزاب الشيوعية نواقص عملها ورسمت مهام الفترة القريبة. ووجهت الدورة للاحزاب الشيوعية نحو التحضير للظفر بالسلطة. وانطوى ذلك على تقييم خاطيء للوضع ولتناسب القوى الطبقيّة واستصغار لخطر الفاشية.

ولكن من غير الصحيح، ونحن نشير إلى الأخطاء في نشاط بعض الاحزاب الشيوعية والكونغرس كلها، ان لا نشير إلى ان الشيوعيين كانوا اكثر المناضلين ضد الفاشية ثباتاً وبسالة.

واعتباراً من عام ١٩٢٢ انتشرت الحركة الجماهيرية ضد الفاشية

والحرب. وبمبادرة من المثقفين التقدميين تقرر عقد المؤتمر العالمي المناهض للحرب. وحظيت هذه الفكرة بصدى واسع بين جميع انصار السلام. وبالرغم من العراقل الهائلة التي وضعتها البرجوازية وزعماء الاممية العمالية الاشتراكية عقد المؤتمر العالمي المناهض للحرب في امستردام في ٢٧ - ٢٩ آب ١٩٣٢. والقى هنري باربوس تقريراً في المؤتمر عن النضال ضد خطرا الحرب الامبريالية. واقر المساهمون في المؤتمر، العمال والفلاحون والمثقفون والشيوعيون والاشتراكيون وممثلو الحركات النقابية والنسائية والشبابية بالاجماع، بياناً شجبوا فيه سباق التسلح وسياسة العدوان الامبريالية ورسوموا الاجراءات الملموسة للنضال ضد خطر الحرب. وساعد المؤتمر لدرجة كبيرة على انتعاش الحركة الديمقراطية المناهضة للحرب والفاشية.

وبقدر اشتداد الصراع بين قوى الفاشية والديمقراطية صارت الاحزاب الشيوعية تتخلص من التكتيك الانعزالي. وساعد على ذلك ايضاً تقوي النجاح اليساري في صفوف الاشتراكية الديمقراطية، حيث ايد تكتيك الجبهة الموحدة. ونقلت الكونغرس مركز الثقل في عملها كله إلى وضع وتنفيذ تكتيك الجبهة الموحدة. ففي ٥ آذار ١٩٣٣ توجهت اللجنة التنفيذية للكونغرس ببناء إلى جميع الاحزاب الشيوعية داعية اياها للعمل على تحقيق وحدة اعمال الطبقة العاملة. بيد ان قيادة الاممية العمالية الاشتراكية حظرت على منظماتها حتى الدخول في مفاوضات مع الاحزاب الشيوعية. وجرى هذا الحظر في قرارات مؤتمر الاممية العمالية الاشتراكية الذي عقد في باريس في تموز ١٩٣٣. وبالرغم من ذلك سعى الشيوعيون إلى تذليل كل الحواجز في طريق الوحدة مع الجماهير الاشتراكية الديمقراطية.

واهتمت اللجنة التنفيذية للكونغرس بقضية مكافحة الفاشية اهتماماً خاصاً. في الدورة الثالثة عشرة التي عقدت في كانون الأول ١٩٣٣. وتضمنت قرارات الدورة تحليلاً صائباً للطبيعة الطبقيّة للفاشية باعتبارها دكتاتورية اشد عناصر الرأسمال المالي رجعية وشوفينية وامبريالية. وإلى جانب ذلك اعتبرت

الدورة كالسابق جميع الحركات الاشتراكية الديمقراطية السند الاجتماعي الرئيسي للبرجوازية، بما في ذلك الطغم البرجوازية الحاكمة في البلدان الفاشية، وكانت هذه التقييمات قد عرقلت حركة الجبهة الموحدة.

ولكنه لوحظ في نضال الاحزاب الشيوعية العملي في تلك الفترة انعطاف نحو تكتيك وحدة الاعمال في مكافحة الفاشية والحرب. ففي فرنسا والنمسا واسبانيا وبلدان رأسمالية اخرى انتشرت الحركة الجماهيرية المناوئة للفاشية ففي عام ١٩٣٤ تحققت وحدة اعمال الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين في فرنسا وإيطاليا والنمسا واسبانيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا واليونان.

وفي تشرين الأول ١٩٣٤ قامت اللجنة التنفيذية للكونغرس بمحاولة اخرى لتحقيق وحدة الاعمال مع الامة العالمية الاشتراكية. فقد اقترحت على قيادة هذه الامة تنظيم نضالات مشتركة تأييداً لنضال عمال استوريا (اسبانيا). لكن قيادة الاشتراكية الديمقراطية اليمينية رفضت هذه المرة ايضاً في الواقع نداء اللجنة التنفيذية للكونغرس لتشكيل الجبهة الموحدة. الا ان هذه القيادة الغت قرارها السابق بمنع فروعها من الدخول في اتفاقيات مع الشيوعيين بشأن الجبهة الموحدة. وفي الواقع العملي كان هذا المنع قد الغي من قبل الاحزاب في عدد من البلدان. وهكذا كان تكتيك الجبهة الموحدة المناهضة للفاشية، الذي طرحه الشيوعيون، يشق الطريق لنفسه ويرسخ اقدامه.

لقد هز اشتداد خطر الفاشية، وخصوصاً بعد استيلاء النازيين على السلطة في المانيا، الاوساط الاجتماعية العالمية المناهضة للفاشية من جديد. فقد اقترحت المنظمات النقابية في ايطاليا ومانيا وبولونيا عقد مؤتمر اوروبي مناهض للفاشية في باريس. وقد افتتح هذا المؤتمر في ٤ حزيران ١٩٣٣. كان عمل المؤتمر تظاهرة كبيرة جديدة لصالح النضال المشترك ضد الفاشية. كما كان، شأنه شأن مؤتمر امستردام، خطوة هامة في النضال من أجل الجبهة الموحدة المناهضة للفاشية.

وتطورت في بعض البلدان الرأسمالية كذلك حركة الجبهة الموحدة ضد هجوم الرأسمالية والفاشية والحرب. وفي شباط ١٩٣٤ اندلعت في النمسا معارك مسلحة ضد الفاشية تعززت خلالها وحدة الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين. وفي تلك الفترة (شباط ١٩٣٤) احبطت الطبقة العاملة في فرنسا محاولة الفاشيين للاستيلاء على السلطة. ولأول مرة طبقت الطبقة العاملة الفرنسية بقيادة الحزب الشيوعي تكتيك الجبهة العمالية والشعبية الموحدة في مكافحة الفاشية. وفي تشرين الأول ١٩٣٤ بدأ عمال استوريا (اسبانيا) اضراباً عاماً تحول إلى انتفاضة مسلحة. واقنعت هذه المعارك الاسبانيين بضرورة تعزيز وحدتهم ووحدة جميع القوى المناهضة للفاشية. كما دلت على نجاحات تشكيل الجبهة العالمية الموحدة للبروليتاريا الحملات التي قامت بها من أجل اطلاق سراح المناضلين الثوريين البارزين ديميتروف وتيلمان من سجون الفاشية. واثرت نضال الطبقة العاملة في النمسا وفرنسا واسبانيا تأثيراً تعبويّاً على الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة الآخرين في البلدان الرأسمالية وأكد القوة الهائلة لتكتيك الجبهة الموحدة.

كان نجاح هذا التكتيك متوقفاً على جميع فصائل الطبقة العاملة وعلى جميع منظماتها. وكانت مسؤولية كبيرة تقع على الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، التي كانت اغلبية عمال البلدان الرأسمالية الاوروبية لانزال تسير وراءها. وقد ساعد طموح جماهير الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية إلى الجبهة الموحدة مع الشيوعيين وتزايد وعيها الطبقي على تذليل الانقسام في الطبقة العاملة واحراز النجاحات في النضال ضد الفاشية والبرجوازية. الا ان الزعماء اليمينيين للاشتراكية الديمقراطية انتهجوا كالسابق سياسة انقسامية اصبحت أشد خطراً في ظروف هجوم الفاشية والحرب. وفي مؤتمر الامة العالمية الاشتراكية في فيينا، عام ١٩٣١، أعلن زعمائها بصورة ديباغوجية عن تصميمهم على النضال بكل الوسائل للدفاع عن الحريات الديمقراطية البرجوازية. حتى انهم كانوا بالاقوال ينوون الرد بالثورة الاشتراكية على

المهجمة الفاشية. وكان الاحزاب الشيوعية القوة الوحيدة التي واجهت الفاشية
مواجهة حقيقية.

المؤتمر السابع للكونغرس تكتيك الجبهة الشعبية الموحدة

جرى الانعطاف النهائي في الحركة الشيوعية العالمية نحو مكافحة
الفاشية والحرب في المؤتمر السابع للكونغرس (٢٥ تموز - ٢٠ آب ١٩٣٥)،
حيث طرح اتجاه استراتيجي وتكتيكي جديد للحركة الشيوعية يطابق الظروف
والمهام الجديدة. وساهم في اعمال هذا المؤتمر ٥١٠ مندوبين عن ٦٥ فرعاً
للكونغرس. وكان ذلك مؤمراً لينينياً حقاً عالج بشكل خلاق، كما اعتاد لينين،
الاستراتيجية والتكتيك الجديد مع مراعاة الظروف المتغيرة.

كان عمل المؤتمر كله مشعباً بالفكرة الاساسية حول كيفية التطبيق
الأفضل في مكافحة هجوم الرأسمالي والفاشية وخطر الحرب. ورسم ممثل
الحزب الشيوعي الالماني فلهيلم بيك في كلمته الافتتاحية الموجزة الآفاق العامة
للتطور العالمي والمهمة الاساسية للكونغرس. وقال: «ان مؤتمراً يواجه مهمات
عظيمة لاعداد الجماهير لتلك المعارك الضخمة، التي يمكن ان تبدأ في
المستقبل القريب. وعلينا ان نضع تكتيكاً يساعد على توحيد الشغيلة جميعاً
للمضال ضد الفاشية وضد الحرب الجديدة ولأجل الانتقال من ردة الهجوم
الفاشي إلى المضال في سبيل سلطة البروليتاريا، في سبيل الاشتراكية» وقد صيغ
في هذه الكلمات بايجاز الخط الاستراتيجي الجديد للحركة الشيوعية العالمية.

ووضعت الاممية الشيوعية الاستراتيجية والتكتيك الجديدين انطلاقة من
ان هجوم الفاشية وخطر الحرب العالمية. الموجهة ضد الاتحاد السوفيتي
بالدرجة الأولى، يتطلبان من الاحزاب الشيوعية وجميع الديمقراطيين تركيز
جهودهم على الدفاع عن الديمقراطية وصيانة السلام. لذلك فلتن كانت

محاولات الفاشيين للاستيلاء على السلطة. ولكنهم كانوا في الواقع يخشون أكثر
ما يخشون الثورة الاشتراكية بالذات. ولذلك استحسنوا في مؤتمر فيينا تكتيك
«أهون الشرين»، الذي التزموا بموجبه تأييد أي حكومة رجعية، ماعدا
الحكومة الفاشية، وواصلوا المضال كالسابق ضد الحركة الشيوعية.

كان هذا التكتيك السيء قد حكم على الطبقة العاملة وجميع القوى
الديمقراطية بالهزيمة المحتمة في مواجهة الخطر الفاشي. وفي سنوات الازمة
الاقتصادية كان الاشتراكيون الديمقراطيون اليمينيون يجيئون بالنفي دوماً على
جميع اقتراحات الشيوعيين بشأن تشكيل الجبهة الموحدة. ولذلك اشتدت ازمة
الاشتراكية الديمقراطية اليمينية. وكان رفض الحزب الاشتراكي الديمقراطي
الالمانى تكتيك الجبهة الموحدة، الذي اقترحه الشيوعيون، قد سهل انتصار
الفاشية. وكان الاشتراكيون الديمقراطيون اليمينيون النمساويون ايضاً قد
شغلوا الجماهير عن المضال مع ان حتمية الاشتباك المسلح مع الفاشية كانت
تنضح للعيان باطراد. وادى ذلك كله إلى تشديد خيبة أمل الجماهير في سياسة
الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية. وبدأ الانقسام فيها إلى معسكرين:
العناصر اليمينية الساعية إلى مواصلة سياسة التعاون الطبقي مع البرجوازية
والتعناصر اليسارية التي نادى باقامة الجبهة البروليتارية الموحدة وانتقلت إلى
مواقع المضال الطبقي.

لقد سارت الكونغرس والاحزاب الشيوعية في طليعة المضال ضد هجوم
الرأسمال والفاشية والحرب. وفي فترة الازمة الاقتصادية العالمية تعرضت
احزاب شيوعية كثيرة للملاحظات القاسية من جانب القوى الرجعية. ونحو
عام ١٩٣٥ كان ٥٠ حزباً شيوعياً ومجموعة شيوعية من بين ٧٦ تمارس نشاطها
في ظروف العمل السري القاسية. ولكن الشيوعيون، بالرغم من ذلك،
ناضلوا ببسالة في سبيل مصالح الشعب الكادح. وساهموا انشط مساهمة في
نضالات الشغيلة عشرات الآلاف من الشيوعيين استشهدوا في غمرة مكافحة

الاحزاب الشيوعية والكومنترن في السابق ترى مهمتها المباشرة في تحقيق الثورة الاشتراكية واقامة دكتاتورية البروليتاريا فقد شغلت مركز الصدارة الآن المهام الديمقراطية، مهمات النضال ضد الفاشية والامبريالية والحرب. ولا يعني ذلك ان الشيوعيين يتخلون عن النضال في سبيل الاشتراكية. وكان جوهر الوضع الجديد يتلخص في ان جماهير الشغيلة في البلدان الرأسمالية اضطرت إلى الخيار ليس بين دكتاتورية البروليتاريا والديمقراطية البرجوازية كما في السابق، بل بين الديمقراطية البرجوازية والفاشية.

واشار المؤتمر إلى ان النضال في سبيل الديمقراطية ليس خطوة تكتيكية بالنسبة للشيوعيين. فالطبقة العاملة وجميع الشغيلة ليسوا لا ابايين ابدأ ازاء الشكل الذي تحقق فيه البرجوازية سيطرتها: بشكل الديمقراطية البرجوازية أم بشكل الدكتاتورية الفاشية السافرة. والشيوعيون، الذين يؤيدون الديمقراطية الاشتراكية يرون من واجبهم في الوقت ذاته الدفاع الحازم عن الحقوق والحريات الديمقراطية البرجوازية، التي احرزتها الطبقة العاملة في البلدان طوال سنين عديدة.

ان شعار النضال في سبيل الديمقراطية كان مفهوماً لدى الفئات الواسعة من العمال وعناصر البرجوازية الصغيرة. فقد ساعد على استنهاض جماهير شعبية هائلة للنضال. ضد الفاشية، بما في ذلك الفئات التي ما كان بوسعها ان تؤيد الشيوعيين لو انهم خاضوا النضال ضد الفاشية تحت شعار النضال في سبيل دكتاتورية البروليتاريا.

لقد شجب المؤتمر السابع للكومنترن استصغار النضال في سبيل الديمقراطية باعتباره عائقاً جدياً في طريق رص صفوف القوى المناهضة للفاشية، واعتبر النضال ضد الفاشية وفي سبيل الديمقراطية اكبر مهمة مباشرة للحركة الشيوعية العالمية.

وقد ناقش المؤتمر السابع في بداية عمله تقريراً عن نشاط اللجنة التنفيذية للكومنترن القاه فلهيلم بيك. وتضمن التقرير تحليلاً للتطور العالمي

وتعاضد النضال الطبقي والمناهض للفاشية والوضع في الحركة الشيوعية العالمية. و اشار التقرير إلى ان التحليل الاساسي لافاق التطور العالمي، الذي قدمه المؤتمر السادس للكومنترن في عام ١٩٢٨ قد تأكد كلياً. وقد توقف بيك عند الوقائع الدالة على النحو الكبير للحركة الشيوعية العالمية. و اشار مع ذلك إلى بعض النواقص والاتجاهات الانعزالية في نشاط اللجنة التنفيذية وفي عمل بعض الاحزاب الشيوعية. وتضمن التقرير تحليلاً للوضع الجديد، في ظروف الازمة الاقتصادية العالمية وبداية هجوم الرأسمالية والفاشية والحرب، ووضع المهمة الاساسية امام الاحزاب الشيوعية، الا وهي تشكيل الجبهة العالمية والشعبية الموحدة. ووردت في القرار، الذي اتخذ بصدد التقرير، توصيات بشأن منح المزيد من الاستقلال والمبادرة إلى فروع الامة.

وكرس ديميتروف تقريراً خاصاً لمسألة تشكيل الجبهة البروليتارية والشعبية الموحدة. وكان التقرير بعنوان « هجوم الفاشية ومهمات الامة الشيوعية في النضال من أجل وحدة الطبقة العاملة ضد الفاشية ». وحلل المؤتمر السابع الجوهر الطبقي للفاشية وكشف عن اسباب تسلمها السلطة في بعض البلدان. وحذرت الكومنترن الشيوعيين من استصغار الخطر الفاشي. ولكنها رفضت في الوقت ذاته الحتمية القدرية لانتصار الفاشية. و اشار المؤتمر السابع إلى ان الطبقة العاملة تستطيع ان تلحق الهزيمة بالفاشية اذا استخدمت تكتيكاً صائباً وشتت النضال في الوقت اللازم ورصت صفوف الحلفاء حولها. ولذلك بالذات علقت الكومنترن أهمية كبيرة على وضع تكتيك صائب لمكافحة الفاشية. ويتلخص هذا التكتيك في تنظيم الجبهة الشعبية الموحدة المناهضة للفاشية على اساس الجبهة البروليتارية الموحدة.

واهتم المؤتمر اهتماماً من الدرجة الأولى بتأسيس الجبهة الموحدة للطبقة العاملة. وأوصت الكومنترن باستخدام تكتيك الجبهة الموحدة بشكل جديد، واحراز الاتفاقات بشأن الاعمال المشتركة مع منظمات الشغيلة من مختلف الاتجاهات السياسية على الاصعدة المصنعية والمحلية والاقليمية والوطنية العامة

والعالمية. وأوصت الكومنترن الشيوعيون بالسعي لخوض نضالات مشتركة مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات الاصلاحية وغيرها من المنظمات على أساس الاتفاقات الطويلة الأمد أو القصيرة. وما كان لذلك بالطبع ان يؤدي إلى تخلي الأحزاب الشيوعية عن عملها الايديولوجي والتنظيمي المستقل بين الجماهير، ولكنه سهل احراز الوحدة العمالية.

وكان المضمون الرئيسي للجبهة العمالية الموحدة في جميع البلدان الرأسمالية يتلخص في صيانة المصالح المباشرة للطبقة العاملة والدفاع عنها ضد هجوم الفاشية. ونظراً لذلك اوصى المؤتمر بطرح شعارات واشكال للنضال تنبع من المتطلبات الحيوية للجماهير، ومن مستوى قدرتها الكفاحية، وتستطيع ان تحرك الجماهير الواسعة. وكان من المهم جداً اطلاع الجماهير على ما ينبغي ان تفعله لكي تردع النهب الرأسمالي والفاشية. وكان من غير الكافي الاقتصار على النداءات للنضال في سبيل دكتاتورية البروليتاريا. وبلاستناد إلى الخبرة، التي جمعتها الأحزاب، أوصت الكومنترن بالسعي إلى تعبئة الجماهير حول البرنامج العزيز على هذه الجماهير، وذلك عن طريق الاعمال المشتركة للمنظمات العمالية. وكان ينبغي ان تدرج ضمن هذه البرامج مطالب تلقي اعباء الازمة على كاهل الاستغلاليين، وتشويش الأمر على الفاشية وتعرقل التحضيرية للحرب وتضعف البرجوازية وتعزز البروليتاريا.

وأكدت قرارات المؤتمر السابع للكومنترن ضرورة اللجوء إلى مختلف اشكال العمل لتحقيق الجبهة البروليتارية الموحدة. وعمم المؤتمر السابع اعمال الجماهير الفعلية في مختلف البلدان وأوصى باستخدام اشكال مثل الاعمال المشتركة المنسقة للعمال بين الحين والآخر بشأن امور ملموسة، وبشأن مطالب معينة، أو على أساس برنامج مشترك، وكذلك الاعمال المنسقة في بعض المؤسسات الانتاجية أو في فروع الانتاج، والاعمال المنسقة على الاصعدة المحلية والاقليمية والوطنية والعالمية، الاعمال المنسقة في ميدان تنظيم النضال الاقتصادي للعمال والدفاع عن مصالح العاطلين والنشاطات السياسية

الجماهيرية وتنظيم الدفاع المشترك دون الهجمات الفاشية وهلمجراً. ونص تكتيك الجبهة الموحدة على تأسيس هيئات انتخابية (وغير انتخابية في بلدان الدكتاتورية الفاشية) غير حزبية للجبهة الموحدة في المؤسسات الانتاجية وبين العاطلين عن العمل، وفي احياء العمال وبين البرجوازيين الصغار من سكان المدن وفي الارياف. ووضعت الكومنترن تكتيك الجبهة الموحدة بالنسبة للحملات الانتخابية. وأوصت الأحزاب الشيوعية بالسعي إلى تحقيق الجبهة الموحدة في الانتخابات مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات ومنظمات الفلاحين والحرفيين والخ... . وكان باستطاعة الأحزاب الشيوعية ان تقدم على طرح برنامج مشترك، وقوائم مشتركة للجبهة المناهضة للفاشية. وكانت مهمة الجبهة الموحدة في الانتخابات تتلخص في الحيلولة دون انتخاب الشخصيات الرجعية والفاشية.

ووجه المؤتمر السابع للكومنترن اهتماماً كبيراً بوحدة الحركة النقابية. وأوصى الشيوعيين بالسعي إلى تحقيق وحدة النقابات على الاصعدة الانتاجي والوطني والعالمي. وكان المقصود هو تأسيس النقابات الطبقة الموحدة في كل فرع انتاجي، وفي كل بلد، وكذلك منظمة نقابية عالمية موحدة. ودعت الكومنترن النقابات الحمراء، اذا كانت صغيرة، إلى الانضمام إلى النقابات الاصلاحية الكبيرة، أو - اذا كان قوة وجماهيرية لدرجة كافية - إلى الاتحاد مع النقابات الاصلاحية على أساس التكافؤ، وعلى اساس منهاج النضال ضد الفاشية والرأسمال، مع ضمان الديمقراطية النقابية.

وكان من اهم مآثر المؤتمر السابع عرضه لفكرة ايجاد الحزب السياسي الجماهيري الموحد للطبقة العاملة في كل بلد. وقد استندت استنتاجات الكومنترن على ميل العمال المتزايد إلى توحيد الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية أو المنظمات المنفصلة مع الأحزاب الشيوعية. وطرحت الكومنترن على الأحزاب الشيوعية مهمة الاضطلاع بهذه القضية الهامة، وصاغ المؤتمر السابع الأسس العامة لقيام هذا التوحيد وهي: الاستقلال التام عن البرجوازية

والقطيعة التامة بين كتلة الاشتراكية الديمقراطية وبين البرجوازية، والتحقيق مسبقاً لوحدة الاعمال، والاعتراف بضرورة الاطاحة الثورية بسيطرة البرجوازية واقامة دكتاتورية البروليتاريا، والتخلي عن التأييد للبرجوازية في الحرب الامبريالية، وبناء الحزب على اساس المركزية الديمقراطية. ولغرض احراز الوحدة السياسية للبروليتاريا اعلنت الكومنترن عن استعداد الاحزاب الشيوعية لبدء المفاوضات فوراً مع الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بشأن التوحيد. وطرح في الوقت ذاته مسألة استعداد الكومنترن للدخول في مفاوضات بهذا الشأن مع الاممية العمالية الاشتراكية.

وهكذا ناقش المؤتمر السابع للكومنترن بعمق وتفصيل مسألة طرق ووسائل تأسيس الجبهة العمالية الموحدة ومهامها ونشاطها. وتشيع عمل المؤتمر كله بالفكرة القائلة بأن نجاح وحدة الطبقة العاملة متوقف على تشكيل ائتلاف شعبي اوسع مناهض للفاشية. ولكن المؤتمر لم يعتبر ابداً ان عملية تأسيس الجبهة العمالية الموحدة يجب ان تسبق من حيث الزمن حتماً تأسيس الجبهة الشعبية. فقد اشارت قرارات المؤتمر إلى ان النضال في سبيل تأسيس الجبهة العمالية والنضال في سبيل الجبهة الشعبية يمكن ان يجري في نفس الوقت وان يؤثر بعضهما على بعض.

وحلل المؤتمر السابع للكومنترن بالتفصيل مسألة تأسيس الجبهة لشعبية الواسعة المناهضة للفاشية على اساس الجبهة العمالية الموحدة. ودعا الاحزاب الشيوعية إلى العمل على توحيد الفلاحين الكادحين والبرجوازية الصغيرة في المدن والجماهير الكادحة في الاقوام المضطهدة وذلك تحت قيادة البروليتاريا.

وكان من الضروري تشديد النضال دفاعاً عن المطالب الخاصة لهذه الفئات واتسم بأهمية كبيرة انتشار حركة الفلاحين ضد ارتفاع الاسعار والضرائب والديون المرهقة وضد عبء بدلات الاجار وبيع اموال الفلاحين عنوة، وفي سبيل مساعدة الدولة للفلاحين، الذين يصيهم الدمار. وطرح كذلك مهمة تعبئة الفئات الوسطى والبرجوازية الصغيرة من سكان المدن

والمثقفين والمستخدمين، ضد هجوم الرأسمال.

وابدى المؤتمر اهتماماً كبيراً باجتذاب الشبيبة والنساء الكادحات والعاطلين عن العمل وهلمجراً إلى الجبهة الشعبية الموحدة. وعلمت الكومنترن الاحزاب الشيوعية استخدام ادنى امكانية علنية او شبه علنية لمكافحة الفاشية. ولهذا الغرض اوصى المؤتمر السابع الشيوعيين بالانتساب إلى جميع المنظمات الجماهيرية الفاشية وخوض النضال داخلها بغية تفتيت القاعدة الجماهيرية للفاشية. ووضحت الكومنترن للاحزاب الشيوعية ضرورة شن النضال الايديولوجي المنتظم ضد الفاشية. وكانت لجميع توصيات المؤتمر السابع هذه اهمية فائقة بالنسبة لنضال الشيوعيين في سبيل توحيد الفئات الديمقراطية الواسعة لمكافحة الخطر الفاشي.

واتسمت بأهمية كبيرة كذلك فكرة المؤتمر السابع للكومنترن بصدد حكومة الجبهة البروليتارية أو الشعبية. وكان من شأن النضال ضد هجوم الرأسمالي والفاشية والحرب أن يشدد الازمة السياسية. وفي هذه الظروف كان على الاحزاب الشيوعية أن تطرح شعارات ثورية جذرية: الرقابة على الانتاج والبنوك، حل البوليس، تأسيس الميليشيا العمالية وهلمجراً. وكان بوسع هذه الشعارات ان ترص صفوف الجماهير الواسعة وتؤدي إلى اقامة حكومة الجبهة البروليتارية أو الشعبية. وكان بوسع هذه الحكومة أن تتسم بطابع مناهض للفاشية، وان تقوم باجراءات حازمة ضد الفاشية والرجعية. و اشار المؤتمر إلى ان الاحزاب الشيوعية ستؤيد بقوة مثل هذه الحكومة، ويمكن ان تساهم فيها، وتنضم اليها، تبعاً للوضع الملموس. ان فكرة حكومة الوحدة الشعبية قد حظيت بتأييد حار من جانب جماهير الشغيلة في بلدان عديدة.

ونص تكتيك الجبهة الموحدة على تشكيل جبهة شعبية مناهضة للامبريالية في البلدان التابعة. واوصى المؤتمر السابع للكومنترن الشيوعيين باجتذاب الجماهير الشعبية الواسعة إلى حركة التحرر الوطني، والمساهمة النشيطة في جميع النضالات ضد الامبريالية، والسعي إلى الاعمال المشتركة مع

المنظمات الوطنية. وأكد المؤتمر الترابط الوثيق بين نضال البروليتاريا التحرري في البلدان الامبريالية وبين النضال التحرري للشعوب التابعة.

وشمل تكتيك الجبهة الموحدة كذلك ميدان مكافحة خطر الحرب العالمية. وبناء على تقرير ايركولي (تولياني) استحسّن المؤتمر القرار الخاص «بمهمات الامة الشيوعية بمناسبة تحضير الامبريالية لحرب جديدة». وانطلق المؤتمر من ان الحرب هي قرينة حتمية للنظام الرأسمالي. ولكنه ينبغي ان لا يكون هنا ايضاً مجالاً للقدرية وما يرافقها من سلبيه واضعاف الجماهير. وقال ايركولي في تقريره: «ان النضال في سبيل السلام، حتى في أحلك الاوقات، ليس امراً عديم الجدوى، ذلك لاننا، عندما نناضل في سبيل السلام، نعتمد على قوة الطبقة العاملة التي تمسك بزمام السلطة في الاتحاد السوفيتي». وبين المؤتمر السابع البطلان التام لآراء (اليساريين) الجامدة بشأن مسألة الحرب. وقال ديميتروف ان هؤلاء الاشخاص يفكرون على النحو التالي: «ما دامت الرأسمالية هي السبب الاساسي للحرب فمن المستحيل تلافي الحرب طالما ان الرأسمالية موجودة، ولا أمل ولا جدوى في النضال من أجل صيانة السلام... انهم يرون في كل مكان قوى الحرب الهائجة، ولكنهم لا يلاحظون مطلقاً عوامل السلام الجبارة».

وصاغ المؤتمر السابع للكومنترن المهمات الملموسة للاحزاب الشيوعية والطبقة العاملة في النضال ضد خطر الحرب. علماً بأن المؤتمر أكد ان النضال في سبيل السلام هو الشعار الاساسي للاحزاب الشيوعية. ودعا المؤتمر بالدرجة الاولى شعوب العالم أجمع إلى النضال في سبيل السلام دفاعاً عن الاتحاد السوفيتي. وكان من اكبر مهمات الاحزاب الشيوعية النضال ضد النزعة العسكرية والتسليح. ودعت الكومنترن الاحزاب الشيوعية إلى النضال ضد الشوفينية وفي سبيل التحرر الوطني وتأيد حروب التحرر الوطني. وطالبت الكومنترن الاحزاب الشيوعية بان توفق بمهارة بين النضال ضد الحرب الامبريالية والنضال ضد الفاشية. واثار المؤتمر السابع إلى ان النضال

في سبيل السلام يبيء للاحزاب الشيوعية اقصى الامكانات لتأسيس الجبهة الشعبية الموحدة. وعلى الاحزاب الشيوعية ان تشرك في الجبهة الموحدة المناوئة للحرب جميع الذين لهم مصلحة في صيانة السلام. وقدم المؤتمر السابع إلى الشيوعيين توصيات بشأن التكتيك في حالة نشوب حرب عالمية. وانطلاقاً من التعاليم اللينينية ومن خبرة الحزب البلشفي أكد المؤتمر تكتيك الشيوعيين لتحويل الحرب الامبريالية إلى حرب اهلية ضد الفاشية وضد البرجوازية، في سبيل اسقاط الرأسمالية. وأوصى المؤتمر الاحزاب الشيوعية والطبقة العاملة بالعمل بكل القوى على مساعدة الشعب السوفيتي، لاحتراز الانتصار، في حالة هجوم الامبرياليين عليه.

ولدى النظر في مسألة العلاقة بين الحرب والثورة رفض المؤتمر بحزم الافتراء الزاعم بأن الشيوعيين يرغبون في الحرب توقعاً منهم بأنها تحمي الثورة. فالشيوعيون، على العكس، يسعون بكل القوى إلى الحيلولة دون اعداد الحرب الجديدة ودون اشعال نيرانها. وهكذا ساهم المؤتمر السابع بقسط كبير في معالجة مسائل النظرية والتكتيك فيما يخص مكافحة الحروب في المرحلة الاولى من الازمة العامة للرأسمالية.

وأخيراً ناقش المؤتمر السابع تقرير مانويلسكي واتخذ قراراً بعنوان «انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي واهميته التاريخية العالمية». وبعد ان أشاد المؤتمر بالاهمية الفائقة لبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي دعا شغيلة العالم أجمع إلى «المساعدة بكل القوى والوسائل على تعزيز الاتحاد السوفيتي والنضال ضد أعدائه».

وهكذا مارس المؤتمر السابع للكومنترن عملاً واسعاً جداً في تعميم خبرة الاحزاب الشيوعية ومعالجة تكتيكها حسب الوضع الجديد. ويتلخص فضل المؤتمر تاريخياً في انه قدم للشيوعيين والشغيلة في العالم اجمع توجيهاً استراتيجياً وتكتيكياً جديداً لمكافحة الفاشية والحرب. وفي تلك الفترة التاريخية المعقدة كانت الكومنترن بالذات، وليس اية منظمة أخرى أو تيار آخر، قد رسمت

للشعوب طريقها في مكافحة خطر الفاشية وزودتها بسلاح تنظيم مقاومة قوى الرجعية والحرب. ان المؤتمر السابع، الذي ساهم بقسط تاريخي في وضع استراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية في الظروف الجديدة، سيظل يرمز إلى الخدمات الجليلة التي قدمتها الكومنترن إلى شغيلة العالم اجمع.

صعوبات ونجاحات النضال في سبيل نهج الكومنترن الجديد

تقبلت الجماهير الشعبية في العالم اجمع باستحسان كبير نهج الكومنترن الرامي إلى تأسيس الجبهة العمالية والشعبية الموحدة. وبينت الاجتماعات الحاشدة والتجمعات، التي عقدت في بلدان كثيرة، ان تكتيك الكومنترن يحظى بالتأييد ليس فقط لدى الشيوعيين، بل ولدى الاشتراكيين واللاحيين. وانطلاقاً من الخبرة المكسدة وتوجيهات الكومنترن اخذت الاحزاب الشيوعية تناضل بنجاح في سبيل تأسيس الجبهة الموحدة المعادية للفاشية. واحرزت الاحزاب الشيوعية في فرنسا واسبانيا وشيلي نجاحات كبيرة في تنفيذ هذه المهمة.

وسعت الكومنترن إلى تحقيق وحدة القوى المناهضة للفاشية على الصعيد العالمي ايضاً. فقد جهدت بلا كلل من أجل اقامة الاتصالات مع قيادة الاممية العالمية الاشتراكية. وفي ١٩٣٥ - ١٩٣٩ توجهت اللجنة التنفيذية للكومنترن عشر مرات إلى زعماء الاممية العالمية الاشتراكية بمنهاج معين للاعمال الموحدة. الا ان اقتراحاتها بشأن الاعمال الموحدة ضد عدوان الدول الفاشية على اثيوبيا واسبانيا بشأن المسائل الأخرى رفضت رفضاً قاطعاً من جانب الزعماء الاصلاحيين للاممية العالمية الاشتراكية.

وإلى جانب الانتهازين اليمينيين انخرطت مختلف العناصر اليسارية المتطرفة، وبالدرجة الأولى التروتسكيون، في النضال ضد خطر الكومنترن الجديد. فقد اتهم التروتسكيون الشيوعيين (بخيانة) الثورة البروليتارية

وبالتخلي عن المبادئ الثورية وبالاتقال إلى مواقف الاشتراكية الديمقراطية وهلمجرا. واعلنوا بصورة ديباغوية ان نهج الكومنترن لتأسيس الجبهة الشعبية الواسعة المناهضة للفاشية هو انتقال إلى التصالح الطبقي مع البرجوازية.

وإلى جانب ذلك واجه تطبيق نهج المؤتمر السابع صعوبات نجمت عن الانعزالية وميول الجمود في عدد من الاحزاب الشيوعية نفسها. وكان من العسير خصوصاً تكيف الاحزاب الشيوعية العاملة سراً. وشق النهج الجديد الطريق لنفسه بصعوبة في الاحزاب الشيوعية في المانيا والمجر وبلغاريا ويوغسلافيا وعدد آخر من البلدان.

ومع ذلك تمكنت الكومنترن من احراز نجاح هام في تحقيق وحدة الحركة النقابية. فطبقاً لخط المؤتمر السابع للكومنترن أخذت الاممية النقابية الحمراء تعمل على ضم نقاباتها الصغيرة إلى النقابات الاصلاحية الكبيرة واتحاد النقابات اليسارية الكبيرة مع النقابات الاصلاحية على اساس التكافؤ وبموجب برنامج للنضال ضد الفاشية والحرب وبشرط تأمين الديمقراطية النقابية. وجرى توحيد النقابات في فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الاميركية ورومانيا والهند واسبانيا وكندا واميركا اللاتينية وهلمجرا. وفي أواخر ١٩٣٧ توقف نشاط الاممية النقابية الحمراء وذلك بسبب انضمام قسم كبير من فروعها إلى نقابات اممية امستردام النقابية. ولم يضعف هذا التكتيك الحركة النقابية، بل، على العكس، عزز وحدة الطبقة العاملة وساعد على تنامي الصفوف النقابية.

وعشية الحرب العالمية الثانية اتخذ الشيوعيون وسائر انصار السلام جملة اجراءات كبرى ضد مشعلي الحروب. وفي تموز ١٩٣٦ عقد في براغ مؤتمر مثلي الحركة المناوئة للحرب في بلدان وسط وجنوب شرقي اوروبا. وقامت في فرنسا في آب ١٩٣٦ مظاهرات ضد الحرب، كما اقيم (اسبوع السلام). وفي ايلول ١٩٣٦ انعقد في بروكسل المؤتمر العالمي للسلام الذي حضره ممثلون عن ٣٥ بلداً. ومما له دلالة ان زعماء الاممية العالمية الاشتراكية لم يرغبوا في المساهمة في

اعمال هذا المؤتمر. وكان تعاضد النضالات المناوئة للحرب عائقاً في طريق الفاشية ومشعلي الحروب.

عبر الجبهة الشعبية في فرنسا وأهميتها التاريخية

ان الاستراتيجية والتكتيك الجديدين، اللذين وضعهما المؤتمر السابع للكونغرس لأجل الحركة الشيوعية العالمية، كانا لحد كبير تعميماً عملياً للخبرة التي جمعتها الحركة العمالية في بعض البلدان حتى ذلك الحين. وان خبرة فرنسا وشيلي كانت - ولا تزال - تتسم بأهمية كبيرة خاصة للحركة العمالية العالمية.

كان الحزب الشيوعي الفرنسي اول من وضع تكتيكاً جديداً للنضال ضد الفاشية والحرب، هو تكتيك الجبهة العمالية والشعبية الموحدة. وكان اشتداد الصراع بين قوى الديمقراطية والرجعية في فرنسا يعود لدرجة كبيرة إلى تأثير وعواقب الازمة الاقتصادية العالمية. فان اشتداد استغلال الطبقة العاملة ودمار الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن، خلال سنوات الازمة، قد اديا إلى اشتداد التناقضات الطبقية. وفي الوقت ذاته اندلع نضال التحرر الوطني في المستعمرات الفرنسية: مراكش والهند الصينية والجزائر.

كانت البرجوازية الفرنسية تتمسك جزئياً بمواقف الحفاظ على الديمقراطية البرجوازية، وتميل جزئياً إلى الفاشية مؤملة في القضاء على الحركة العمالية بواسطة. وبمساعدة الاوساط الرجعية البرجوازية تشطت المنظمات الفاشية والمالية للفاشية، بما فيها المنظمات الموجودة سابقاً والمنظمات الجديدة.

وفي ٦ شباط ١٩٣٤ توجه ٥٠ الف فاشي مسلح نحو مبنى الحكومة في باريس بغية تفريق البرلمان واقالة الحكومة واقامة الدكتاتورية الفاشية. ولم يحبط هذا التمرد الا بفضل تدخل الجماهير الشعبية النشط. ولعبت الدور الحاسم في اخماده البروليتاريا التي هبت للذود عن الجمهورية تلبية لنداء الحزب الشيوعي.

وبين ردع الفاشية بوضوح خاص ضرورة وأهمية وحدة الطبقة العاملة في النضال ضد الرجعية. وحظي نداء الحزب الشيوعي الفرنسي إلى الوحدة بالتجاوب الحي لدى جماهير العمال. ففي العديد من المؤسسات الانتاجية تحققت عفواً وحدة منظمات القاعدة التابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي والحزب الشيوعي الفرنسي. وكانت رغبة اعضاء الحزب الاشتراكي البسطاء الشديدة إلى الوحدة قد ارغمت زعماءه على تغيير موقفهم السلبي من التعاون مع الشيوعيين والاقدام على الاتفاق مع الحزب الشيوعي. وفي ٢٧ تموز ١٩٣٤ عقدت بين الشيوعيين والاشتراكيين اتفاقية وحدة الاعمال والنضال ضد خطر الفاشية. وهكذا ارسيت بمبادرة الحزب الشيوعي الفرنسي اسس الجبهة العمالية الموحدة في فرنسا.

واتسمت تصفية الانقسام في الحركة النقابية بأهمية كبيرة للنضال في سبيل وحدة الطبقة العاملة وتشكيل الجبهة الشعبية الواسعة. ففي أيلول ١٩٣٥ عقد في باريس مؤتمراً (اتحاد العمل العام) و (اتحاد العمل العام الوحدوي)، واعربا عن تأييدهما للتوحيد، وفي مطلع عام ١٩٣٦ عقد المؤتمر الوطني الموحد. وتأسس اتحاد العمل العام الذي اعترف ببرنامج الجبهة الشعبية. وانتخب اثنان من الشيوعيين لعضوية الهيئة القيادية للاتحاد الموحد. كانت وحدة اعمال الحزبين الاساسيين للطبقة العاملة وتأسيس المركز النقابي الموحد قد عززا قوى البروليتاريا ووسعا نفوذها بين الفئات المتوسطة وشددا النضال في سبيل الجبهة الشعبية الواسعة. وتحت ضغط الجماهير اتخذت قيادة حزب الراديكاليين قراراً بالالتحاق بالجبهة الشعبية.

كان نشاط الشيوعيين والقوى الديمقراطية الأخرى الهادف قد ساعد على ان ينضم إلى الحركة المناهضة للفاشية والحرب الفلاحون والبرجوازية الصغيرة من سكان المدن والمثقفون الكادحون، أي قسم كبير من جميع الفئات التي تتعارض مصالحها مع خطط الرجعية الاحتكارية. وخلافاً لألمانيا، اصبح قسم كبير من الفلاحين والفئات المتوسطة من سكان المدن في فرنسا حلفاء

للبروليتاريا في النضال ضد الرجعية وليس سنداً اجتماعياً للفاشية.

وبمبادرة من الحزب الشيوعي الفرنسي اتخذت خطوات نحو تكوين الجبهة الشعبية. وفي كانون الثاني ١٩٣٦ نشرت منظمات الجبهة لشعبية برنامجاً واسعاً للنضال ضد خطر الفاشية والحرب. ونص البرنامج على تأميم البنك الفرنسي والبنوك الكبيرة الأخرى، وإصلاح نظام الضرائب وفرض اعبائها على الرأسمال الكبير، وإلغاء المراسيم التي تحد من حرية الصحافة، وإعلان العفو السياسي، ونزع سلاح المنظمات الفاشية وحلها فعلاً، وتحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية للشعوب المستعمرة. ونص برنامج الجبهة الشعبية، تغييراً منه على المطالب الملحة للشغيلة، على تأسيس صندوق لمساعدة العاطلين عن العمل وتنظيم الاعمال الاجتماعية ورواتب التقاعد للشغيلة الكهول واستخدام العقود الجماعية الإلزامية وإقرار اسعار عادلة للمنتوجات الزراعية وتسوية ديون التجار الصغار. وفي ميدان السياسة الخارجية نص برنامج الجبهة الشعبية على تنفيذ اجراءات مكافحة خطر الحرب العالمية الجديدة المتزايد وذلك عن طريق تعزيز العلاقات الفرنسية السوفيتية وعن طريق تأسيس نظام الامن الجماعي. ونص البرنامج على تأميم الصناعة الحربية وحظر التجارة الخاصة بالاسلحة وهلمجراً.

وكانت انتخابات مجلس النواب التي جرت في نيسان - ايار ١٩٣٦ قد حملت الفوز للجبهة الشعبية. فقد صوت لاجزابها ٥,٥ ملايين شخص، اي ٥٦,٦٪ من العدد الاجمالي للاصوات. واحرز الحزب الشيوعي فوزاً باهراً حيث حصل على زهاء ١,٥ مليون صوت وعلى ٧٤ مقعداً نيابياً. وقد كشفت نتيجة الانتخابات النيابية لعام ١٩٣٦ عن الامة للجبهة الشعبية في النضال ضد القوى الرجعية.

وفي ٧ حزيران ١٩٣٦ شكل الاشتراكي اليميني لينون بلوم حكومة من الاشتراكيين والرايكاكين واعلن الحزب الشيوعي انه سيؤيد الحكومة تأييداً تاماً بشرط تطبيق برنامج الوحدة الشعبية. وفي الوقت ذاته شنت الطبقة

العاملة، دون انتظار اجراءات الحكومة، نضالاً في سبيل تطبيق هذا البرنامج. وساهم ١,٥ مليون شخص في الحركة الاضرابية، التي اجتاحت جميع المراكز الكبرى في البلاد تقريباً منذ اواخر ايار. واخذ العمال يستولون على المصانع والنقابات. واضطر ارباب العمل إلى توقيع مع اتحاد العمل العام. وزيدت الاجور بالمتوسط بنسبة ١٥٪، وطبقت الاجازات المدفوعة الأجر (١٤ يوماً في العام) وتم تحديد اسبوع العمل من ٤٠ ساعة بدون تقليص الأجور. واعترف ارباب العمل بالعقود الجماعية وبحقوق المفوضين النقابيين في المؤسسات الانتاجية.

وتحت ضغط كبير من العمال طبقت الحكومة عدة بنود اخرى من برنامج الجبهة الشعبية. فقد اعيدت إلى المستوى السابق رواتب المستخدمين الصغار في دوائر الدولة والمؤسسات الانتاجية بعد ان تقلصت بموجب المراسيم الاستثنائية السابقة. وتوقف بيع اموال التجار الصغار والحرفيين بالهزاد لتسديد ديونهم. واحراز « مكتب الحبوب الوطني » المستحدث بعض الاستقرار في اسعار المنتوجات الزراعية عن طريق شرائها من الفلاحين. وبذلك تحسنت اوضاع الفلاحين. وتحقق كذلك تأميم جزئي للصناعة الحربية واجرى اصلاح البنك المركزي وخصصت اعتمادات للشؤون الاجتماعية. وفي ٩ حزيران ١٩٣٦ اكدت الحكومة على مرسوم منع المنظمات الفاشية، وهو المرسوم الذي صدر قبل ذلك بقليل.

لقد واجهت الخطوات الأولى لتنفيذ برنامج الوحدة الشعبية مقاومة مسعورة من جانب الرجعية. واعتبار من خريف ١٩٣٦ انتقلت حكومة بلوم مباشرة إلى سياسة متعارضة مع برنامج الوحدة الشعبية. وفي آذار ١٩٣٧ اعلنت حكومة بلوم، متحججة بضرورة « تثبيت » الاجراءات المتخذة، عن « فترة انقطاع » في تنفيذ برنامج الوحدة الشعبية. وفي نيسان ١٩٣٨ تسلمت السلطة حكومة برئاسة الراديكالي دالاديه. وبعد ان تلسم دالاديه صلاحيات

خاصة من مجلس النواب نشر في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٨ مراسيم تتعارض
وبرنامج الجبهة الشعبية.

لم يتسن لعمال فرنسا المحافظة على الجبهة الشعبية، ولكن خبرتها
ودروسها تسهم بأهمية تاريخية كبيرة. فبفضل تأسيس الجبهة العمالية الموحدة
والجبهة الشعبية امكن درء انتصار الفاشية والحيلولة دون اقامة الدكتاتورية
الفاشية في البلاد. وكان تشكيل الجبهة العمالية الموحدة والجبهة الشعبية في
فرنسا نجاحاً باهراً للشيوعيين والطبقة العاملة والشغيلة جميعاً. وساعدت هذه
الخبرة في وضع الاستراتيجية والتكتيك الجديدين للحركة الشيوعية العالمية.

العبر التاريخية للحرب الوطنية الثورية للشعب الاسباني (١٩٣٦ - ١٩٣٩)

كان تأسيس الجبهة الشعبية في اسبانيا عام ١٩٣٦ حدثاً بارزاً في
النضال ضد الفاشية. وادت محاولة الرجعية الاسبانية لاقامة دكتاتورية فاشية
دينية في البلاد إلى انتفاضة مسلحة اعلنتها الجماهير البروليتارية في استوريا،
في تشرين الأول ١٩٣٤. وبيئت الانتفاضة ضرورة وحدة الطبقة العاملة في
النضال ضد الرجعية وساعدت على التقارب بين الحزبين الشيوعي
والاشتراكي، واخذت الاحزاب الجمهورية البقي برجوازية تساهم في النضال
ضد الرجعية. وتهيأت ظروف ملائمة لتحقيق وحدة اعمال الطبقة العاملة
وتأسيس الجبهة الموحدة للقوى الديمقراطية.

وفي ايار ١٩٣٥ توجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي إلى جميع
الديمقراطيين بنداء تدعوهم فيه إلى تأسيس الجبهة الشعبية بغية وقف هجوم
الفاشية. وبعد مباحثات طويلة امكن، في اواسط كانون الثاني ١٩٣٦،
بنتيجة اصرار الشيوعيين، الاتفاق والتحالف ووحدة الاعمال بين الاحزاب
الجمهورية البقي برجوارية والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي. وهكذا

ولدت الجبهة الشعبية، التي انضمت اليها كذلك منظمات الشبيبة والنقابات
(ماعدا السيندكالية الفوضوية).

ونصر برنامج الجبهة على صدور عفو عن السجناء السياسيين وبعث
الضمانات الدستورية وتخفيض الضرائب وبدلات الايجار وتقديم المساعدة
للفلاحين من جانب الدولة ودعم الصناعة الصغيرة والتجارة وهلمجرا. ولم
يحسد البرنامج بشكل كامل مطالب الشيوعيين، وكانت فيه جملة نواقص
جدية، وخصوصاً بشأن المسألة الزراعية. بيد ان الحزب الشيوعي الاسباني
انطلق من ان المهمة الاستراتيجية الاساسية آنذاك هي تأمين وحدة الجماهير في
النضال ضد الرجعية.

لقد امن تكوين التحالف الواسع بين القوى الديمقراطية فوز الجبهة
الشعبية في الانتخابات النيابية في شباط ١٩٣٦. وشرعت الحكومة البرجوازية
الجمهورية اليسارية، التي تسلمت السلطة، بتنفيذ برنامج الجبهة الشعبية.
وتفتحت امام اسبانيا آفاق تعميق وتطوير الثورة الديمقراطية والتقدم
الاجتماعي والاقتصادي.

وبعد ان اخفقت الرجعية الاسبانية في الانتخابات قررت استعادة
السلطة عن طريق الاطاحة بالحكومة الديمقراطية بقوة السلاح. وفي ١٧ -
١٨ حزيران ١٩٣٦ حركت العناصر الرجعية وحدات من الجيش الاسباني
لحمل السلاح في وجه الجمهورية. فنشبت الحرب الاهلية، التي استمرت
حتى آذار ١٩٣٩.

كان الفاشيون برئاسة الجنرال فرانكو يأملون من وراء التمرد، الذي
اعلنوه ضد الجمهورية، احراز النصر في أقرب وقت ودحر الجبهة الشعبية
واقامة الدكتاتورية العسكرية الفاشية. ولكنهم واجهوا مقاومة عنيدة من جانب
الشعب. وتلبية لنداء الحزب الشيوعي وسائر منظمات الجبهة الشعبية هبت
القوى الديمقراطية في اسبانيا للنضال ضد المتمردين وضد المتدخلين الالمان
والايطاليين، الذين سارعوا لنجدة الفاشيين.

لقد ادرك الحزب الشيوعي تماماً ان الجبهة الشعبية لن تستطيع تنفيذ المهمات العسيرة المطروحة عليها الا اذا اعتمدت على دعم الجماهير الواسعة، والا اذا عملت جميع الاحزاب والمنظمات المنضمة اليها بصورة مشتركة في النضال من أجل الاهداف المشتركة.

ووجه الحزب اهتماماً خاصاً لتعزيز مواقع الطبقة العاملة. فمنذ الايام الأولى للحرب تم، على أساس مبادئ الماركسية - اللينينية، توحيد أربعة احزاب عمالية غير كبيرة في كاتلونيا في حزب كاتلونيا الاشتراكي الموحد، الذي اصبح جزء من الحزب الشيوعي. وفي ذلك الوقت انجز توحيد منظمي الشيبيبة الشيوعية والاشتراكية في منظمة الشيبيبة الاشتراكية الموحدة.

وفي الفترة الأولى من الحرب اشتد لدى الحزب الاشتراكي الطموح إلى تطوير وحدة الاعمال مع الحزب الشيوعي. وفي مطلع عام ١٩٣٧ تأسست لجنة الارتباط بين الحزب الشيوعي الاسباني والحزب الاشتراكي العمالي الاسباني، بالرغم من مقاومة الجناح « اليساري المتطرف » والجناح اليميني في الحزب، وفي آب ١٩٣٧ تم التوقيع على اتفاقية وحدة الاعمال بين الحزبين العماليين.

وبذل الحزب الشيوعي جهوداً كبيرة لاجتذاب اتحاد العمل الوطني، الذي يقوده السنديكاليون الفوضويون، إلى الجبهة الشعبية، وبفضل جهود الشيوعيين انضم هذا الاتحاد إلى حكومة الجبهة الشعبية في تشرين الأول ١٩٣٦.

وفي اواخر ١٩٣٦ وقعت بين الحزب الشيوعي الاسباني واتحاد العمال الوطني اتفاقية وحدة الاعمال، ولكنها سرعان ما فسخت من قبل زعماء الاتحاد المذكور. زد على ذلك ان السنديكاليين الفوضويين حاولوا الاستيلاء على السلطة في الجمهورية بقوة السلاح في ايار ١٩٣٧. وعندما هزموا تركوا الجبهة الشعبية وظلوا في المعارضة في الواقع حتى ربيع ١٩٣٨. كان الموقف الخاص، الذي تمسك به اتحاد العمل الوطني ازاء قضايا الحرب والثورة، عائقاً جدياً

خلال أمد طويل امام تذليل الخلافات في الحركة النقابية في البلاد وتأسيس مركز نقابي موحد.

وكانت من أهم قضايا القوى المناهضة للفاشية في اسبانيا في سنوات الحرب قضية تعزيز التعاون بين الطبقة العاملة واحزابها وبين القوى الطبقية والسياسية الأخرى المنضمة إلى الجبهة الشعبية. وبفضل جهود الحزب الشيوعي والقوى الثورية الأخرى حلت بنجاح على العموم مسألة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين. ولعب الاصلاح الزراعي دوراً هاماً في تعزيز هذا التحالف، مع ان تطبيقه جرى ببعض التأخر، واتخذ الحزب الشيوعي كذلك اجراءات لاجتذاب الفئات المتوسطة والجماهير الكاثوليكية إلى الجبهة الشعبية.

فقد احرز الشيوعيون نجاحات غير قليلة في النضال من أجل تعزيز الوحدة الشعبية. ولكنهم لم يستطيعوا ان يحلوا قضية الوحدة كلياً. فلم يكن بين المساهمين في الجبهة الشعبية اجماع على مسألة طابع ومضمون الثورة الاسبانية وعمق نطاق التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وكان الخطر الأكبر على قضية الحرب الثورية الوطنية ناجماً عن الاتجاه اليساري المتطرف، الذي تجسد في سياسة الفوضويين والسنديكاليين الفوضويين. فهم، باجراءاتهم الخاصة « باشاعة التعاونيات » في الصناعة واشاعة التعاون قسراً بين الفلاحين، قد اربكوا الانتاج الصناعي الزراعي وخلقوا الصعوبات امام اجتذاب الفلاحين إلى صف الثورة.

اما الجمهوريون البرجوازيون والاشتراكيون اليمينيون فقد سعوا، على العكس، إلى الحد من التحولات الثورية والحفاظ على الطابع البرجوازي الديمقراطي للثورة والحيلولة دون تغيير ملموس للبنية الاقتصادية والسياسية، التي وجدت قبل بداية التمرد.

ان الثورة، التي اندلعت في اسبانيا خلال سنوات الحرب الوطنية الثورية، لم تكن ثورة برجوازية ديمقراطية عادية. فان متطلبات الحرب ضد

الفاشية والمتدخلين الاجانب املت ضرورة اجراء تحويلات اجتماعية واقتصادية تتجاوز نطاق الثورة البرجوازية الديمقراطية العادية.

وبذل الحزب الشيوعي كل ما في وسعه لكي يتحقق في الجمهورية الاسبانية، خلال سنوات الحرب، اصلاح زراعي جذري يصفي (ولو لأمد قصير) الملكية الاقطاعية للأرض ويسلم الاراضي لمن يفلحها. وجرى تأميم قسم كبير من الصناعة الكبيرة والبنوك والتقليات. وفرض رقابة الدولة على ملكية البرجوازية المتوسطة، وتأسيس الجيش الشعبي. واحتكرت الدولة التجارة الخارجية، وحقت اصلاحات اجتماعية عميقة لصالح الشغيلة. واضفت كل هذه التحويلات على الثورة الاسبانية طابعاً شعبياً ديمقراطياً عميقاً، وتحولت هذه الثورة في الواقع إلى أول ثورة ديمقراطية شعبية في التاريخ كان من شأنها ان تفتح امام الشعب الاسباني، في المستقبل، الطريق إلى الاشتراكية.

وكانت من القضايا الهامة، بالنسبة للحزب الشيوعي، قضية مساهمة الشيوعيين في حكومات الجبهة الشعبية. ففي بداية ايلول ١٩٣٦، حيث تسلم زعيم الجناح اليساري للحزب الاشتراكي لارغو كاباليرو ترخيصاً بتشكيل مجلس الوزراء، عرض على الحزب الشيوعي ان يساهم في الحكومة. وواجهت الحزب الشيوعي قضية في متهى التعقيد. كان الحزب يخشى من ان انضمامه إلى الحكومة يؤدي إلى تدهور الجمهورية دولياً لدرجة كبيرة، ولذلك رفض في البداية هذا العرض، ولكنه التزم في الوقت ذاته بتقديم اوسع دعم ممكن إلى حكومة كاباليرو،

ولكن نظراً للموقف الحرج آنذاك (هجوم القوات الفاشية على مدريد وخطر انقسام الجبهة الشعبية) قرر الحزب الشيوعي الانضمام إلى الحكومة واشترط وجوب تمثيل جميع الاحزاب والمنظمات المناوئة للفاشية في مجلس الوزراء. واتاح الدخول في حكومة الجبهة الشعبية للحزب الشيوعي امكانية

ممارسة التأثير الجدي على سياسة هذه الاحزاب وصيانة وتوسيع ائتلاف القوى المناهضة للفاشية.

لقد اضطرت الجمهورية الاسبانية إلى محاربة الفاشية في وضع عالمي غير ملائم بتاتاً. فان التدخل الايطالي الالماني وسياسة «عدم التدخل» قد خلقا صعوبات هائلة امام القوى الثورية في اسبانيا. وكانت الجمهورية الاسبانية، الواقعة في الحصار، محرومة من امكانية تأمين تزويد الجيش الشعبي بالسلاح والآليات الحربية، في حين ان الجيش الفاشي لم يكن يشعر بنقص في السلاح، الذي كان يتسلمه طوال الحرب وبكميات متزايدة باطراد.

وكان تشكيل الجيش الشعبي الجديد من القضايا الملحة كل الاحاح بالنسبة للحكومة الجمهورية. على ان الكثيرين من الجمهوريين كانوا متمسكين بالرأي القائل بأنه لا داعي لانشاء الجيش. وحاولوا تبرير وجهة النظر هذه بان اسبانيا بلد الانصار، ولذلك يمكن دحر جيش المتمردين بدون جيش نظامي، بل بقوى الانصار ومفارزهم. ولذلك واجهت عملية تشكيل الجيش الشعبي صعوبات كبيرة جداً. ولم ينته تشكيل وحدات الجيش النظام الا في مطلع خريف ١٩٣٧.

وجرى ببطء كذلك تحويل الصناعة إلى الانتاج الحربي. واثرت تأثيراً سلبياً على الوضع في الجمهورية كذلك ان هيئاتها لم تخض في المؤخرة نضالاً نشيظاً ضد عملاء الفاشية وما يسمى «بالعناصر غير الخاضعة للرقابة» وضد الانهزاميين والاستسلاميين. وكان تعب الجماهير الشعبية الشديد من الحرب والنقص الشديد في الوقود والسلع الضرورية والاغذية وارباك الاقتصاد - كل ذلك سهل النشاط التخريبي للاستسلاميين. وكانت العوامل الخارجية والداخلية غير الملائمة في المرحلة النهائية من الحرب قد امتزجت معاً وادت إلى هزيمة الجمهورية.

ونحو اواخر آذار ١٩٣٩ استولت القوات الفاشية على جميع مناطق البلاد وانتهى بالهزيمة النضال البطولي للشعب الاسباني. واقيمت في اسبانيا

الدكتاتورية الفرانكوية - سلطة العناصر الأكثر رجعية من الاوليجارخية المالية والاقطاعيين وكبار قادة الجيش والكنيسة الكاثوليكية .

ولكن هذه المعركة المسلحة الأولى للقوى الديمقراطية ضد الفاشية تركت، بالرغم من الهزيمة، أثراً عميقاً على الحركة الثورية العالمية . فان حرب الشعب الاسباني الوطنية الثورية بينت بصورة مقنعة صواب الاتجاه الاستراتيجي والتكتيكي الجديد للحركة الشيوعية العالمية واكدت عملياً صواب المفاهيم النظرية التي طرحها المؤتمر السابع للكومنترن، وليس ذلك وحسب، بل اغنت النظرية الماركسية اللينينية بخبرة جديدة للنضال الثوري .

ولقد خلقت الحرب الوطنية الثورية للشعب الاسباني حركة التضامن العالمية، التي كانت من اقوى الحركات بعد انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا . وكان من اسطع مظاهر تضامن القوى الديمقراطية العالمية مع الشعب الاسباني ارسال وحدات المتطوعين الامة الى اسبانيا . وقاتل في هذه الوحدات ٣٥ ألف محارب من ٥٣ بلداً . وقدم الاتحاد السوفيتي مساعدة كبيرة الى الشعب الاسباني . فقد تسلمت الجمهورية الاسبانية من الاتحاد السوفيتي الآليات الحربية والسلاح والذخيرة . وحارب اكثر من الف متطوع سوفيتي ضد الفاشية في أراضي اسبانيا . ولعبت مساعدة الاتحاد السوفيتي والقوى الديمقراطية العالمية دوراً هاماً في جعل الشعب الاسباني يقاوم بنجاح خلال امد طويل القوات الموحدة المتمردين الفاشيين والمتدخلين الالماني والاطالين .

خبرة تأسيس ونشاط الجبهة الشعبية في شيلي

كان تأسيس الجبهة الشعبية في شيلي وفوزها في انتخابات الرئاسة عام ١٩٣٨ وتشكيل حكومة الجبهة الشعبية ونشاطاتها انجازاً بارزاً للطبقة العاملة والقوى الديمقراطية في اميركا اللاتينية قبيل الحرب العالمية الثانية . كانت شيلي بلداً رأسالياً تابعاً في اميركا اللاتينية . وكانت ذات مخلفات

شديدة لما قبل الرأسمالية، ولكن الحركة العمالية فيها متطورة تمتلك تقاليد ثورية غنية يكاد يبلغ عمرها قرناً . وفي اواخر ١٩٣٢ عززت الاوليجارخية المالية وممثلوا البرجوازية الكبيرة المحلية والاقطاعيون المتبرجزون وعملاء الاحتكارات الاجنبية سلطتهم في شيلي بواسطة انقلاب الردة .

ونظراً للموقف الناشئ في البلاد اقترح الحزب الشيوعي على الحزب الاشتراكي في مطلع عام ١٩٣٥ تأسيس الجبهة الشعبية بغية مواجهة هجوم الفاشية وتحسين اوضاع الشغيلة واشاعة الديمقراطية في الحياة السياسية . بيد ان الحزب الاشتراكي، شأنه شأن الراديكاليين، عرقل تأسيس الجبهة الموحدة .

ولكن وحدة الاعمال بين الشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين تعززت في سياق نضال الشغيلة الطبقي . فخلال الحملة الانتخابية عام ١٩٣٦ وافق زعيم الجناح اليساري للراديكاليين خوستينيانو سوتوماير، في مؤتمر الحزب، على تأسيس الجبهة الشعبية وتلا بياناً جرى اعداده بالاشتراك مع الحزب الشيوعي . وفي ١٩ آذار ١٩٣٦ صادقت قيادة الحزب الراديكالي على قرار تشكيل الجبهة الشعبية بمساهمة الحزب الشيوعي .

ووقعت اتفاقية الجبهة الشعبية الاحزاب التالية : الراديكالي والاشتراكي والشيوعي والراديكالي الاشتراكي والديمقراطي الليبرالي والديمقراطي وكذلك جماعة من يسمون بالشيوعيين اليساريين (التروتسكيين) وجبهة الوحدة النقابية، (في اواسط ١٩٣٦ ظهر اتحاد شغيلة شيلي على اساس الجبهة الاخيرة) .

وهكذا تكللت بالنجاح جهود الحزب الشيوعي والقوى اليسارية الأخرى في شيلي، الرامية إلى تأسيس الجبهة الشعبية . وبالرغم من الخلافات الايديولوجية الجديدة بين بعض الاحزاب تأسست الجبهة الشعبية واصبحت اهم عامل للحياة السياسية في البلاد وسلاحاً جباراً بيد القوى الديمقراطية في النضال ضد الرجعية والفاشية .

واستندت الجبهة إلى ثلاث مطالب منهاجية رئيسية هي (١) النضال في سبيل بعث الحريات الديمقراطية وضد خطر الفاشية، (٢) النضال ضد الامبريالية، (٣) النضال ضد المستوى المزري لحياة شغيلة العمل اليدوي والفكري وفي سبيل العدالة الاجتماعية.

في عام ١٩٣٧ جرت انتخابات النيابية في شيلي. ودلت نتائجها على ان احزاب الجبهة الشعبية رسخت مواقعها لدرجة كبيرة بين الجماهير. وفازت الاحزاب الديمقراطية بحوالي ٤٧٪ من الاصوات. إلا أن أغلبية المقاعد في الكونغرس ظلت بأيدي القوى الرجعية. وكانت من أهم الامتحانات بالنسبة للجبهة الشعبية انتخابات الرئاسة في تشرين الأول ١٩٣٨. وبناء على اقتراح الشيوعيين تقرر تأييد ترشيح الراديكالي الوسطي اغيري سيردا.

وقبل الانتخابات، في ايلول ١٩٣٨، حاول الفاشيون إثارة حرب أهلية في شيلي بغية دحر القوى الديمقراطية واقامة النظام الفاشي. فقد اعلنوا التمرد، ولكنه اخمد. وساعدت هزيمة الفاشيين على تعزيز مواقع احزاب الجبهة الشعبية. وصوت لمرشح الجبهة الشعبية في انتخابات الرئاسة ٢ و ٥٠٪ من الناخبين. واتسم هذا الفوز بأهمية فائقة ليس لشيلي وحدها، بل لأميركا اللاتينية كلها، حيث سدد ضربة جديّة إلى مواقع الرجعية وصار مثلاً ملهماً للقوى الديمقراطية في بلدان اميركا اللاتينية.

وشكل الرئيس الجديد اغيري سيردا حكومة من الراديكاليين والاشتراكيين (رفض الحزب الشيوعي المساهمة في الحكومة ولكنه أعلن عن تأييده لها). واستطاع الرئيس الجديد أن يحقق تفاهماً مع قيادة القوات المسلحة، الأمر الذي أمن انتقال السلطة سلمياً إلى أيدي حكومة الجبهة الشعبية.

بيد ان الجبهة الشعبية لم تتسلم السلطة كاملة. فالأغلبية في الكونغرس كانت من خصومها، ولذلك ما كان بوسع خطوات الحكومة، الرامية إلى تطبيق برنامج الجبهة، أن تخرج عن إطار التشريع القائم. وكانت المعارضة الرجعية

في الكونغرس قد احبطت المشاريع القانونية التي استهدفت إشاعة الديمقراطية في الحياة السياسية وتحقيق التحويلات الاجتماعية. وما زاد في الطين بلة ان الاحتكارات الاجنبية والبرجوازية الكبيرة الشيلية اخذت تخلق مختلف الصعوبات الاقتصادية والمالية. فقد قلصت استخراج الثروات المعدنية وأغلقت بعض المؤسسات الانتاجية وقاطعت اجراءات الحكومة. وقلص الاقطاعيون البذار واتفقوا قسماً من المحصول وخلقوا الصعوبات امام تزويد السكان بالاغذية.

وبالرغم من هذا الوضع المعقد استطاعت الحكومة ان تحرز بعض النتائج الانجابية في السياسة الخارجية والداخلية. وبفضل النضالات الجماهيرية للعمال والمستخدمين والاجراءات الحكومية النشيطة أمكن في عام ١٩٣٩ قمع مؤامرة القوى الفاشية في شيلي. وتم تطهير سلك الضباط الأعلى وجهاز الدولة من العناصر الفاشية.

ولم يطل عمر الجبهة الشعبية في شيلي. فقد حلت في ١٩٤٠ - ١٩٤١ تحت ضغط العوامل السياسية الخارجية والظروف الداخلية غير الملائمة. وكان من اسباب حل الجبهة ان العناصر الانتهازية اليمينية في قيادة الحزب الاشتراكي، شنت تحت ضغط الامبريالية الأمريكية، حملة على الشيوعيين وخرجت من الجبهة. وأدى ذلك إلى تغيير تناسب القوى داخل الحزب الراديكالي أيضاً لصالح الجناح اليميني. وفي عام ١٩٤١ جرت تصفية الجبهة. ولكن الجبهة الشعبية في شيلي لعبت، بالرغم من إخفاقها، دوراً هاماً في تطوير الحركة العمالية في شيلي وفي اميركا اللاتينية بأسرها. وبفضل تأسيس الجبهة الشعبية امكن الحيلولة دون قيام نظام فاشي في شيلي وتحقيق لقدر ما اضعاف تبعية البلاد للرأسمال الأجنبي وأرسيت أسس تطوير الصناعة الوطنية. وساعد نشاط حكومة الجبهة الشعبية على تحسين الحالة المادية للشغيلة وتعزيز المنظمات النقابية واحزاب الطبقة العاملة.

كان تكتيك الجبهة العمالية والشعبية الموحدة، الذي وضعته الكومنترن

في الثلاثينات قد رفع الحركة الشيوعية والعمالية العالمية إلى درجة جديدة أرقى .
واتسم هذا التكتيك بأهمية فائقة في سنوات الحرب العالمية الثانية وبعدها .
وحققت الاحزاب الشيوعية في العديد من البلدان، خلال سنوات الحرب
العالمية الثانية، تأسيس الجبهات الشعبية الموحدة وشتت حركة المقاومة
الجماعية ضد المعتدين الفاشيين . وبعد انتهاء الحرب تزعم الشيوعيون ،
بالاعتماد على الجبهة الموحدة، النضال في سبيل تأسيس وتعزيز دول
الديمقراطية الشعبية في عدد من بلدان اسيا . واتسمت توجيهات
الكومنترن بأهمية كبيرة لتأسيس الاحزاب العمالية الماركسية - اللينينية الموحدة
في هذه البلدان عن طريق توحيد الشيوعيين والاشتراكيين . والان ايضاً، في
المرحلة الراهنة، تستخدم الحركة الشيوعية العالمية بنجاح، في النضال من أجل
السلام والديمقراطية والاستقلال الوطنية والاشتراكية، المبادئ التي وضعتها
الكومنترن لوحدة جميع القوى الناهضة للاحتكارات والامبريالية وتواصل
تطوير هذه المبادئ طبقاً للمرحلة الحالية من النضال .

* * *

نضال الكومنترن ضد هجوم الفاشية وخطر الحرب (١٩٢٩ - ١٩٣٩) ص ٢٠٥
المؤتمر السابع للكومنترن ص ٢١٥
عبر الجبهة الشعبية في فرنسا وأهميتها التاريخية ص ٢٢٦
العبر التاريخية للحرب الوطنية الثورية للشعب الاسباني (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ص ٢٣٠

* * *

الفهرس

٣ ص	تقديم
٩ ص	مدخل

الفصل الاول

١٥ ص	نشوء البروليتاريا وعبر نضالاتها الاولى
٢٥ ص	النضالات المستقلة الاولى للبروليتاريا

الفصل الثاني

٣٣ ص	الشيوعية العلمية والحركة الشيوعية
٣٨ ص	نضال ماركس وانجلس في سبيل انشاء حزب بروليتاري ثوري
٤٢ ص	استراتيجية الشيوعيين وتكتيكهم في الثورة البرجوازية
٤٩ ص	الديمقراطية ١٨٤٨ - ١٩٤٩ في المانيا
	« عصابة الشيوعيين » بعد الثورة

الفصل الثالث

٥٩ ص	الاهمية التاريخية لنشاط الاعمى الاولى ولخبره كومونة باريس
٦٤ ص	نضال الماركسيين ضد التيارات البرجوازية الصغيرة
٦٤ ص	في جمعة العمال العاملة
٧٠ ص	مساهمة الاعمى الاولى في تطوير وتكتيك النضال البروليتاري
٧٥ ص	الاعمى الاولى وكومونة باريس
٨٣ ص	الاهمية التاريخية للكومونة
٨٥ ص	الاعمى الاولى بعد كومونة باريس

الفصل الرابع

الحركة العمالية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين	ص ٩١
الاعممية الثانية	ص ٩٥
تأسيس الاعممية الثانية	ص ١٠٠
ظهور خطر الاصلاحية في احزاب الاعممية الثانية	ص ١٠٤
الامبريالية واشتداد الصراع بين التيارين في الحركة العمالية	ص ١٠٧
اللينينية هي ماركسية العصر التاريخي الجديد	ص ١١٤
ثورة ١٩٠٥ في روسيا	ص ١١٩
ثلاث تيارات في الحركة العمالية العالمية	ص ١٢٢
اهم قرارات الاعممية الثانية بشأن مسائل التكتيك	ص ١٢٦
افلاس الاعممية الثانية	

الفصل الخامس

ثورة أكتوبر فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية	ص ١٣١
نهوض الحركة العمالية والثورية في البلدان الرأسمالية	ص ١٣٩
تأثير ثورة أكتوبر على تطور حركة التحرر الوطني والحركة العمالية في بلدان الشرق	ص ١٥٥
تحول الحركة الشيوعية الى قوة عالمية حقا	ص ١٦١
ثورة اكتوبر بداية عصر جديد في التاريخ العالمي	ص ١٦٤

الفصل السادس

تأسيس الاعممية الشيوعية. وضع استراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية العالمية في ١٩١٩ - ١٩٢٨	ص ١٧١
كتاب لينين (مرض «اليسارية» الطفولي في الشيوعية)	ص ١٧٧
الحركة الثورية والكمونترن في سنوات الاستقرار النسبي للرأسمالية (١٩٢٤ - ١٩٢٨)	ص ١٩٦

